بسام أبو شريف

وديع حداد



بسام أبو شريف

وديع حداد



ثــائــر ام إرهــابــي

الكتاب:

وديع حداد

الكاتب:

بسام أبو شريف
babusharif@gmail.com

صدر عن



الرعاة للدراسات والنشر
رام الله - فلسطين

التصميم والاشراف على الطباعة:



اهداء

أهدي هذا المرجع ...

لمن لوحت الشمس جباههم

ولف العمل زنودهم

إلى كل مظلوم على وجه الأرض

إلى المستضعفين

للبؤساء

لمن حرمهم الطغاة من حريتهم

لمن حرمهم المستعمرون من أرضهم

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب

بطل عالمي من بلادي

وديع حداد صاحب الرؤية الثاقبة والموقف النافذ

اغتالوا الحياة عند سور بيته الذي بناه أجداده في صفد.

فقرر ألا تموت الحياة التي اغتالوها.

نفخ عزمه فيها من أرادته، واستل سيف القوة من جراب الضعيف.

قاتل وهو مثخن بالجراح، وعلّم قيما هو يقاتل ببأس الأسود الجريحة علم الأشبال كيف تقوى لتصبح أسودا.

علمهم أن على هذه الأرض يحترم القوي.

وأن القوي لا يمكن أن يكون لقمة سهلة لمن طمع فيه.

وأراد أن يغتصب ما له وما يزرع وما يحصد.

وعلمهم أن القوي لا يقوى بدرعه وآلته.

وأن الضعيف يمكن أن يكون القوي بعقله وفطنته وفكرته.

علمهــم أن حجراً تصوبه يد طفل ضعيف نحو جذع آلــة، ودرع حصين، تقتلها وتتركها عاقر.

وديع حداد جمع العالم من خلال ثورييه وممثلي ضعفائه وفقرائه وقادهم نحو الحرية والتخلص من الاضطهاد.

علمهم أن من أحرقت الشمس جباههم لا يخشون القمر وأن من شققت يديه الصخور لا يخشى من الحجر.

علمهم أن قبضة قوية تدفعها إرادة جلية قادرة على تفتيت الصخر وتلقى نصل ســكين أو طعنة رمح.

علمهم أن النصر لا يأتي إلا بالاصرار عليه والعمل الذي لا يتوقف لتحقيقه.

علمهم أن الحياة هي نقيض الموت وأن هزيمة الموت لا تأتي إلا بالكر عليه وليس بالفرار منه.

الحق هو الأقوى

الكفاح هو الأقوى

الإرادة في العيش هي الأقوى

إنها الحرية ولا مكان للعبودية في أمة قاتلت من أجل حرية الآخرين.

إن الظلم لا يولد إلا الكفاح وسلب الحقوق لا يولد إلا النضال لاستعادتها.

وإن حرمان الشعوب من حريتها وثرواتها لا يولد إلا كفاحاً يدمر الغزاة الطامعين.

ســتبقى دروس وديع حداد لامعة وســيبرز جيل بعده للكفاح من أجل الحق والحرية والعدالة.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون.

من هو وديع حداد؟

وديع حداد شخصية شغلت العالم على مدى عقدين من الزمن.

البعض يطلق عليه لقب «الإرهابي» والبعض الآخر يعتبره بطلا قوميا ووطنيا.

أعداء الشعوب لقبوه بالارهابي والمناضلون من أجل الحرية لقبوه بالمعلم. واعتبره الفلسطينيون والعرب بطلا قوميا ووطنيا.

الفصل الأول

وديع حداد

الولادة والنشأة:

عندما بلور وديع حداد أسس وأهداف هذه المدرسة الثورية التي ما زالت قائمة باشكال متعددة، كان له من العمر ٤٢ عاما.

لكن قناعته بضرورة اللجوء الى السـلاح لطرد الغزاة والمعتدين من الأرض العربية، ومن فلسـطين بشـكل خاص، نما معه منذ عام ١٩٤٨ بعد أن شـاهد بأم عينه الفظائع التي ارتكبتها العصابات الصهيونية المسلحة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل والمسالم.

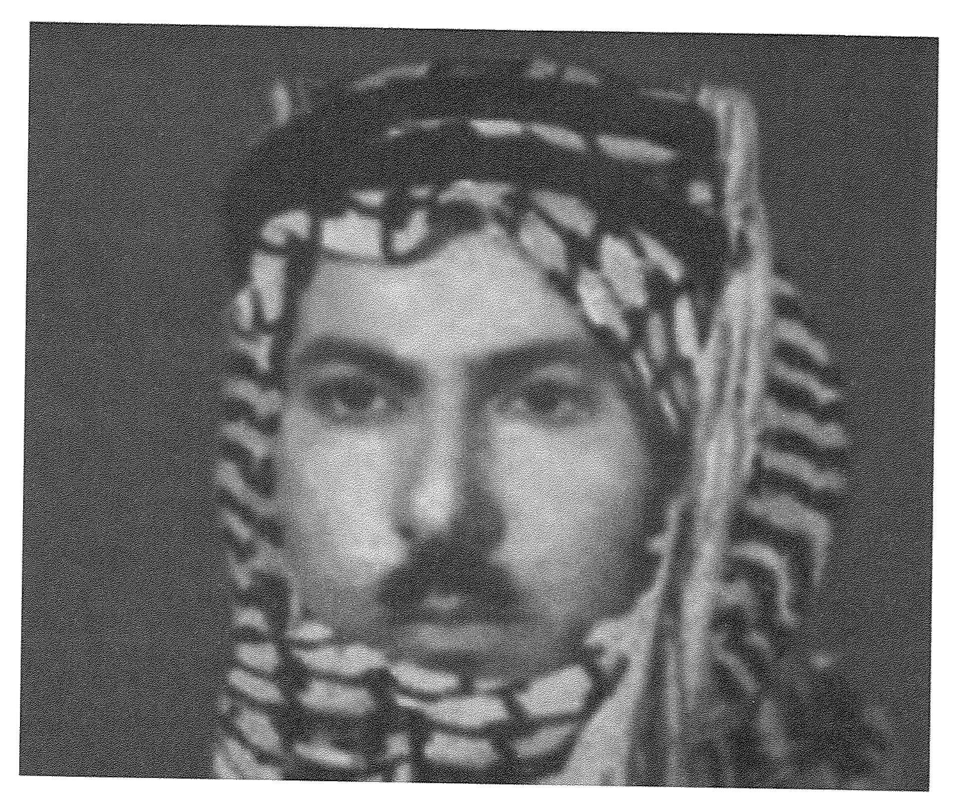
كان عمـره واحدا وعشرين عاما، عندما ارتكبت العصابات الصهيونية الجرائم الجماعية ضد مدن وقرى فلسطين وأجبرت أهلها بقوة السلاح القاتل على النزوح.

كان وديع حداد وجورج حبش، تلميذا الجامعة الأميركية في بيروت من الذين شـاهدوا ذلـك بأعينهم، إذ عاد الطالبان عـلى عجل إلى مدينتي صفد واللد حيث عائلتيهما دون أن يتمكنا من دفع الأذى، وكل ما تمكنا من فعله هو مسـاعدة الأطفال وكبار السن من العائلتين في النزوح إلى أماكن آمنة.

منذ تلك المشـاهد ابتدأ التصميم في قلبيهما وعقليهما: التصميم على القتال لاسـتعادة الوطن وطرد الغزاة.

ولد وديع حداد في (٢٨ آذار من العام ١٩٢٧) في مدينة صفد حيث كانت تعيش عائلته منـذ قرون. وعائلة حداد في صفد هي عائلة مسـيحية، بنت بنفسـها منازلها وزرعت الأرض، وترعرع أبناؤها في تلال صفد الجميلة، التي تطل على بحيرة طبريا، وتستطيع أن ترى منها مرتفعات الجولان وهضبتها وسفوحها التي توصل إلى منطقة "الحمّة".

والده كان معلما في مدرسـة تابعة للكنيسـة الأرثوذوكسـية. وقد شيد البيت الذي ولد



وديع حداد عام ١٩٦٨ في الاردن ، تاسيس الجبهة الشعبية مخيم الوحدات

فيــه وديع هو وعائلته بأيديهم. فكان أجمل مــكان لوديع، وبقي أجمل مكان له حتى اغتياله.

ولادة شاقة:

النكتة التي شاعت عن ولادة وديع حداد حقيقة عندما شبّ وديع حداد وأصبح رجلا.

في الليلة التي شـعرت فيها والدته بالمخاض، اسـتنفرت جاراتها في صفد، وهرعت نساء العائلة ذوات الحكمة والتجربة، كل واحدة منهم تحمل بشكيرا معقما، وتغليفة بيضاء جديدة "الكوفلية".

عند منتصف الليل بدأت عملية الولادة بآلامها وصراخها، بخار الماء كان يتصاعد من قدر وضع على بابور كاز "خارج الغرفة" أمسكت النساء بأيدي الأم الحامل.

كنّ يشـــجعنها ويطلبن منها أن تأخذ نفســا عميقا، والضغط بأقوى ما تستطيع لإخراج الطفل كما لو انها تعاني من إمساك شديد في الأمعاء، كان عليها أن تشدّ وتضغط لإخراج الطفل.

خرج الطفل، وصرخ الجميع: ولد، ولد.

لكــن الألم لم يتوقف كما هي العادة بعد خروج الطفل، وظنت النســوة أن حبل الصرة يشد به، لكن حتى بعد ذلك لم ينته الألم.

طفل أخر على الطريق بدأ رأسه يطل وتكررت العملية نفس، ضغط، شدّ.

خرج الطفل الثاني، ولد، ولد، صرخ الجميع فرحا.

انهما توأمان.

ارتاح الجميع. انهمكت النساء في تحميم الطفلين وتنشيفهما بالبشاكير النظيفة المعقمة.

انشغل الجميع بالطفلين إلا الأم. إذ استمر الألم على اشده.

اقتربت إحدى النساء الخبيرات وقالت: يمكن هناك طفل ثالث؟

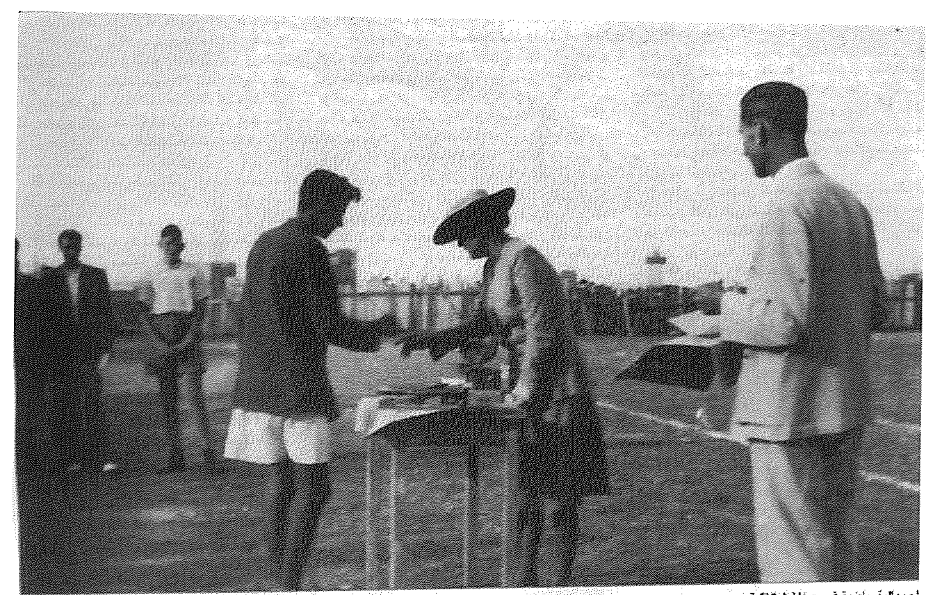
قالتها بصفة التنبؤ والتساؤل.

عادت الأم إلى الضغط والشــدّ والتنفس، فأطل الثالث برأســه ثم خرج وعيناه تغمضان وتفتحان كأنه لا يصدق ما يحدث.

ولد... ولد...صراخ.

ولد الطفل الثالث، ففي ٢٨ آذار من العام ١٩٢٧ ولد جورج، وبشير، ووديع، هو كان ثالثهم.

لقد أرســل وديع، بشــير وجورج قبله ليخرجا ويتأكدا له أن الطريق آمن. فعندما شب وكبر وأصبح قائدا بقيت المعادلة ذاتها، يرسل دائما من يستطلع الطريق ليتأكد أنها آمنة قبل أن يعبرها.



لم مدالية رياضية في حيفا قبل النكبة.

في وصف وديع حداد:

لفت انتباهي عندما صافحته لأول مرة في العام ١٩٦٣ أن أصابعه طويلة نسـبيا، رفيعة، ولمستها دقيقة وسريعة.

نظرت إليه:

كان أصلع الرأس إلا من شـعر يلتف من صدغيه إلى الخلف فيلتقي عند منتصف أعلى الرقبة.

نظرت إلى وجهه:

كانت قسـماته الدقيقة تنحني أدبا، يبدو عليه الحياء والتواضع، واحترام الآخرين كانت طلته الأولى عليهم.

تدريجيا يكتسي وجهه ثوب الجدية، فتنتصب قسـمات وجهه استعدادا وحزما والتزاما، وعندمـا يخوض موضوع البحـث وهو في اغلب الأحوال موضوعـا هجوميا تشرئب في عينيه نظرة القائد الذي لا هوادة في هجومه، ولا بديل عن الانتصار في عينيه.

عيناه تخرقان كمبضع جراح، تسـيران الى عمق محدثه لتكشف عن طيبة يراها محدثه. تبحثان في الأعماق عن مقدار الشجاعة أو التردد.

كانـت تلك النظرات هي تشـخيص الدكتور وديع حداد لمـن يقف بين يديه. وطريقته لمعرفة "الوصفة" اللازمة ليحول محدثه إلى الشـخص المطلوب بشجاعة وجرأة وإقداما ودقة واحترافا في العمل الحساس الذي سيقوم به.

وبين سـبر للأعماق وآخر، يطلق وديع حداد سؤالا، لا يطيق البطء في الإجابة أو الإطالة. يتوقع من الجميع الاندفاع ويرفع إبهامه عندما يرى ترددا.

طويـل القامة، رشـيق الخطوة، عندما يسـير، يخطو كأنما يطـوع الأرض لقدمه بلطف وخفة، ولا تقيم قدماه طويلا في موقع واحد.

رفيع، لا يختزن شحما، وهذا يوحي لناظره بطول إضافي.

عندما يبتسم وديع يبتسم بخجل، وإذا ضحك يبتسم أكثر فتظهر أسنانه صغيرة الحجم، وعندما يغضب كان يغضب بخجل أيضا.

أما عندما ينفجر الغضب عنده انفجارا، يتحول فورا من التواضع إلى الانقضاض.

يحترم الجميع، ويتوقع من الجميع أن يبادلوه ذلك. لكن حالة وديع

«العقـل المدبر» كانت تفرض عـلى الجميع احتراما ممزوجا بالرهبـة والمحبة والطاقة والاستعداد لخوض المعارك.

أن يكـون أصلعـا، رقيق الملامح طويل القـوام، رفيعا وحركته دائمة لا تهدأ، ابتسـامته عنوانهـا الخجل والتواضـع مكّنه من إتقان التخفي وتغيـير الملامح والمرور عبر حواجز الأعداء دون عناء.

ففي مخيم الوحدات بدا الدكتور وديع حداد، شـيخا سلفيا. وفي معتقل الجفر بصحراء الأردن بدا بدويا. وفي بيروت كنت تراه راهبا من أتباع دي لاسـال أو فرانسيسـكانيا أو ارثودوكسياً.

أما الشَـعر فكان يغيره كما يشـاء طالما أن له قاعدة راسخة هي الصلع. فمن السهولة



دفعة وديع حداد في الجامعة الأميركية، الثاني من اليمين في الصف الثاني ووراءه الدكتور أحمد الخطيب.

بمكان كانت نظارات الشمس تخفي تلك العينين الخارقتين.

أحيانا كان وديع حداد يتخفي بلباس شعبي فلسطيني فيبدو فلاحا فلسطينيا في سهل العروب - بمنطقة الخليل - أو مزارعا في تلال صفد يقلم الأشجار.

لم يكن يلبس الا الثياب البسيطة والمريحة.

عندما تزوج، اشتروا له بدله سوداء، لم يلبسها الا يوم العرس. عندما نقل إلى ألمانيا من الجزائر أصرّ الدكتور وديع حداد على ارتداء تلك البدله السوداء.

لكن لباسه الدائم كان قميصا صيفيا وسروالا. فقد كان يقضي فترات طويلة في بغداد وعدن والجزائر.

أما في الشتاء فكان يلبس معطفا عمره عقود من الزمن كمعطف «كولومبو».

أحب وديع الحياة. وأحب الجمال، وحلم طوال عمره بصفد وجمال تلالها والمشاهد

التي تطل عليها المدينة: هضبة الجولان وبحيرة طبريا وسفوح الجليل.

كان يرى في الأشـياء والبشر جمال الحياة، وكان يقاتل مضحيـا بالحياة من اجل الحياة الحرة، الكريمة، الجميلة التي تعطي الإنسان قيمة.

كعـازف بيانـو كان يحرك أصابعه الرفيعـة الطويلة خالقا لحنا لـكل من أحب الحرية والجمال.

وكجراح استخدم مبضعا دقيقا ليزيل ما شوه الإنسان، ليعيد له طلته البهية، طلة المحبة والعدل والحرية.

وديع حداد في الجامعة الأمريكية:

بدأت حياة ذلك العبقري الذي دعا إلى ملاحقة أعداء الشـعوب وأعداء الحرية وأعداء الإنسانية في كل مكان.

في الجامعة الأمريكية في بيروت تابع جورج حبش، ووديع حداد دراسـة الطب وتخرجا معا.

كانـت عائلة وديع حـداد التي هجّرت بالقوة من صفد على يـد العصابات الصهيونية المسـلحة، قد توجهت إلى لبنان حيث اسـتقرت، فيما استقرت عائلة جورج حبش التي هجّرت في الأردن.

توجها بعد التخرج مباشرة ليعملا مع وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة وأنشئت للاهتمام بمخيمات اللاجئين التي أقيمت بشكل مؤقت في مناطق الأغوار وعمان.

وفي الوقت ذاته نشطا سياسيا لتنظيم الفلسطينيين والأردنيين في حركة القوميين العرب.

كان جوّ النكبة مسـيطرا عـلى المنطقة العربية بأسرها، لكن نصيـب الأردن كان مركزا بسـبب عملية الترحيل والتهجـير والمجازر التـي ارتكبها المسـتعمرون العنصريون في المناطق الموازية للأردن.

فقـد أقيم في الضفة الغربية وقطاع غزة ثمانية وعشرون مخيما للاجئين وأقيم في الأردن خمسة مخيمات، أشرفت عليها جميعها الأمم المتحدة.



وديع حداد خلال زفافه في دمشق في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٦١ والى جانبه زوجته سامية وشقيقتها سليمة وبدا الى اليسار شقيقه قيصر

في الأردن بدأ الطبيبان الشـــابان جورج حبش، ووديع حداد ينشطان لبناء تنظيم لحركة القوميـــين العرب كما اتفقا مع زملائهما الذين تخرجوا مـــن الجامعة الأمريكية، وتوجه كل منهم إلى قطره وبلده العربي.

في ســـوريا، بدأ هاني الصفدي نشاطه لبناء التنظيم. في الكويت، الدكتور احمد الخطيب كذلك في العراق وليبيا والخليج واليمن والجزيرة العربية ولبنان.

ضمت الحركة في صفوفها القيادية والكادرية خيرة الشباب العربي وتقاسمت ثقل العمل القومي العربي مع حزب البعث العربي الاشتراكي.

في الأردن كان النشـــاط هو الأبرز، بســـبب وجود الدكتور جورج حبش مؤســـس حركة القوميين العرب.

لم تكن فلسفة الحركة معقدة بل مباشرة، وفي متناول وملمس المواطنين العاديين.

فقد كانـــت تدعو للوحـــدة العربية كون الوحدة الســـبيل الوحيد لطرد المســـتعمرين والمحتلـــين من بلاد العرب. وطريق تجميع قدراتهم وطاقاتهم ومصادر ثرواتهم للنهوض والتطور والنمو.

كان على جدول أعمال الحركة في بندها الأول التحرر من المستعمرين: فلسطين والجزائر واليمن، وإزالة القواعد العسكرية الأجنبية وتأميم النفط والغاز العربيين.

في الأردن، انضم عدد كبير من الشخصيات السياسية المثقفة ذات التأثير والنفوذ الشعبيين، كان منهم حمد الفرحان، ونزار جردانة، والدكتور جميل البسطامي، والدكتور عبد السلام قمحاوي، والمهندس غسان قمحاوي، وعلي منكو.

قادت الحركة في المخيمات الفلسطينية عبر زعماء محليين هجروا من مدنهم وقراهم في فلسطين.

وضمت إضافة لأبناء العائلات والعشائر الكبيرة، زعماء العائلات والمثقفين من أبنائها التي أقامت في المخيمات.

اعتقل جورج حبش ووديع حداد مع عدد كبير من السياسيين في الخمسينات، وتمكن جورج حبش من الهرب وتلاه الدكتور وديع حداد وتوجها إلى سوريا ومنها إلى لبنان.

منذ ذلك اليوم سيطرت على تفكير وديع حداد فكرة "عسكرة" حركة القوميين العرب. أي تحويل الحركة إلى حركة مسلحة.

فقد لمس الجميع بشكل عملي أن مواجهة المستعمرين، لا تعني أن الطريق مفتوح أمام المظاهرات لتتوجه إلى الأراضي المحتلة وتعيدها.

واكتشفوا بالتجربة أن هنالك أنظمة لا يمكنها أن تواجه أعداء الأمة العربية، وان الحركة الشعبية ممنوعة من ممارسة النضال لتحرير الأراضي التي اغتصبت.

شهد الوطن العربي في النصف الثاني من الخمسينات تغيرات هامة جدا أكسبت الحركة الشعبية العربية خبرة، وكشف بشكل عملي عبر السياسة الاستعمارية ووسائل الاستعمار في الهيمنة على وطننا.

في عام ١٩٥٨ قامت وحدة تاريخية بين مصر وسوريا. كانت حلما للجماهيرية العربية. قرعت هذه الوحدة الأجراس: أجراس الإنذار في الغرب، وأجراس النهوض في العالم العربي.

كانت العراق التي أطاحت بالنظام الحاكم "ثورة السعيد والملكية" وقاد عبد السلام



حداد مع زوجته سامية ونجلهما هاني خلال استراحة في جبال لبنان عام ١٩٧١.

عارف وعبد الكريم قاسم التغيير في العراق. فأمم النفط العراقي. مما أثار غضب الدول الاستعمارية الكبيرة.

فزادت من دعمها لإسرائيل وقامت بإنزال قواتها على شواطئ لبنان ـ المارينز- اثناء حكم كميل شمعون.

كان ذلك لضرب الحركة القومية في لبنان التي هبت مطالبة بالوحدة، وعروبة لبنان. وأنزلت القوات البريطانية في الأردن " للحماية".

وفي عام ١٩٥٩، أثناء أحدى زيارات جمال عبد الناصر لسوريا، توجه وفد من فلسطيني لبنان تقوده حركة القوميين العرب الى دمشق لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر.

وطرح الوفد على عبد الناصر فكرة القتال الشعبي ضد إسرائيل، كان جمال عبد الناصر صريحا جدا إذ أجاب الوفد، بان القتال المسلح سوف يدفع إسرائيل للرد بالحرب على

دولة الوحدة، وان هذا سيعطيها فرصة تتحينها للقضاء على هذه الخطوة الجبارة التي ستزيد من قوة العرب يوما بعد يوم.

لذلك لا يمكن أن نعطي إسرائيل مبررا الان، وهي مدعومة كليا من الغرب والولايات المتحدة بالمال والسلاح.

حثّ عبد الناصر الوفد على البدء بتدريب الشباب والقيام بعمليات استطلاع وتخزين داخل الأرض المحتلة إلى أن "يحين الوقت".

على هذا تم الاتفاق، وفتح أول معسكر تدريب للفلسطينيين في منطقة حرستا القريبة من دمشق لتدريب وتخريج الفدائيين.

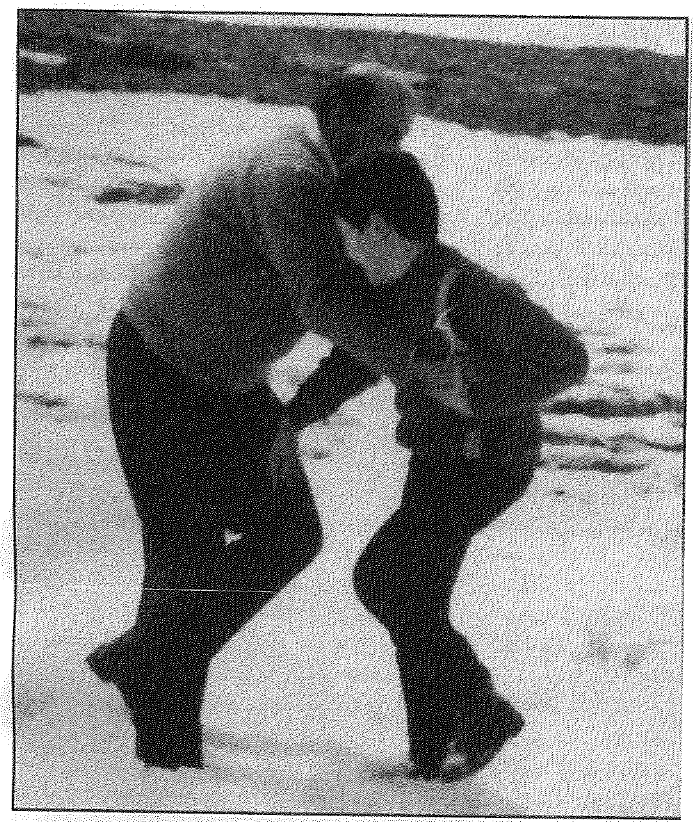
تخرجت أول كتيبة للفدائيين ووضعت تحت قيادة العقيد أكرم صفدي ـ وهو ضابط سوري مقرب جدا من الرئيس جمال عبد الناصر.

كان الدكتور وديع حداد يختار الشباب ويرسلهم للتدريب في هذا المعسكر. كان أولهم شاب من مخيم اللاجئين في دمشق، سمّي بعد ذلك شيخ الفدائيين وهو أبو حسين العابد.

وبالفعل بدأت حركة القوميين العرب بارسال دوريات من الفدائيين المدربين لفلسطين المحتلة بهدف الاستطلاع وتخزين السلاح والذخيرة. وكانت منطقة الجليل هي المنطقة التي تم تركيز الدوريات عليها لتحديد مواقع المعسكرات ومرابض المدفعية، وتمكنت من تزويد دولة الوحدة بمعلومات هامة حول المعسكرات والمطارات الإسرائيلية.

لكن بدء الكفاح المسلح كان مجمدا بناء على طلب وحيثيات الرئيس جمال عبد الناصر. الا أن هذا لم يثنِ وديع حداد عن رؤية الوطن العربي الكبير ساحة قتال ضد الاستعمار.

وكانت في تلك الأيام قد اندلعت حرب مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر وضد الاستعمار البريطاني في اليمن الجنوبي، وانهمك الدكتور وديع في العمل من خلال حركة القوميين العرب للمشاركة واسناد تلك الثورات العربية، التي رأى فيها كما رأى الدكتور جورج حبش وزملاؤه تحضيرا لمعركة فلسطين.



يلاعب نجله هاني على الثلج في منطقة اللقلوق في جبل لبنان.

من حركة القوميين العرب إلى الكفاح المسلح

(عسكرة العمل السياسي)

انصـبّ اهتمام الدكتور وديـع حداد بعد عام ١٩٦٤ على رفد الجبهـة القومية لتحرير اليمن رفدا قويا داعما للكفاح المسلح ضد القوات البريطانية دعما عمليا بالمال والسلاح والرجال (وذلك جنبا الى جنب بذل الجهد على التحضير الجدي لكفاح مسلح فلسطيني في ظل شعاره المرفوع: "فوق الصفر، تحت التوريط").

اسـتخدم الفرص الكبيرة المتاحة لتدريب وتخريج الضباط الأكفاء القادرين على القيام بتدريب الآخرين والقيادة في فلسطين.

فأرسل مجموعات من الشباب إلى كليات العسكرية في مصر وسوريا تحت غطاء منظمة التحرير الفلسطينية.

واهتم بتنظيم حملات الدعم للثورة الجزائرية، واســتمر هذا بكل حيوية إلا أن جهده الأساسي كان مركزا على ثورة اليمن ضد الاستعمار البريطاني فأعطاها كل امكاناته وجهده وتابعها الى أن أخرج ثوار اليمن ، القوات البريطانية المحتلة من عدن وأعلن الاســتقلال وذلــك في العــام ١٩٦٧ الذي احتلــت فيه اسرائيل ما تبقى من أرض فلســطين ـ الضفة الغربية وقطاع غزة.

هزيمة الـ ١٩٦٧ شكلت له ولغيره صدمة كبيرة وازت بثقلها نكبة الـ ١٩٤٨.

وشــكلت حرب حزيــران ١٩٦٧ نقطة تحول جذرية في حياتــه، وطريقة عمله، ورؤيته السياسية واستراتيجية العنف الثوري.

بإمكاننــا القول أن هذا العام، هو العام الــذي تبلورت فيه مواقف وديع حداد ونظرته للصراع بين المستعمرين والشــعوب والنضال من اجل الحرية وقيمة الإنسان والوسائل التــي يجب اتباعها لانتزاع الحقوق والحرية، وتجســيد قيمة الإنســان ومبادئ العدالة وحق تقرير المصير.

كان تصوره العام يستند إلى معرفة حسية بميزان القوى في المنطقة.

فإذا كان العدو الرئيسي والعنصري المجســد باستيطان اســتعماري توسعي في فلسطين مدعومــا من الغرب وترســانته وخزائنه، فان المواجهة يجــب أن تكون من خلال جبهة عريضة تشتت قوى العدو وتنال منه في مفاصله الضعيفة، كون قوى التحرر ضعيفة ولا تملك وسائل المواجهة الكبرى.

بكلام آخر، كان وديع يرى ان طليعة ثورية فلســطينية متحالفة مع طلائع ثورية عربية وطلائع ثورية عالمية هي أطراف الجبهة التي يجب أن تواجه وتتصدى للقاعدة الأمامية المتمثلة بالاستيطان الاستعماري الذي أقيم على ارض فلسطين بدعم من القوى الامبريالية للحفاظ على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط الغنية بالنفط والغاز والمعادن، وحلفاء هذه القاعدة.

ان عــلى القوى الثورية أن تحافظ عــلى سرية العمل، والروابط وطرق الاتصال والإمداد وان توجه ضرباتها لمفاصل ضعيفة ومؤثرة وان تولد جانبيا حربا سياسية إعلامية تفضح

هذه القوى العدوانية والاستعمارية وفظائعها وجرائمها التي ترتكبها ضد الشعوب.

الحرية لا تجزّأ، هكذا كان يرى وديع حداد القضية، والنضال لانتزاعها لا يجزّأ أيضا.

اكتسبت تجربة الدكتور وديع الطليعية الخبرة من خلال الممارسة واستمرار المعركة كلعبة الشطرنج بينه وبين أجهزة الأمن والقمع المعادية للشعوب. كان يحاول باستمرار أن يكون سباقا وان يترك العدو يلهث وراءه سواء اكان في اختراع وسائل تحدّ من قدرته على الحركة وتحدّ من قدرته اللوجستية أو من خلال متابعته وملاحقته.

أسلوب وديع حداد:

كانت حياته تقاس بالأميال التي يقطعها كل أسبوع بين بلدان العالم متنكرا، وبأسماء مختلفة.

كانت هذه الحرب ذات خصوصية عالية، وذات خطورة مدمرة. لم يكن هامش الحظ أو الظرف هامشا واسعا بل كان في أضيق حيز ممكن. لذلك كانت دقة التخطيط والتنفيذ أساسية كأساسية المعلومات حول الأهداف بحد ذاتها وطرق الوصول اليها.

فأي خطأ مهما كان صغيرا، يعني في ميدان العمل الخاص هذا الموت أو الخراب وفي أحسن الأحوال الفشل.

العمل في هذا الميدان كان يعني أن يصبح قائده (صاحب القرار) هدفا للأعداء والأصدقاء على حد سواء.

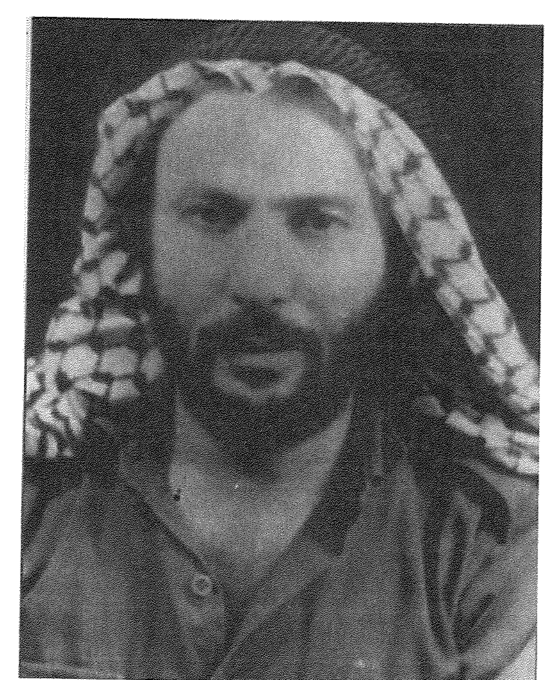
الأعداء كانوا يرصدونه ويتتبعونه ويلاحقونه لتصفيته، والأصدقاء كانوا يلاحقونه ويتابعونه ليساعدهم على القيام بأعمال لا يمكنهم القيام بها. كان على الدكتور وديع أن ينتبه للطرفين لأنه كان يرى أن الأجهزة الصديقة مخترقه، وان العدو قد يدسّ احد عملائه في أجهزة الأصدقاء لرصده أو التجسس على عمله أو اغتياله.

عندما كان الأمر يتعلق بأجهزة أمن دول كبرى كان دائما يضع في حساباته أن علاقة هذه الأجهزة بمثيلاتها في الغرب هي علاقة مصالح متبادلة، وانه قد يواجه لحظة يطرَح هو كثمن على طاولة البحث بينهم.

لذلك كان شديد التحفظ في التعامل أو التعاطي مع أجهزة أمن الدول الغربية والاشتراكية على حد سواء.

أما بالنسبة لأجهزة الأمن العربية فقد كان حذرا بدرجة اقل مما يجب، وربما كان هذا مدخل الأعداء لاغتياله لاحقا.

أما ما يخص اختيار أعضاء العمل الخاص وتدريبهم، فقد كان اشد حرصا وحذرا خاصة أن ضمن هؤلاء مجموعات ثورية عالمية المنشأ لا يعرف عن نشأة وتجربة العناصر المفروزة للقتال الكثير، ولم يجربها في ساحات النضال.



وديع حداد في مخيم الوحدات آب ١٩٦٨.

لذلك كان حذرا جدا، ولم يكن يلتقي بالعناصر المقاتلة بل بالقيادات، ويترك أمر المتابعة لأركانه في المعسكرات.

في هذا الإطار كان يتبع نظام «الغربلة» في المعسكرات.

فعلى سبيل المثال يبدأ تدريب العناصر - حتى لو كانت مدربه سابقا - في معسكر طابعة الأساسي سياسي. أي أن التركيز ينصب على تحليل طبيعة الصراع واستراتيجية المواجهة وتكتيكاتها والتدريب على الأسلحة البسيطة.

الإصابة الجيدة بالمسدس في أحوال وظروف مختلفة، الرشاش، كلاشنكوف، العبوة الناسفة، التوقيت، النسف بالسيطرة والتحكم عن بعد، الألغام المضادة للدروع.

كانت دقة الإصابة هي الأهم في مرحلة التدريب هذه.

بعدها كان ينقل الناجحين أو البارزين لمعسكر يركز على الشؤون العسكرية والأمنية أكثر من المعسكر الأول.

كان ضمن التدريب في هذا المعسكر رسم خطط صغيرة للنيل من هدف ما.

في هذا المعسكر كان يتعلم المقاتلون القياسات، وتحديد الأهداف ليلا وقيادة السيارة الخطرة، والرياضة العنيفة واستخدام السكين عن بعد وعن قرب، وإصابة الأهداف بالإطلاق الحر، والغطس.

أما المرحلة الثالثة، فقد كانت مرحلة التخصص، وهي الطيران، قيادة الطائرة والإلمام بلوحة القيادة وإتقان الإقلاع والهبوط، وفن التنكر وتفادي الإجراءات الأمنية المعادية، الاستخدامات المختلفة لأنواع مختلفة من القنابل. صناعة الأقلام المتفجرة التوقيت.

بعد ذلك يكون العنصر جاهزا للقيام بمهمة، وعند اختياره للقيام بمهمة ينقل إلى مكان خاص وينهك بالتدريب على مهمته حتى يتقن انجازها وهو مغمض العينين.

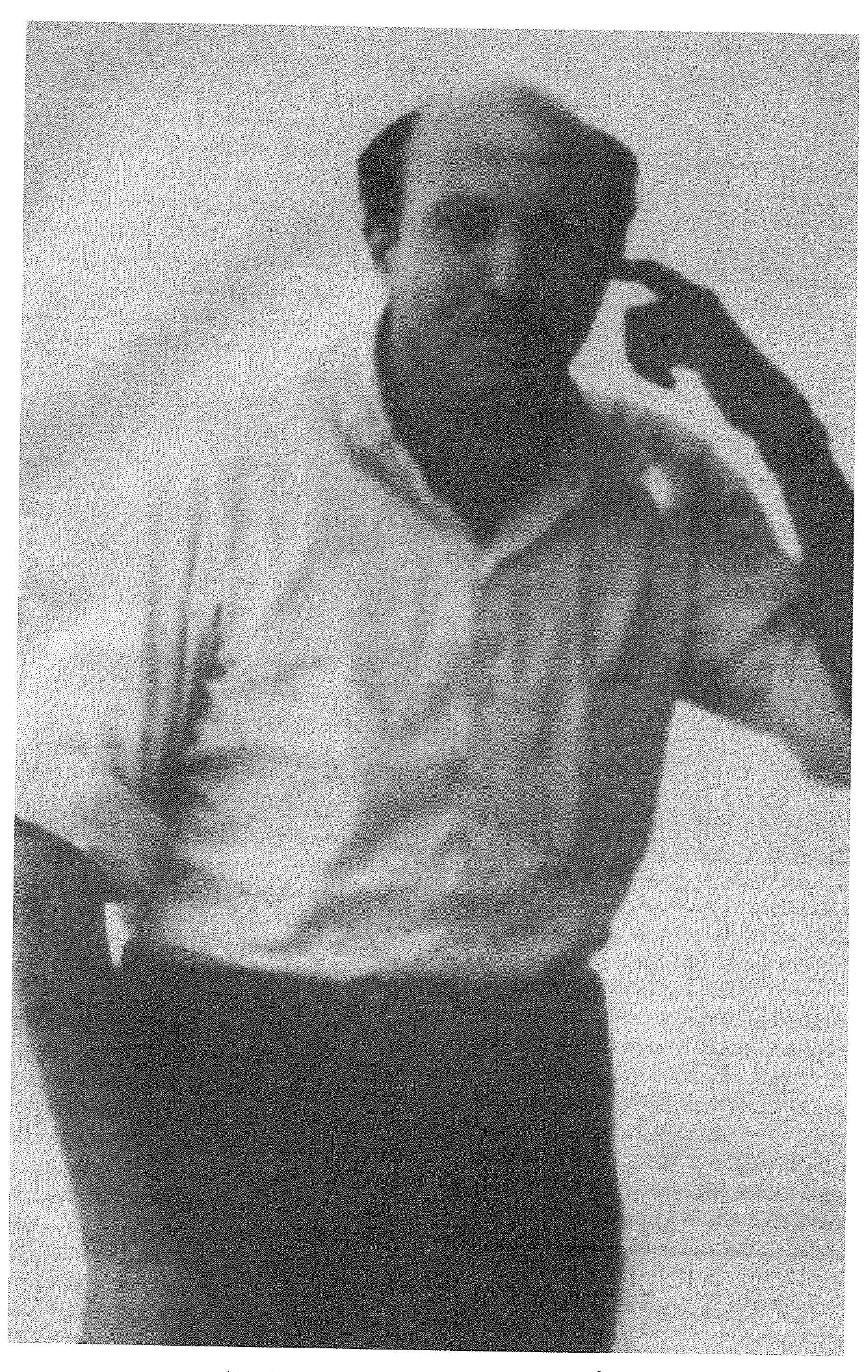
خلال هذه الفترة التدريبية يعيش العنصر المنفذ كافة الظروف المحتملة ويتم تجربته في مواجهة كافة الاحتمالات.

في ساعة الصفر، يعطى آخر التعليمات، وأحيانا يبلغ بأنه سيستلمها في محطته الأولى في مكان إقامته، ولا يبلغ بالهدف أو مكانه سلفا، حفاظا على السرية والأمن.

بطبيعة الحال، يجهز كل عنصر بطريقة الخروج من الموقع والعودة لقواعده بأمان وسلامة.

ويرتب له ذلك أو يمنح حرية الاختيار ويزود بما يلزمه من مال أو معلومات.

لكم أن تتصوروا، كيف ان هذه العملية الدقيقة والمنهكة تمت، تحت اشراف الدكتور وديع حداد لفلسطين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، العمليات الخاصة أو الفرع الخارجي، وحلفاء المجال الخارجي على صعيد العالم وضموا: يونانيين ودنيماركيين وسويديين وهولنديين وفرنسيين وايطاليين وألمان وسويسريين وأمريكيين لاتينيين وأفريقيين ويابانيين وسنغافوريين وعربا.



وديع حداد في عدن، تحضيراً لضرب ناقلة النفط كورال سي عند باب المندب

لقد أقام وديع حداد أوسع تحالف عالمي من الفئات الثورية الصغيرة المؤمنة بالمشاركة في النضال ضد الامبريالية والرأسـمالية في بلادهم مـن خلال الانخراط في نضال حركات التحرر الوطني التي تقاتل ضد الامبريالية من اجل الحرية والاستقلال.

هذه هي المسـاهمة الأكبر التي أضافها وديع حـداد للفكر الثوري العالمي، جاءت بعد فشل انتفاضة أوروبا في عام ١٩٦٨ والجيفارية.

انها وراء العدو في كل مكان، مجسدة تجسيدا حيا.

الخلفية التاريخية لخيار وديع حداد:

الكفاح الفلسـطيني من اجل الحرية، وإزالة الاحتلال نضال عميق، عمق التاريخ الذي سجله الإنسان.

سـجل الفلسطينيون صفحات نضال من اجل الحرية والارتقاء بوضع الإنسان اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، كانت صفحات النضال ناصعة، مشـعة. لم تقف عند حدود فلسطين التاريخية، لم يكن البحر الأبيض المتوسـط حائلا بينها وبين الشواطئ الأخرى، ولم يمنعها نهر الأردن من العبور لمعانقة حضارة شعوب ما بين النهرين.

لان الفلسـطينيين ارتقوا عبر العصور، نحو مواقع لم تصلها شـعوب أخرى رزحت تحت نـير ظلمات الجهل والهمجية، كالتتر الذين قادهـم هولاكو، كانوا دائما هدفا للطامعين والمتوحشين والمستعمرين.

كانت فلسطين وما زالت جسرا يربط القارات الثلاثة: أفريقيا، واسيا، وأوروبا، برا وبحرا.

هي واسـطة العقـد التي أصبحـت في التاريخ الحديـث في القرن العشريـن والواحد والعشرين، هدفا للاسـتعمار الاسـتيطاني الذي رحل عن بلاد العـالم، ليعود من النوافذ بأشكال متعددة: الاستعمار الاقتصادي، والثقافي، والصناعي، والزراعي، الا في فلسطين.

فقد ضخت بلدان الاستعمار الاستيطاني كالولايات المتحدة وبلدان أوروبا على مدى قرن من الزمن كل أنواع المسـاعدة لقاعدتهم التي استعمرت ذلك الجسر الاستراتيجي الذي يربط قارات أفريقيا، واسيا، وأوروبا ويطل على البحرين المتوسط والأحمر ويشكل منارة إشعاع أخلاقي وحضاري وثقافي.

لان فلسـطين تتمتـع بهذه المكانه، ولان الفلسـطينيين تبؤوا مكانــة رفيعة في النهوض الحضـاري، كانوا هدف الطغاة والغزاة والطامعين بالثروة والسـيطرة والتحكم بالتجارة والمواد الأولية والنفط والغاز والمعادن واليورانيوم لاحقا.

فاسـتخدموا الحركة الصهيونية ـ العنصرية اليهودية ـ وأطماعها في السـيطرة على ثروة الولايـات المتحدة وأوروبا، أداة للسـيطرة على ثروات المنطقة عـبر اقامة مخفر أمامي اسـتيطاني على ارض فلسـطين. وزودوه بوسـائل القوة الاسـتعمارية ليكون أقوى من مجموع ما يحيط به من بلدان وشعوب، وأمة عربية عريقة.

اسـتخدموا وسـائل الخداع والكذب والضغط والقوة والرشـوة ليغطـوا هذه الجريمة التاريخية برداء «شرعي» عبر الأمم المتحدة وقراراتها ورفضوا بل منعوا الدول من اتخاذ أي قرار ينسجم مع الحق التاريخي والحقوق الإنسانية ومبادئ الحرية والاستقلال وحق الشعوب في تقرير المصير.

طمع الفرنجة الأوروبيون بفلسـطين بكل ما لدى المتوحشـين من جشـع. اسـتخدموا المسـيحيين ثوبا لتغطية الطمع والجشـع واحتلوا فلسـطين وأقاموا على أرضها والأرض المحيطة قلاعا وممالك.

لكنهم خرجوا.

كذلك خرج التتر.

ايضا خرج الذين استخدموا الإسلام رداء.

فهي على مدار التاريخ الدولة وليس الدين، وان استخدم الدين أداة للخداع والتحريض وإثارة النعرات والتعصب والعنصرية.

في كل مرة كان الفلسـطينيون، ببعدهم القومي يراكمون خبراتهم الكفاحية ضد الظلم والظالمين، ويوجهون للمحتل ضربات نوعية تفقده توازنه وصوابه، ثم وزنه فيخرج جارا أذيال الهزيمة، وفي كل مرة، كان ينتصر الحق.

لقد مكّن الإفرنج الصهاينة من وسـائل القوة مـما جعلهم قادرين على ارتكاب المجازر والمذابح، وطرد أهل البلاد من أراضيهم وبيوتهم.

فاحرقـوا الزرع، قتلوا البشر، ونهبـوا أملاكهم. كل هذا بسـلاح كان متفوقا زودهم به الفرنجة الاستعماريين الأوروبيين والأميركيين وغيرهم من العنصريين.

لم يكن بمقدور الدول العربية التي تحكمت القوى الاستعمارية الكبرى بنواحيها وقادتها كما تريد، وكما تقتضي مصالح الفرنجة، التصدي لهذه القوة العنصرية التي سيطرت على ارض فلسطين، وطردت أبناءها بقوة السلاح الغربي.

تحكمـت الولايات المتحدة وأوروبا بأمور الدويلات العربية التي أقيمت بعد أن مزقت العالم العربي إلى نتف أطلق عليها اسم دول.

فقـد ارتكب الانجليـز جرائم بحـق العرب وحقوقهـم، خاصة في فلسـطين، وارتكب الفرنسيون جرائم بشعة مشابهة، وسعى الأميركيون ونجحوا إلى حد بعيد، في تحويل ما تحكـم به البريطانيون والفرنسـيون إلى مملكة أميركية تخضع للنهب الأميركي الحديث، وترضخ سياسـيا لما يريده الأمريكيون، من ضمن ذلك الحفاظ على إسرائيل كأقوى دولة في الشرق الأوسط.

لقد خرج الاسـتعمار القديم من المسـتعمرات بعد الحرب العالميـة، التي كانت صراع الكبار على أكل الصغار.

صدر ميثاق جنيف، وميثاق الأمم المتحدة، ولم يتوقف مفعولهما الا عند حدود فلسطين، التي قرروا لها انتدابا بريطانيا «يهيئ» الوضع لسرقة ارض الفلسطينيين، وتمكين أدواتهم الصهيونية منها ـ كما جاء في وعد بلفور عام ١٩١٧-.

عندما وعد من لا يملك ارض الفلسـطينيين لمن لا يستحق، أقام الغرب قاعدة ذات قوة أطلق عليها لقب «أقوى جيش في العالم».

وزود الغرب إسرائيل بالأسلحة النووية وآخر ما أنتج من أسلحة الفتك والدمار في مصانع الغرب لتبقى السلاح الغربي في وجه التحرر العربي من قبضة التحكم والنهب الامبريالي.

وحصل التزاوج بين أطماع الغرب في النفط والغاز واليورانيوم والذهب العربي وبين جشع إسرائيل لأخذ حصة من كل هذا وبناء دولة تتسم بالفساد، والجريمة المنظمة، وقتل البشر والشجر والحجر، وإقامة شبكات عالمية تسيطر عليها عصاباتها تقوم بأبشع الجرائم ضد الإنسانية. مثل شبكات تهريب المخدرات من كولومبيا لأسواق الغرب والتجارة بأعضاء البشر المسروقة من أجساد الفتيه والأولاد والأطفال والرجال والنساء الذين يقتلهم الجنود الإسرائيليون في فلسطين بناء على طلب سوق الأعضاء.

وتبييض الأموال وسرقة الشعب الأميركي عبر المصارف وتحويل مساعدات الحكومة الأميركية إلى سبعة أضعاف عبر نظام الاحتياطي الفدرالي الأمريكي.

وتطوير أسلحة بيولوجية وكيماوية وأنواع من الذخائر السامة من نفايات مفاعلها النووي في ديمونا.

هذه هي إسرائيل المدججة بالسلاح والدروع من رأسها إلى أخمص قدميها، تقوم بالعدوان البشع يوميا على شعب اعزل حضاري مثقف له تقاليد إنسانية عريقة عاش، ويعيش في بلاد قدسيتها تنبع من كونها مهدا للرسالات السماوية التي تدعو الى الخير لا الشر، للحق ليس للباطل، ليس كما تدعو رسالة الإسرائيليين هذه الأيام، للشر والباطل وسرقة الأرض، وقتل الشعب المسالم، وطرد العائلات من بيوت أجدادها وهدم المنازل، واقتلاع الشجر الذي عمر مدى التاريخ وحرق المزروعات.

لم يتركوا شرا الا تأبطوه، ولم يتركوا حقا الا هدروه، ولم ينج من جرائمهم الجماعية بيت أو جامع أو كنيسة.

إذا كان هذا هو الوضع، فكيف يواجه الفلسطينيون هذا العدو.

هم شعب لا دولة لهم، ولا ارض يتحكمون بها، ولا جيش يعتمدون عليه.

شعب يحاصره الأخ والصديق قبل العدو.

بلادهم ليست فيتنام ولا الصين ولا كوبا. وما لهم لا يشبه حال الجزائر، كانت مختلفة من هذه الناحية، كذلك اليمن.

حركات التحرر في العالم انتصرت عبر «حرب الشعب طويلة الأمد»

اســتراتيجية انهاك العدو الغازي عبر ســنين طويلة الأمد من الصمود والتصدي، أفلحت في فيتنــام والجزائر، لكن فلســطين جغرافياً لا تعطي غطــاء، وكثافتها البشرية تتركز في الخارج، ومن حيث التســليح فهي محاصرة من كل الجوانب، ومحاصر هو الفلسطيني حيثما كان.

ان هتــف أجرم، فيزج به في ســجن عــربي أو أجنبي، وان هزّ قبضتــه اعتبر خارجا عن القانــون، وان كتب اغتاله الصهاينة ـ كما اغتالوا غســان كنفــاني، وحاولوا اغتيال أنيس الصايغ، واغتالوا وائل زعيتر، وكمال ناصر، وغيرهم.

تحول منطق العالم إلى اللا منطق على يد الآلة الصهيونية.

فالمناضــل من اجــل الحرية إرهابي، والمدافع عن نفســه وأطفاله إرهابي، والمحرض على النضــال من اجل الحرية إرهابي، والمتظاهــر ضد الاغتيال وهدم البيوت وطرد العائلات من أراضيها إرهابي.

وأصبح الإرهابي الحقيقي، المستعمر، الذي يرتكب جرائم ضد الإنسانية وجرائم جماعية ويتاجر بأعضاء أجساد القتلى ويتاجر بالرقيق الأبيض، هو ضحية الإرهابي.

أمام هذا كله ماذا كان على الفلسطيني أن يفعل.

ففــي عام ١٩٦٧ عاش الفلســطينيون ظروف القهــر والاعتداء والعنصريــة الإسرائيلية الدموية مرة أخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة.

أصبحت فلســطين من النهر للبحــر تحت الهيمنة الصهيونية وأدوات بطشــها وقمعها وأسلحتها المحرمة دوليا.

فماذا يفعل الفلسطينيون وهم يرزحون تحت قبضة حصار خانق؟

استراتيجية جديدة للمواجهة:

عــلى ضوء هذا التمثيل التاريخي تحرك وديع حــداد بعد تفكير طويل وتجارب عديدة بدأت بحركة «الفداء القومي» في أوائل الخمســينات، آمن وديع حداد إيمانا قاطعا بان طرد الصهاينة من فلسطين لا يمكن أن يتم بمعزل عن امتداد وبعد الفلسطينيين القومي.

فالتقســيمات التي فرضها الاستعمار على المنطقة العربية كانت أحدى وسائله للسيطرة على المنطقة وإخضاعها وإخضاع شعوبها لعبودية ذات أشكال متعددة: جغرافيه وأمنية وعسكرية واقتصادية.

ان هذه التقسيمات تستهدف منع وحدة العرب.

مــن هنا انخراط وديع حــداد مع زميله الدكتور جورج حبش وآخرين لتأســيس حركة عربية لها هدف واحد وهو الوحدة العربية لتحرير فلسطين.

كان لوديع حداد اضافه لذلك أفكار تنصب حول ممارسة الكفاح ضد المعتدين المحتلين لأراضي العرب، وان واجب القوميين العرب هو الأعداد والانخراط في الكفاح العربي ضد المستعمر حيثما كان على ارض عربية.

تغييرات ما بعد حزيران ١٩٦٧ بحركة القوميين العرب:

في حزيران من العام ١٩٦٧ عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا هاما شــكل تحولا كبيرا في تاريخ وبنية حركة القوميين العرب، كذلك في هيكلية ونظام قيادتها.

فقد اتخذت قرارا بفك «المركزية» التي كانت تدير حركة القوميين العرب.

فصلــت الأقاليم عن بعضها وطلب من كل عــربي أن يلتحق بتنظيم أقليمة. أي أن على الكويتــي أن ينضوي تحت لواء إقليم الكويــت، والجزائري تحت اقليم الجزائر، وكذلك اليمني والسوري والفلسطيني.

وشكلت هيئه تنسيق بين الأقاليم برئاسة الدكتور جورج حبش.

وكلف الدكتور جورج بتأســيس تنظيم فلســطيني يوحد صفوف الفلســطينيين ويعيد لصفوفهم القيادات والكوادر التي فرزت لتنظيمي شباب الثأر وأبطال العودة، وان يعلن

عن تأسيس التنظيم وبدء كفاحه المسلح في الوقت المناسب، واختار جورج حبش عددا من الكوادر، كنت أنا احدهم، حملت منه رسـالة للتنظيم في الأردن والتقيت بمصطفى الزبري «أبو علي» الذي اغتالته إسرائيل في رام الله عام ٢٠٠٤. كذلك ب ابو عيسى وأبو سمير وغسان قمحاوي بهدف لمّ الصفوف والانطلاق في كفاحنا المسلح ضد المحتلين.

تسـلم الدكتور وديع حداد مسؤولية الاعداد والتجهيز العسـكري، فيما تسلم الدكتور جورج حبش المسؤولية التنظيمية والسياسية.

وتم اقرار توجيه اكبر عدد ممكن من الكوادر إلى داخل الأرض المحتلة وتشـكيل قيادة في الداخل ورفدها بالمدربين والسلاح تهيأ لانطلاق الكفاح المسلح.

فتوجه للأرض المحتلة كقيادة: اسـعد عبد الرحمن، واحمد خليفة وتيسـير قبعة، وعبد الرحيـم جابـر «إلى منطقة الخليـل» إضافة لمجموعة جيدة من الكـوادر كانت داخل الأرض المحتلة.

ومد قطاع غزة نظم شباب القوميين العرب الذين خدموا في جيش التحرير الفلسطيني أنفسـهم وشكلوا قيادة تنسق مع قيادة الضفة عبر الدكتور وديع حداد فكان منها: أبو نضال المسلمي وأبو رأفت «عقيد» وغيفارا غزة لاحقا لقيادة النضال في قطاع غزة.

كان الدكتور وديع حداد هو الرأس العسـكري الذي ينسـق عمليات التدريب وتهريب السـلاح للداخل، وتسلم الأعضاء غير المدربين عبر النهر وتهريبهم لدمشق وبغداد ليتم تدريبهم وإعادتهم للداخل «الأرض المحتلة».

مع منتصف عام ١٩٦٨ بدأت معسكرات الأردن في العمل التدريبي. كانت أيضا بإشراف الدكتور وديع حداد خاصة بعد أن اعتقل الدكتور جورج حبش في سوريا في نهاية ١٩٦٧ وبداية ١٩٦٨.

خصوصية النضال الفلسطيني

مع بداية الكفاح المسـلح عبر الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين اسـتراتيجيا وتكتيكيا، بدأت تظهر لوديع حداد ومجموعة من المفكرين والمناضلين المحيطين به أو الذين كانوا على اتصال معه، ان حسـاب البيدر لا يتطابق مع حسـاب الحقل. لا بل انه في كثير من

الحالات كان اقل بكثير مما كان متوقعا.

فقد قضت إسرائيل على جزء كبير من الشبكة التنظيمية التي نسجت داخل الأرض المحتلة، وكلفت الكثير من الجهد والعناء والتضحيات وتطلبت تدريبات مضنية وتعبئة سياسية جديدة، وبحثا لا يتوقف عن مصادر للسلاح والذخيرة، وأي سلاح وأي ذخيرة! فقد كانت جميعها من الأنواع الخفيفة التي لا تتناسب حتى مع بنادق الجنود الإسرائيليين.

ناهيك عن عدم وجود مضادات للدروع والطائرات والأسلحة البدائية لحماية القواعد والمخيمات والمعسكرات.

بعد تمكن جيش الاحتلال من توجيه ضربات أصابت تنظيمات المقاومة داخل فلسطين بالشلل، وامتلأت سجون إسرائيل بآلاف المعتقلين من الشباب والنساء والأطفال، تراجعت التنظيمات للوراء وأقامت قواعد عسكرية في نواح متفرقة من غور الأردن امتدت من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

عدلت التنظيمات خططها فأصبحت مهماتها تدريب القوات المسلحة وتسليحها وتجميعها وإرسال مجموعات منها لتعبر نهر الأردن لتضرب في العمق الإسرائيلي «ساحل المتوسط» أو منطقة القدس وفي معظم الحالات لتشتبك مع الدوريات العسكرية الإسرائيلية التي كلفت لتمشيط وحماية ضفة نهر الأردن الغربية.

انهمكت إسرائيل في أقامة الحواجز والسواتر ونقاط الحماية، وأنظمة الإنذار لمنع الدوريات الفلسطينية من التوغل في الضفة ومنها إلى أراضي ١٩٤٨.

فشقت طريقا ترابيا بمحاذاة نهر الأردن على الضفة الغربية، وقامت برشه صباح كل يوم بمادة مشعه يستطيع جهاز الالتقاط في طائرات الهيلوكبتر التقاط الإشعاعات وتتبعها في حال عبور مجموعة من الفدائيين تلك الطريق.

أقامت أجهزة تعمل بتأثير الصوت، حيث تصدر أمرا لرشاشات أوتوماتكية «دون جنود» بإطلاق النار باتجاه الأصوات.

وكثفت دورياتها المتحركة وعززتها باليات مصفحة وقذائف صاروخية.

كان الفدائيون يجدّون ويبتكرون وسـائل لإفشـال محاولات العـدو. لعب وديع حداد وعدد ممن يعملون معه دورا أساسيا في إحباط محاولات إسرائيل وتكنولوجيتها بوسائل بدائية وبسيطة.

اغضب ازدياد فاعلية المقاومة إسرائيل، أصبحت تحسـب حسـابات مختلفة مع ارتفاع عـدد القتـلى والجرحى من جنودها، ونجـاح مجموعات المقاومـة في القيام بعمليات جريئة في تل أبيب والقدس والخضيرة وغيرها.

كان النشـاط المتصاعد لتنظيمات المقاومة الفلسـطينية قد سمح بإمداد قطاع غزة عبر صحراء النقب والبحر المتوسط بالأسلحة والذخائر، الشيء الذي مكن المقاومة في القطاع من التسبب بنزيف دائم للجيش الإسرائيلي، الذي بدأ يفقد هيبته وأعصابه.

قررت القيـادة الإسرائيلية التي أقلقها تصاعد المقاومـة، ونجاحها في اختراق خطوطها، وأثار مخاوفها المشـاركة الواسـعة لفئة المثقفين وخريجي الجامعات في الكفاح المسلح ضـد الاحتلال، أن تشـن حربا لا هوادة فيهـا لتصفية هذه الظاهـرة الجديدة قبل أن تستفحل.

وحثت غولدا مئير وزير حربها وقادة الجيش والمخابرات على شـن هذه الحرب وتدمير هذه الظاهرة لتبقى مقولتها بأنه «لا يوجد شعب فلسطيني» مقولة قائمة عالميا.

حشـدت إسرائيل قواتها على ضفة نهر الأردن قبالة اكبر مجموعة من قواعد الفدائيين المقاومة في الهضاب والجبال المقابلة على الضفة الشرقية.

شنت هجوما جويا وبريا بالآليات والجنود بهدف تدمير قواعد الفدائيين وإفنائهم.

ألا أن الفدائيين عـلى قلة عددهم وضعف عدتهم تصدوا للمعتدين جنبا إلى جنب مع الجنود الأردنيين البواسـل، ولعبت المدفعية الأردنية الثقيلة المتمركزة في جبال السـلط المرتفعـة والمطلة على الأغوار دورا أسـطوريا في التصدي لأرتـال العدو الإسرائيلي التي عبرت النهر وتقدمت شرقا.

وانزل التلاحم الأردني الفلسـطيني أفدح الخسـائر بالجيـش الإسرائيلي فأعطبت آليات وسقط قتلى وجرحى. كما سقط عشرات الشهداء من الفلسطينيين.

معركة الكرامة كانــت المعركة المباشرة الأولى التي يخوضها الجيش الصهيوني منذ حرب ١٩٦٧ التي أنزلت بالعرب الخزي، وسجلت لهم علامة سوداء لا تمحى وأصابت الجماهير العربية بالقنوط واليأس والمهانة.

ونتيجة للمواجهة في معركة الكرامة شـاهدت الجماهير العربية الدبابات الإسرائيلية قد احترقت بألغام المقاومة ومدفعية الجيش الأردني وصورت وسـائل الأعلام جثث الجنود الإسرائيليين قد احترقت داخل دباباتهم التي كبلوا فيها إلى مقاعدهم.

بـدأ التحول في الروح المعنوية العربية، وجاءت النتائج بما لا تشـتهي غولدا مئير. لكنها اسـتمرت في إصدار تعليماتهـا بتدمير فصائل المقاومة وتصفيـة قياداتها وإنهاء ظاهرة المقاومة.

لم يخـدع هـذا الانتصار وديع حداد، بـل جعله يتعمق أكثر في الإسـتراتيجية والتكتيك المناسـبين لكفاح الشـعب الفلسـطيني، لانتزاع حريته واسـتعادة أرضـه وبناء دولته المستقلة.

كل مرحلة مـن المراحل «القصيرة» التي مرت بها المقاومة الفلسـطينية، حديثه العهد بالكفاح المسـلح كانت تفرز دروسـا وعبرا. شـكلت هذه تراكما هامـا أضاف للخبرات السابقة، وتجارب الشعوب زخماً في ذهن الدكتور وديع حداد وزملائه.

من قواعد حرب الشعب طويلة الأمد، إلى المسيرة الكبرى، إلى الإنزال البحري، إلى اللجوء للحيـل، إلى عبور نهر الأردن، إلى قواعد الارتكاز ومنصات الانطلاق، إلى تنظيم المدن في الداخل.

كلهـا أحدثت تراكمات عينيه ومفيدة لكنها لم تعط الحل الكامل لكيفية مواجهة العدو الإسرائيلي الذي يسـيطر على الأرض، ويقيم عليها دولة تتلقى مسـاعدات مالية طائلة وتدجج سـنويا بأحدث أسـلحة الدمار والتدمير، ويحافظ الغرب الامبريالي على تفوقها العسكري كمّا ونوعا، على مجموع دول منطقة الشرق الأوسط وربما أوروبا أيضا.

تبلورت وجهة نظر وديع حداد تدريجيا من خلال التجربة والاحتكاك الايجابي مع الأفكار والآراء التي طرحتها المجموعات الثورية في أوروبا وأميركا اللاتينية بعد عام ١٩٦٨.

شـــكلت فلســـطين حالة منفردة تحتاج إلى حلول لا تتسم اطلاقا بالبساطة أو الخلو من التعقيدات التي تواجه حركات التحرير في حل معضلاتها.

بل شـــكلت حالة منفردة في تعقيداتها وتشعباتها، كذلك في الظروف الدولية والإقليمية التي تحيط بها إضافة لطبيعة الكيان الاســـتيطاني الذي أقيم على ارض فلســـطين وقوته المرتبطة عضويا بقوة الدول الامبريالية التي أقامته وأبقت عليه حيا وقويا حتى اللحظة.

فقد شـــكل هـــذا الكيان مصلحة رئيســـية من مصالح هذه الـــدول وأداة إقليمية هامة لتحقيـــق أهداف الدول الامبريالية في منطقة الشرق الأوســـط التي تعوم على بحار من النفط والغاز، وتشـــكل أســـواقا رئيســـية وهائلة لبضائع ومنتجات هذه الدول، وتحتل موقعا جغرافيا استراتيجيا في المواجهة غير الساخنة بين الغرب والشرق.

(الفصل الثاني)

العامل الأممي في الخلفية التاريخية لوديع حداد

في الوقت الذي تأججت فيه نار المقاومة في فيتنام، وراح الأمريكيون يصعّدون عدوانهم في تلـك المنطقة، ويزجون بمزيد من القوات ويصعّـدون قصفهم الجنوني لمدن وموانئ فيتنام الشمالية مستخدمين القاذفات الضخمة من طراز ب ٥٢، والقنابل المحرمة دوليا، في هذا الوقت شهدت أوروبا تحولات وتطورات هامة.

عمـت الأزمات الاقتصادية دول أوروبا وتصدعت الأحزاب الشـيوعية التي اتهمت من جمهورها بالتكلس والكلاسـيكية وعدم إيجاد الحلول لازمات المجتمع ومشاكل الطبقة العاملة في أوروبا.

شـكلت الحركة الشعبية الواسـعة لدعم الشعب الفيتنامي محور نشاط سياسي بارز في كافة الدول الأوروبية والاسكندنافية.

أي أن التصعيـد الامبريالي الدموي ضد شـعب فيتنام رافقه حركة شـعبية مناهضة في الدول المعتدية التي ساندت العدوان على فيتنام.

فنهضت حركة شـعبية عارمة في الولايات المتحدة ضد الحرب في فيتنام، كذلك في الدول الأوروبية التي كانت تعاني من حالة اختناق اقتصادي.

وتوسـعت هذه الحركات وراحت تستقبل الجنود الهاربين والرافضين للحرب في فيتنام، ويقدمون أنواعا متعددة من الدعم لفيتنام.

بدأت التفجيرات في المجتمعات الأوروبية، في ظل ظروف يتسـارع معها اندماج عوامل التفجير.

تصاعـد عدوان الـدول الأوربية الامبريالية على فيتنام، وتنامـي الأزمة الاقتصادية التي قلصـت لقمة عيش العمال والفقراء في المجتمعات ذات الأنظمة الرأسـمالية، وفشـل الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في تقديم حلول لمشاكل المجتمعات الرأسمالية.

كلها تضافرت، فبدأت الانشقاقات في الأحزاب الشيوعية والاشتراكية وانتشرت المجموعات الثورية في كل الدول الأوروبية تتدارس وسـائل المواجهة، وامتدت الأفكار المطروحة من الماوية إلى الجيفارية إلى التروتسكية إلى أفكار ريجيس دوبريه وتشي جيفارا.

تمحورت حركة تلك المجموعات تحت يافطات الماوية، والجيفارية.

كانت قمة الانفجار في شـهر أيار من العام ١٩٦٨ في فرنسـا، فسـدت الطرق وأقيمت الحواجز وأعلن العصيان واندلعت الحرب بين المجموعات «الثورية» غير الموحدة وقوات امن النظام، فانهارت كميونة باريس ١٩٦٨ وانقسمت المجموعات الثورية على نفسها.

هـذا لم يضع حـدا لتفاعلات الوضع الاقتصـادي المتفاقم سـوءا، ولم يتمكن من بلورة بدائـل ثورية تسـتطيع أن تقود معارضة فاعلة قادرة على احـداث التغيير المطلوب في المجتمعات الأوروبية.

فازدادت الانقسامات في صفوف الشيوعيين والاشتراكيين واندثرت تكتلات انتعشت أثناء الانتفاضة، التي امتدت إلى المجتمع بأكمله.

الكنيسـة أيضا كانت مسرحا لنشـوء معارضة ثورية من الكهنة الشباب، وامتدت هذه الحركة لكنائس أميركا اللاتينية والمشرق.

الاهتـزازات في المجتمعـات الأوروبية اسـتمرت، وان كان صوتها اهدأ في شـهري أيار وحزيـران. وعادت الاهتـزازات إلى توليد انفجار جديد كانـت ألمانيا قاعدته هذه المرة ليس فرنسا.

بـرز القائد الطلابي كوهين الذي تزعم حركة طلابية ثائرة حركت المجتمع، وطرح نظرية جديـدة هـي قيادة الطلاب للمجتمـع. لكن هذه الحركة سرعان مـا همدت لافتقاده الأساس الفكري والمادي لإحداث التغيير.

أصيبت الحركة الثورية بكل تشعباتها الأوروبية بالوهن وسارعت نحو الاندثار.

لم يمنع هذا من بقاء انويه ثورية متماسكة وصلبة قائمة وفاعلة، لكن حائرة في الإجابة على سؤال: ما العمل؟

انكبت هذه البؤر الثورية الأوروبية على الدراسة والتحليل والبحث.

انكب قياديون من تنظيمات ثورية صغيرة أفرزتها تجارب عام ١٩٦٨ على البحث عن حلول لازمتهم وأزمة مجتمعاتهم.

وتبين لهم بما لا يقبل الشك أن لا حل لمشاكل المجتمعات التي تعاني من استغلال الامبريالية وتخضع لها سياسيا واقتصاديا وفكريا.

وفي الوقت التي نظرت هذه المجتمعات إلى نفسها كنقيض ومعارض ومقاتل ضد النظام السائد في مجتمعاتها رأت في الثورة الفيتنامية والثورة الفلسطينية حليفا لها ضد أنظمتها الرأسمالية والامبريالية.

فقد رأوا أنفسهم وحركات التحرر في الشرق الأوسط والشرق الأقصى في معسكر واحد، يقاتل ضد النظام الرأسمالي والامبريالي الذي يستغل الشعوب الفقيرة المتخلفة ويستعمرها بوسائل جديدة عبر أدوات محلية كالنظام في فيتنام الجنوبية والنظام العنصري الصهيوني الذي اقامته الدول الاستعمارية على ارض فلسطين.

بعد أن حددت هذه التنظيمات الثورية الصغيرة موقعها كحليف لحركات التحرير في الشرقين الأقصى والمتوسط.

هذا التحالف أو الاصطفاف إلى جانب حركات التحرر في العالم الثالث لم يكن جديدا، بل كان قائما بدرجات متفاوتة في السابق، الا أن التعبير عنه كان يتم بأجهزة الأعلام أو بالتعبير عن مساندة حركات التحرر بمظاهرات متصاعدة تقوم بها جماهير المجتمعات الخاضعة للنظام الرأسمالي الامبريالي.

لم يدفع فشل هذه التنظيمات الثورية الصغيرة في انتفاضها في صيف ١٩٦٨ قياداتها للتخلي عن فكرة التغيير بالصف الثوري.

فقررت التوجه للشرق لبحث الوسـائل الجديـدة لترجمة أيمانها بضرورة اللجوء للعنف الثوري في مواجهتها لأنظمتها التي تسوم شعوب العالم الثالث عذابا، وتخضعها لعمليات نهب تنزل بالشعوب الآم الفقر والمرض والجهل، وتدوس كرامتها وحقها في تقرير المصير والحرية والاستقلال ومنعها من التمتع بأبسط حقوق الإنسان.

هنا لاحت فرصة الجديد.

الجديد في مواجهة الامبريالية القوية المدججة بالسلاح الفتاك من قبل الضحايا.

لاحـت فرصة لتحالف بين حـركات التحريـر، ومجتمعات يحكمها النظام الرأسـمالي، ويسـتغلها بنسـب متفاوتة في ظل اسـتغلاله الكامل للشعوب المسـتقلة والمستعمرة بواسـطة عملاء الامبرياليـة أو أنظمة أقامتهـا الامبريالية قاعدة لها لاسـتغلال مناطق بأكملها كما كان يجري في الشرق الأوسـط على يد قاعدة الامبريالية إسرائيل العنصرية، كـما كان يجري في جنـوب أفريقيا على يد النظام العنصري الـذي أقامته الامبريالية في جنوب القارة الإفريقية.

أنظمة الاسـتعمار الاسـتيطاني لخلق مجتمعات تعتمد على الامبريالية لتستغل مناطق شاسعة تنهب ثرواتها والسيطرة على أسواقها.

وبـرز الجديـد في كيفية تصـدي التحالف بين حـركات التحرر والمنظـمات الثورية في المجتمعات الرأسمالية. كان الجديد ما طرحه الدكتور وديع حداد وتبعه هذا التحالف.

(الفصل الثالث)

بلورة شعار وراء العدو في كل مكان كما فكر وديع حداد

السـؤال ذاته: ما العمل؟ كان يدور في ذهن القيادات الفلسطينية التي واجهت سلسلة من الضربـات تمكنت إسرائيل مـن توجيهها لوسـائل وهيكليات المواجهـة والمقاومة الفلسطينية.

فقـد تمكنت إسرائيل من توجيه ضربة شـديدة للتنظيمات الفلسـطينية داخل الأرض المحتلة في المدن والقرى والمخيمات الفلسـطينية وتنبهت أجهزتها لعمليات التسلل غير المسـلح، وضاعفت عدة مرات حجم أجهزة الأمن الداخلي والمخابرات الداخلي الشـين بيت، والاسـتخبارات العسكرية، آمان، كان على فصائل المقاومة أن تعيد بناء تنظيماتها بمركزية مختلفة، وببطء شديد.

فبدلا من الصِلات التنظيمية الفقيرة، اضطرت القيادة لإقامة شـبكات ذات صلة بعيدة، وارتبطـت الخلايا السرية في الداخل بخيـوط تنظيمية طويلة مع الخارج حتى لا يؤدي أي انهيار خلية في مخيم الدهيشـة مثلا انهيار خلية أخرى في الدهيشة، طالما أن الخلية لا تعرف عن وجود الأخرى.

كلف هـذا النظام الجديد الكثير الكثير من الوقت والجهـد والمال وجعل العمل بطيئا وإصدار التعليمات والأوامر متباعدا وتوصيل السـلاح والذخيرة صعبا للغاية. فتراجعت عمليات المقاومة وتباعدت.

هذه أمثلة على المصاعب والعقبات التي بدأ يواجهها العمل المقاوم داخل الأرض المحتلة.

يضاف إلى ذلك عقبات لوجستية وسياسية برزت أمام عمليات الأعداد والرفد.

حصل هـذا في ظل التنبه الإسرائيلي، وإجـراءات الاحتلال واسـتعادة الأنظمة العربية لأدواتهـا العسـكرية والأمنية بعد أن منيـت أثناء حرب ١٩٦٧ بضربـات كبيرة دمرت صفوفها وشلت تنظيمها وفاعليتها.

وأصبحت عرضة للضغوط والتهديدات الإسرائيلية.

كان البند الأول والأسـاسي في ذهن الدكتور وديع حداد، هو اسـتمرار توجيه الضربات للمفاصـل الضعيفة والحيويـة للعدو المحتل بحيث تحدث تراكـمات كمية على مدى زمني تجبر فيه إسرائيل على التراجع. بحسـابات بسيطة تبين أن تركيز الجهد الإسرائيلي عـلى ضرب مفاصل المقاومة داخل الأرض المحتلة في محيطها القريب اجبر إسرائيل على الزج بكل ثقلها في هذا الاتجاه.

فمهمات «الشـين بيت» المخابرات الإسرائيلية تركزت على الضفـة الغربية والقطاع، في البحث عن معلومات حول السلاح والتنظيم السري والقيادات داخل وخارج فلسطين.

وتركزت جهود الجيش عـلى مراقبة الحدود وتطوير العراقيل الالكترونية أو الميكانيكية لمنع التسلل وتهريب السلاح أو الحد منه إلى درجة تجعله عديم الفائدة.

استخلص وديع حداد من دراسة هذه المعطيات والتطورات أن على المقاومة الفلسطينية أن تشـتت التركيز الإسرائيلي بتوسيع رقعة المعركة وبالتحالف مع قوى مستعدة للقتال ضد العنصرية الإسرائيلية في الساحات الأوسع من الأرض المحتلة، وهذا يعني في منطقة الشرق الأوسط والعالم.

اسـتخلص كذلك أن توسـيع الرقعة الجغرافية للمعركة يتطلـب التحالف مع منظمات عالميـة «دولية» مقتنعة بضرورة التصدي لإسرائيل لانهـا إفراز من الإفرازات الامبريالية على شكل استعمار استيطاني -كما يجري في جنوب أفريقيا-

أن تقوم الثورة الفلسطينية بتوجيه ضربات موجعة لمفاصل إسرائيلية حيوية وضعيفة.

كان يعنـي توجيه ضربات للمصالـح الإسرائيلية خارج إسرائيـل، أي في أوروبا، وأميركا، وأميركا اللاتينية.

تبلورت أفكار وديع حداد ومجموعة من زملائه المقربين جدا.

فعدلت الإســتراتيجية بحيث أضيف لها بند جديد وأساسي له فلسفته وترابطه المنطقي مع معارك الحرية والتحرر الكبرى.

وأصبحت تتكون من:

- العمل على تنظيم الشــعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة ليثور ضد الاحتلال والكيــان العنــصري الذي أقامتــه الامبريالية على أرضهــا، وان تخصص مجموعات لتوجيه ضربات عســكرية موجعة داخل الأرض المحتلة وان تعبأ الجماهير للتظاهر والانتفاض على الاحتلال.
- أن تســتمر عمليات الترابــط العضوي مع حركة التحرر العــربي وانخراط المواطنين العرب في صفوف الثورة الفلسطينية لضرب الاحتلال الإسرائيلي.
- أن تتوســع رقعة التصدي والقتال لتشــمل ســاحات بعيدة عن فلسطين في أوروبا والأميركيتين.

كانت عناصر التنفيذ واضحة المعالم، داخل الأرض المحتلة وخارجها.

وعلى الصعيد الإقليمي «المنطقة العربية» يقوم التحالف الفلسطيني العربي على تنفيذ خطة العمل.

أما على الصعيد الدولي فيقوم الفلسطينيون وحلفاؤهم الأوروبيون والأمريكيون بتنفيذ برنامج العمل.

بدأ وديع حداد بوضع خطة العمل لإقامة هذا الحلف الدولي.

فاســتبدل العلاقة السياسية والإعلامية مع منظمات ثورية أوروبية كبرنامج عمل يشمل الكفاح المسلح أو العنف الثوري. وجد هذا ارتياحا كبيرا لدى قيادات هذه المنظمات.

كانت معظم هذه التنظيمات الثورية الصغيرة التي اســتمرت بعد فشل انتفاضة صيف

١٩٦٨ الأوروبية قد وصلت إلى قناعات حول الانضمام لحركات التحرير للتصدي لأنظمتها الرأسمالية جنبا إلى جنب مع حركات التحرر، واعتبرت أن تحقيق أهداف حركات التحرر سـوف يضعف إلى حد بعيد الأنظمة الامبريالية مما سـيتيح مجالا لتراكمات ثورية قد تؤدي لانهيارها تحت وطأة أزماتها الاقتصادية الحادة.

وتطابقت الأهداف بشـكل مركزي فمن ناحية أراد الفلسطينيون حلفاء دوليين يعملون معهـم على توجيه ضربـات لمصالح إسرائيل، وهـي مصالح امبرياليـة. وأراد الثوريون الدوليون الانخراط في كفاح ثوري مسلح ضد مصالح الامبريالية من خلال حركات التحرر الوطني.

كان هذا هو الأسـاس الموضوعي للتحالف الذي أنشـأه الدكتـور وديع حداد، ولم تكن اقامة التحالف بالمسألة الهينة.

فقد كان على وديع حداد «أبو هاني» ورفاقه أن يناقشـوا تفاصيل الأسـاس الموضوعي للتحالف وان يناقشـوا برنامج العمل العام انطلاقا من خصوصية النظام الذي تعيش في ظله كل مجموعة من المجموعات.

كان عـلى د. وديـع حداد ورفاقـه، التأكد من السـلامة الأمنية لمثل هـذه الخطوات، وللتنظيمات التي ستشارك في الكفاح المسلح ضد المصالح الامبريالية، على رأسها مصالح إسرائيل.

فبلـور صيغة يقام فيها تحالف يضم عدة تنظيمات أوروبية وغيرها وربط التحالف مع الفلسطينيين عبر علاقات منفردة مع الفلسطينيين أي أن كل تنظيم كان له صلته بالمركز لكنه لم يكن يعرف التنظيم الأخر.

كان كل تنظيم يعلم انه ضمن تحالف واسـع، يسـتند لنفس الأساس وله نفس البرنامج العام. كان كل تنظيم جزءا من التحالف ومستقلا عن البقية.

وأطلق عندها د. وديع حداد شعار: «وراء العدو في كل مكان» وفتحت صفحة جديدة في تاريخ الكفاح المسـلح، صفحة سطرها تحالف ثوري فلسطيني وأممية ثورية صغيرة.

انطلقت العمليات تحت هذا الشعار «وراء العدو في كل مكان» وأطلق عليه اسم:

« المجال الخارجي» وتعددت الأسـماء التـي تطلق على هذا الجانب من العمل الثوري الفلسطيني فسمته الصحافة أحيانا: جناح وديع حداد و العمليـات الخاصة، ودائرة العمل الخاص في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أو العمليات الخارجية.

كان الجوهر أن يشن هذا التحالف عمليات خارج فلسطين وتستهدف المصالح الحيوية الإسرائيليـة بحيث تتشـتت عملية التركيز الإسرائيلي على فصائل المقاومة في فلسـطين، وبحيث خلق وعي عالمي للحقوق الفلسطينية، وحق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير.

كان واضحـا للدكتـور وديع أن هذا الخـط هو خط جديد في الفكر الثوري وممارسـة العنف الثوري.

وأضاف للقاموس الثوري مدرسـة جديدة إلى جانب الغيفارية، وحرب الشـعب طويلة الأمد.

هكـذا بدأ وديع حداد العمل في هذا الميدان الجديد الذي أذهل العالم وأرعب الأنظمة الامبريالية، وخلق موجة إعلامية لا مثيل لها أثارت موضوع الحقوق الفلسطينية.

وكبد هذا الخط هذه الدول مليارات الدولارات في محاولة لوضع حد له.

(الفصل الرابع)

اعتقال جورج حبش ومواقف وديع حداد من الخلافات داخل صفوف الجبهة الشعبية

انطلــق وديــع حداد بأقصى سرعــة وأكبر همة نحــو تنظيم العمل العســكري الثوري للتنظيم الذي قررت اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب إنشاءه من أعضاء «إقليم فلســطين»، كان هذا يتطلب تجميع الأعضاء وتأهيلهم في معســكرات، وجلب السلاح والذخائر اللازمة لهم كمقاتلين.

كان يعني تنظيم اخراج الكوادر من الأرض المحتلة لتأهيلها وإعادتها إلى مواقعها داخل الضفــة الغربية وغــزة مع ألاف من الأعضــاء كانوا خــارج الأرض المحتلة ووجب على القيادة إدخالهم مؤهلين للأرض المحتلة.

في الوقــت ذاتــه انطلق جــورج حبش في قيادة العمل الســياسي والحــوارات مع قادة التنظيــمات المقاتلــة الأخرى «فتح وجبهــة التحرير الفلســطينية، احمد جبريل» حول المرحلــة، وكيفية مواجهة العدو، ووحدة أداة الثــورة، اي وحدة التنظيمات المقاتلة في جبهة واحدة تقاتل ضد العدو المحتل.

كما انكبّ على كتابة تقرير ســياسي تنظيمي للمؤتمر الأول للتنظيم الفلســطيني لحركة القومين العرب، ونظام داخلي جديد واســتراتيجية عمل جديدة. وعمل إلى جانب وديع مجموعة من أعضاء القيادة المؤقتة، منهم مصطفى الزبري، وأبو عيسى الطيراوي، وزكريا أبو سنينه، واسعد عبد الرحمن، واحمد خليفة، وتيسير قبعة، والحاج فايز جابر، وصبحي التميمي، وبسام أبو شريف، وحمد الفرحان، وزكي هللو.

وتقــرر أن تتوجه لــلأرض المحتلة قيادة للداخل مكونة من احمد خليفة، واســعد عبد

الرحمن، وتيسير قبعة، وفيصل الحسيني، وعبد الرحيم جابر.

انتظم عقد قيادة عمان من مصطفى الزبري، وحمدي مطر أبو سـمير، وحمد الفرحان، ولفترة د. بسطامي.

في هـذة الأثناء كان وديع حداد يقيم في دمشـق التي اتخـذت مركزا لجميع العمليات التحضيرية واللوجيسـتية. وكان يسـاعده مجموعة من القيادات منها: بسام أبو شريف وزكي هللو، والهيثم الأيوبي، وأكرم صفدي، وهاني الهندي.

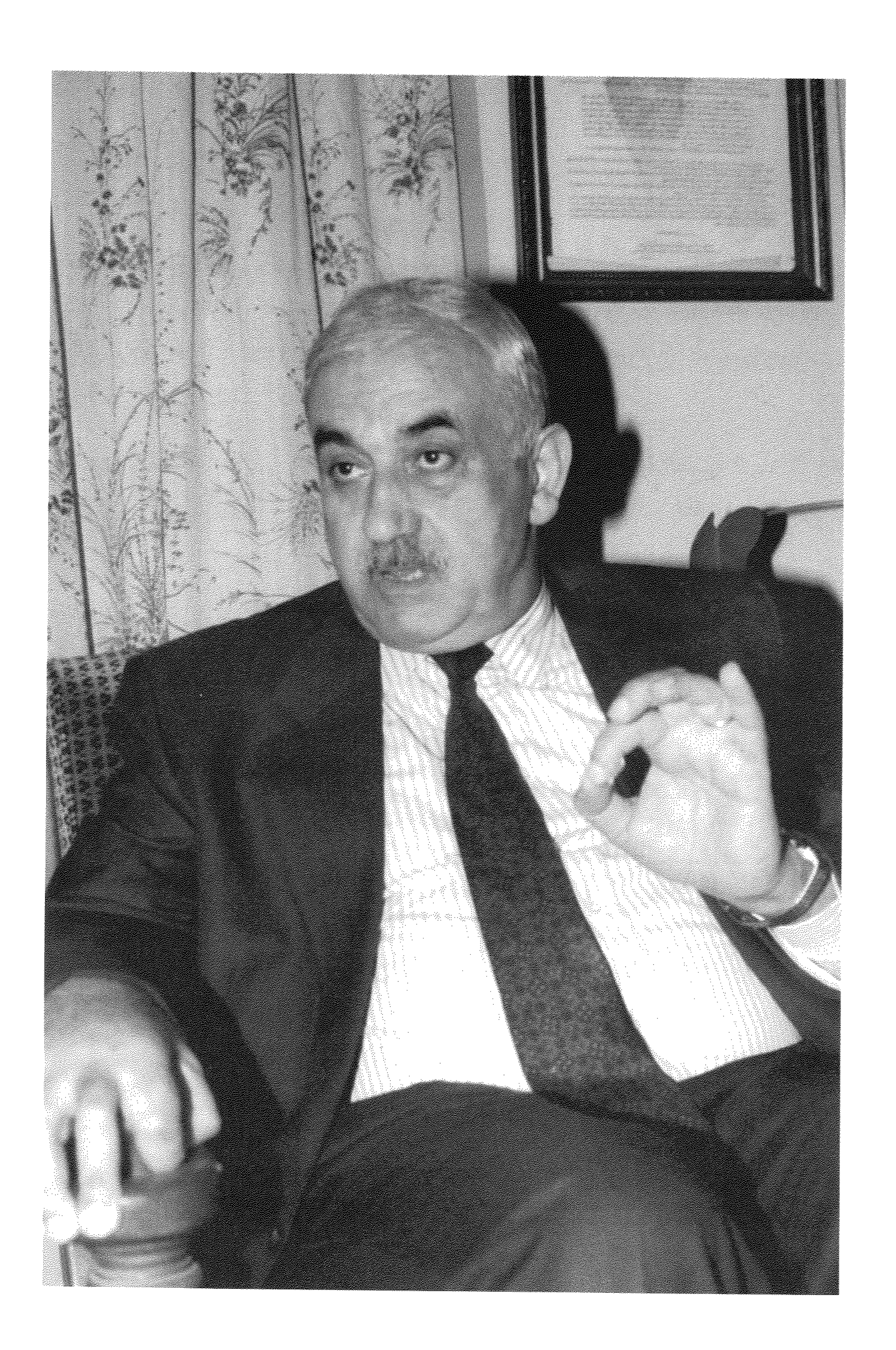
سرعان ما اعتقلت قيادة الداخل، ووجهت ضربة للتنظيم المنتشر في الضفة وقطاع غزة، واعتقل الدكتور جورج حبش في دمشـق بتهمة التحضير لانقلاب، وأودع سـجن الشيخ حسـين وسـط دمشـق، واضطر وديع حداد للتوجه إلى عمان بعد ان أصبح العمل في دمشق صعبا، لا بل مخاطرة.

أصبح الوضع مربكا للدكتور وديع، ولم يعد قادرا على إعطاء جهده للنواحي العسكرية فقط. كان عليه أن يحمي الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين التي أعلن اسمها في الثامن من نوفمبر ١٩٦٧.

إذ عصفت بصفوف الجبهة القاعدية والقيادية رياح التغيير والفكر الجديد، واليسارية، والماركسية اللينينية.

حاولـت مجموعة من الكوادر الطلابيـة بقيادة نايف حواتمة أن تسـيطر على الجبهة محتمية بهجوم ظالم على كل القيادات القديمة متهمه إياها بالتخلف الفكري والارتهان للأنظمـة الوطنية «البرجوازية الصغيرة» مثل نظام جمال عبد الناصر وان هذه الأنظمة وبرامجها هي سبب الهزيمة، هزيمة ال ١٩٦٧.

كان يضـم هذا التيار بقيـادة نايف حواتمة: صالح رأفـت، وإبراهيم قبعة، وعلي قبعة وأديب عبد ربه «ياسر عبد ربه»، وعبد الكريم الحمد «وسـمير شهاب الدين» ومحمد كتمتـو، وكوادر شـابه أخرى جاءت من إقليم فلسـطين المنتشر في عـدد من البلدان العربية.



تقرر عقد المؤتمر الأول للجبهة في شـــهر أب من عام ١٩٦٨ وعقده في منطقة بين عمان وجرش اسمها «عين الرمان».

واندلع الصراع بين التيارين.

وانسـحب من المؤتمر حمد الفرحان احتجاجا على ما يدور، وعندما حان وقت انتخاب قيادة جديدة رفض وديع حداد المشاركة، ورفض كذلك آخرون من القادة الذين رفضوا تحليل نايف حواتمة الذي وقع في خطأ جسـيم هو اعتبار البرجوازية الصغيرة وأنظمتها جزءا من معسكر العدو كون التنظيم هو تنظيم «البروليتاريا».

رفض وديع حداد وقال: أننا نخوض معركة تحرر وطني، ليس ثورة الطبقة العاملة. هنا ألقى نايف حواتمة خطابا عاصفا تحدث فيه عن نضال وديع حداد ورفاقه وعن بطولات هؤلاء في مقارعة العدو، وأعلن أهمية وأساسية أن يكونوا في القيادة.

ورفض وديع مرة أخرى.

انتهى الأمر بإقرار اقتراح تشكيل قيادة مصغرة مؤقتة تدير العمل وتشرف على التحضير لمؤتمر ينتخب أعضاؤه من القاعدة، ويعقد في شهر شباط من العام ١٩٦٩.

انفض المؤتمر، وعاد الأعضاء إلى ساحاتهم للتحضير للانتخابات القاعدية لمؤتمر شباط.

كان علي العودة الى لبنان التي جرت فيها الانتخابات على عجل، وانتخبتُ عضوا للمؤتمر ما سمح لي هذا بان أعود للأردن بسرعة.

توزع أعضاء القيادة المؤقتة لمتابعة ما أوكله المؤتمر لهم، وقرر وديع حداد أن يسكن في غرفه في مخيم الوحدات لا تصلح الا مخزنا، وسكن نايف حواتمة في شقة بجبل الحسين قريبة من بيت إبراهيم قبعة.

انكب وديع حداد على تحقيق هدف واحد، وهو تحرير جورج حبش من سجنه بدمشق.

بصدور تقرير مؤتمر أب ١٩٦٨ أمر جمال عبد الناصر بقطع العلاقة مع الجبهة الشعبية، وترحيـل أفراد الدورات العسـكرية الذيـن كانت تدربهم مصر ووقـف تزويد الجبهة بالسلاح.

كان ذلك احتجاجا على اعتبار مصر نظاما معاديا ومسئولا عن هزيمة ال ١٩٦٧.

أمر وديع حداد باستطلاع موقع السجن، وحركة الدكتور جورج حبش منه واليه.

شـــتاء الـ ١٩٦٨ كان شـــتاء قارصا، وكانت دمشـــق تتعرض لعواصف متتالية من الرياح والأمطار الشديدة. مما سبب في شوارع المدينة القديمة أزمات سير معقدة.

درجـــت العادة، على جلب الدكتور جورج حبش من ســـجنه إلى مقر المخابرات مرة كل أسبوع، كان يمضي ساعتين في جلسه تحقيق مع مدير المخابرات عبد الكريم الجندي، ثم تعيده قافلة من السيارات العسكرية لسجنه في الشيخ حسين.

في اليوم المحدد، وأثناء عودة «الحكيم» من مقر المخابرات للســـجن، اعترضت ســـيارات انضباط عســـكرية، السيارة العسكرية التي تنقل الحكيم، وتمت سيطرة أفراد مسلحون يلبسون بزات الانضباط العسكري على السيارات العسكرية الأخرى، وجرد العسكريون من سلاحهم واقبل ضابط انضباط عسكري على السيارة التي تقل الحكيم، وأمره بالنزول والتوجه لسيارة تقف على ناصية الشارع.

وضرب الضابط بمسدسه احد الجنود الذي حاول الاعتراض فأغمى عليه.

احتج الحكيم، فصرخ به الضابط أن يهبط ويسرع للسيارة الأخرى، ففعل.

كان الضابـــط العقيد، أبو طلعت، احد أبطال الجبهة الشـــعبية لتحرير فلســـطين. لحق أبو طلعت بالدكتور جورج حبش، ودخل الســـيارة وجلس الى جانبه وأعطى أمرا صارما للســـائق بالتحرك بأقصى سرعة. انطلقت الســـيارة نحو معبر غير رسمي على الحدود بين لبنان وسوريا ودخلت السيارة الأراضي اللبنانية وانطلقت وأسرعت السيارة نحو بيروت.

كانت كافة الأمور قد رتبت.

توقفت الســـيارة، وهبط منها الدكتور جورج حبش، ومرافقوه ليســـتقلوا ســـيارة أخرى قادتهـــم من أمام قـــصر صالحة الى بيت الدكتـــور نجيب أبو حيـــدر، كان بيت العائلة القديم، مطل على البحر من رأس تلة بنهاية «قريطم» وتحيط به حديقة كبيرة يحرسها كلبان من سلالة الذئاب. ويحيط بالمنزل سور قديم مرتفع.

التقينا بالدكتور جورج عناقا، وابلغه الدكتور وديع انه سيسافر في الغد للقاهرة لان لقاء قد رتب مع جمال عبد الناصر. ظن وديع أن هذا هو أفضل طريق للابتعاد عن ملاحقه قد تقوم بها المخابرات السورية.

حالما وصلت عائلة الدكتور جورج حبش، غادر الجميع على موعد لقاء سفره في الغد.

أجريت الترتيبات للحماية، ثم للمواكبة للمطار، ثم الصعود للطائرة.

اذكر أن أكثر من مئة كادر مقاتل انتشر في بهو المطار للسيطرة على الوضع.

ومـا أن وصل الدكتـور جورج حبش في صبـاح اليوم التالي للمطار حتـى التفت حوله مجموعة الحماية واستنفر الباقون تحسبا.

كان جهاز الأمن اللبناني على علم بذلك، وسهل توجهه مباشرة للطائرة الخاصة التي أقلته إلى مصر. حيث كان جمال عبد الناصر ينتظره لبحث ما يجري في السـاحة الفلسطينية، وداخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

بعد بحث مطول عبر فيه الدكتور جورج حبش عن الرغبة والحرص على تنمية التحالف الاسـتراتيجي بين الحركة النضالية الفلسـطينية، ومصر عبد الناصر. تم الاتفاق على لقاء آخر قرر له موعدا شهر شباط من عام ١٩٦٩.

من القاهرة توجه جورج حبش للعراق، حيث أجرى لقاءات سريعة مع القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان قد هيمن على السلطة وتسلمها في عام ١٩٦٨.

تسلم جورج حبش وعدا بالدعم تدريبا وتسليحا، كانت القوات العراقية ما زالت تتمركز في صحراء الأردن منذ حزيران ١٩٦٧، تحديدا في منطقة المفرق الصحراوية.

توجه جـورج حبش للأردن يلفه صقيع الصحراء بلبـاس ضابط عراقي. وصل إلى عمان ليبـدأ مرحلة جديـدة من مراحل العناء مـن التناقضات الداخليـة ومواجهة التصعيد الإسرائيلي في محاولات العدو القضاء على براعم الثورة الفلسطينية الجديدة.

عمليـة تحرير جورج حبش كانت أول عملية خاصة خطط لها وديع حداد واشرف على تنفيذهـا. كانت غرفـة عملياته في مخيم الوحدات جنوب عمان مكونه من مخزن ٢ م

طول وعرض ١,٥٠ م، له نافذة واحدة، وباب من الزينكو لا قفل له.

كانت طاولته طبلية، وفراشه من صوف لبدته السنوات وعجنه نقل الاستعمال.

أطلق وديع حداد في تلك الفترة ذقنه، فنمت، وبدأ وهو يعتمر الحطة والعقال كشيخ من شيوخ السلفيين.

كانت أصابعه الرفيعة والدقيقة تمسك بقلم الحبر الناشف، لتكتب بسرعة المورس كلمات، وترسم أسهما، وتضع علامات سؤال على الورق المنشور امامه.

كانت هذه العملية نموذجا وتجربة، نموذجا للقدرة على التخطيط ودقته، وتجربة للقدرة على التنفيذ ودقتها.

نمت آفاقا لا حدود لها، كانت تبدو أوضح فأوضح مع تصعيد العدو لعدوانه، وازدياد المصاعب والعقبات أمام العمل داخل الأرض المحتلة أو من محيطها.

فتحت هذه الآفاق في مخيلة وديع الثورية أبوابا لا حصر لها، ورسمت أهدافا تنزل بالعدو خسارة وألما.



(الفصل الخامس)

لماذا الجيش الأحمر ومن هو الإرهابي

كثيرون هم الذين حاولوا تفسير ظاهرة الجيش الأحمر الألماني، وما ولد من خلايا ثورية، وما تبقى من مجموعات لاتعرف الجهات المتبقية والملاحقة لهم عنهم شيئا حتى الان.

البعــض يعتقد أن هذه الظاهرة قــد انتهت وان أجهزة مكافحــة الإرهاب تمكنت من القضــاء على تلك الظاهرة في ألمانيا. تماما كما تظن الدي أس تي (DST) أنها قضت على الظواهر المشابهة في فرنسا.

لكن الحقيقة تخالف هذا الاعتقاد، فالظواهر الشــبيهة اســمها إرهابية أو ثورية أو ما تشاء ميولك الفكرية أن تسميها، لا تأتي من فراغ.



اندرياس بادر و أولريكي ماينهوف
مؤسسا خلايا الحمر الألمانية

إذ لا وجود للفراغ في عالمنا هذا.

لا يحدث شيء على وجه الأرض دون أن يكون له محرك ودافع أو نتيجة لتفاعل يحدث تأثيراته جدليا.

الحيــاة جدليــة وكل حركــة في التاريخ جدلية، وتراكم الكمّ في هــذا العالم لا بد ان يأتي بتغيــير النوع. هذا قانون علمي يمكن تطبيقه على قــراءة في التاريخ، وقراءة في الصراع الاجتماعي، ويمكن استخدامه كأداة لقراءة المتوقع وتوقع المستقبل.

عندما نتحدث عن «اولريكه ما ينهوف» يجب ألا يظن احد أننا نعدها نموذجا يحتذى بــه، فقد كانت تلميــذه ابتدائية في هذا البحر الجدلي من الــصراع الاجتماعي والتطور التاريخي.

كانت تتعلم، وان ظن الكثيرون أنها كانت تعلم.

اولريكه ما ينهوف صحفية قادرة على التعبير كتابة عن مشــاهداتها ومشــاعرها. وهي امرأة تتأثر بما يدور حولها، وبما تشاهده وتسمعه وتحس به.

قد بدأت وعيها لما يدور حولها من تناقضات في فترة تاريخية شهدت مخاضات اجتماعية عميقة في كل أوروبا.

وعبرت هذه المخاضات عن نفسها بأشكال متعددة: انتفاضه باريس الكبرى في أيار ١٩٦٨، مظاهرات ألمانيا الصاخبة، انتفاضات متفرقة في هولندا وايطاليا واسبانيا واسكندنافيا.

بطبيعة الحال فشــلت كل هــذه الانتفاضات في أحداث التغيــير، لكن أي تغيير ـ هذه قضيه هامه لم تتمكن كل الفصائل الثورية أو الإرهابية من إيجاد جواب لها ـ

فمن ناحية كانت هذه المجموعات تشعر بما يشعر به المظلومون والفقراء، وسكان مدن التنــك التي تحيط بقصــور الأغنياء في أوروبا. أي أن هــذه المجموعات عانت كما عانى فقراء مدن التنك الأوروبية وأحســت بمطرقة الرأسمالية الظالمة والمستغلة تنهال سحقا على رؤوسهم لتحويلها إلى جماجم.

ومن ناحية أخرى، كانوا يلمسون أن الأحزاب الشيوعية التقليدية أو الإصلاحية لم تنجح في إنقاذ رؤوسهم من مطرقة الرأسمالية وتحولت إلى سندان يكسر عظام أجسادهم.

بين مطرقة الرأســمالية الظالمة وسندان الأحزاب الشيوعية الفاشلة وجد هؤلاء أنفسهم. حاولوا الانتفاض على الوضع ففشلوا، لأنهم لم يحددوا لأنفسهم هدفا أو طريقا للوصول لهذا الهدف.

فتحولت نقاشاتهم إلى تشكيلة من ردود الفعل، أو إلى حالة من العنف الفوضوي، الذي يتلاشى تأثيره بسبب ضياع الهدف.

كانوا جميعا ككرة صنعت من أشرطه قماشية، كلما صوبتها بقوة باتجاه، تفككت الأشرطة وسارت الكرة نحو هدف آخر.

أن يعرف المحللون هذه الظروف هو العامل الأهم في تحليل هذه الظواهر، وإيجاد حلول لأسبابها، ولا يمكن أن تكون المطرقة حلّ من الحلول.

فالقانون العالمي يسري مفعوله هنا أيضا، فلكل فعل رد فعل مواز له في القوة، وهنا يجوز استخدام تعبير وصفي أدق:

«كل عنف تستخدمه سلطات الرأسمالية الظالمة ضد الفقراء والمسحوقين سيواجه بعنف مضاد». ولا شك لدي أن أجهزة الرأسمالية الظالمة ستطلق عليه صفة «الإرهاب» بينما لا تصف عملها وعنفها الظالم الا «بالإجراءات القانونية» أو «حفظ الأمن» أو «حفظ النظام». فهذه التعابير كانت تعني لهذه المجموعات استمرار البطش وإرهاب السلطة ضد المطالبين بأبسط حقوق الإنسان الحياتية: الثمن المناسب بقوة عملهم، وإنتاجهم الذي تنهبه الرأسمالية الظالمة.

أذا استوعب العالم هذا، فسهل تفسير هذه الظواهر.

قد يكون ضروريا هنا أن نفسر أيضا علاقة هذه المجموعات بالثورة الفلسطينية والدكتور وديع حداد قائد العمليات الخاصة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

لماذا التفت المجموعات الثورية أو الإرهابية كما يحلو للرأسمالية والصهيونية تسميتهم، حول الثورة الفلسطينية وحول دائرة العنف الثوري الذي كان يقودها المعلم وديع حداد.

هذا الموضوع أيضا موضوع رئيسي لا بد من استيعابه وفهمه ليكون تفسير الظواهر الثورية في العالم الرأسمالي في تلك الفترة، تفسيرا علميا ومنطقيا.

المطرقة والسندان في الساحة الفلسطينية كانا نفس المطرقة والسندان. فالأوروبيين

والامبريالية الظالمة، والصهيونية التوسعية الدموية، مطرقة تهوي على رأس الفلسطينيين وحلفائهم في المنطقة شكلوا السندان.

والظلم الذي انزل بالفلسطينيين هو اكبر وأعمق بكثير. إذ أن عملية النهب طالت ارض فلسطين وبيوتهم وأملاكهم ومقدساتهم وحول شعب بأكمله عبر سياسة الترحيل بالقوة إلى شعب لاجئين، مدن تنك في أكثر من بلد محيط بفلسطين.

عملية النهب والسلب التي مارستها الامبريالية الظالمة وشريكتها الصهيونية التوسعية لم تطل قوت البشر فقط بل سرقت الشجر والحجر وحرمت بقوة السلاح حرية شعب، وحقه في العيش حرا مستقلا، يقرر ديمقراطيا لنفسه مستقبله.

سميت عملية الدفاع عن النفس من قبل شعب آمن سرقت أرضه وطرد من قراه ومدنه، وحول أولاده إلى مخيمات التنك من قبل معسكر الامبريالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسعية

«إرهاب»

أما ما انزل بالشعب الفلسطيني من ظلم وقتل وما ارتكبته الصهيونية الدموية التوسعية، بدعم من الرأسمالية الظالمة، من مجازر ضد الشعب الفلسطيني: دير ياسين، كفر قاسم، السموع، الجليل، فلا يسمى إرهابا!

القانون هنا مقلوب على رأسه لكن الهرم لا يمكن أن يبقى طويلا صامدا أذا أوقف على رأسه.

الحركة الفلسطينية الثورية كلها، (جميع فصائلها التي شكلت م.ت.ف)، كانت بنفس الوضع الذي مرت به تلك المجموعات الأوروبية مع ملاحظة الفوارق النسبية.

فقد كانت تواجه عدوا يتفوق عليها عدّة وسلاحا، ومقدرة وأجهزة ويهوى على رأسها بالمطرقة دون توقف ـ مثلما كان يواجه فقراء أوروبا مطرقة الرأسمالية الظالمة.

أجبرت الظروف القاسية الفلسطينيين على الدفاع عن أنفسهم بما لديهم من أجساد وحجارة في حين أسمتهم الرأسمالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسعية، إرهابيون.

استوعب الدكتور وديع حداد بعقله العلمي وقدرته على الرؤية الشفافة، الا سبيل أمام الشـعب الفلسـطيني سـوى مراكمة عمليات الدفاع عن النفس ومقاومة الذين نهبوا أرضهم وطردوهم من بيوتهم إلى أن يتحول هذا التراكم إلى تغير نوعي، يشـمل الميزان على الأرض، والرأي العام العالمي، ومواقف الدول الغنية والأمم المتحدة.

كان عليه أن يجد المعادلة المناسـبة، إذ كان الهدف واضحا فيتطلب ذلك اختيار السبل والوسـائل للوصول إليه، أي سـبل ووسـائل احداث التراكم الكمـي في مقاومة العدو، والدفاع عن النفس.

وفي الوقت الذي حار فيه الثوريون الأوروبيون في الإجابة فيه على سـؤالي «ما العمل»، اختط وديع حداد تكتيكا يسهل عملية التراكم.

فآلـة العدو الضخمة والمعقدة والمتقدمـة تكنولوجيا لا يمكن مواجهتها والانتصار عليها بأدوات شـبيهة. لكن من الممكـن احداث خلل فيها من خلال براغيهـا أو مفاصلها أو تيارها الكهربائي.

أي أن توجيه ضربات لنقاط ضعف هذا العدو الظالم والمعتدي والسـارق لأرض شـعب آمن، سوف يربك آلته العدوانية الضخمة.

بما أن هـذه الآلة ممتدة الأذرع ومتناهية الأطراف فـان عملية ضرب مناطق الضعف لا شـك سـتطال ذراعا أو قدما أو مفصلا في بقعة أخرى من العالم المتحدّ ضد الشعوب الرأسمالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسعية.

هكذا كان الوضع في نهاية عام ١٩٦٨، هكذا تبلور شعار:

«وراء العدو في كل مكان»، «وفي كل مكان» كان يعني ملاحقة العدو في أكثر من مكان وبمشاركة تحالفات ثورية دولية.

فإسرائيـل هي طفل الرأسـمالية الظالمة المدلـل، لان مصالحها تقتضي ذلـك. والصهيونية الدموية التوسعية حركة استقلالية رأسمالية بقبضة ولا علاقة للصراع الذي يدور في الشرق الأوسـط، بالديـن والديانات أو خزعبـلات التاريخ، ان ما يدور هو حـرب مصالح، حرب الجشعين الرأسماليين، من ضمنهم الصهيونية الجشعة التي تستغل اليهود والدين اليهودي.

من ناحية أخرى، علينا أن نضيف أن انتفاضات ١٩٦٨ في أوروبا جمعت ذوي الانتماءات الفكريـــة والمختلفـــة بعد إصابتهم بخيبـــة أمل من الأحزاب الشـــيوعية وما فرخت من انشقاقات

(ترو تســـكية، غيفاريـــة، ماوية)، وجمعت أيضـــا فوضويين كانوا يـــرون في كسر قانون الرأسمالية الظالمة انتصارا.

لذلـــك نجد مثلا إلى جانـــب اولريكا ماينهـــوف الكاتبة الصحفيـــة والمطلعة على الفكر اليساري، أندرياس بادر غير المتعلم ولص شوارع وهاوي سرقة السيارات.

لكن «بادر» كان يمتلك الجرأة المجنونة التي لا تحسب للحياة حسابا لأنه يعدّ أن حياته ليست ذات قيمة وطالما انه سيبقى فقيرا مسحوقا قرر أن يستولي على أموال الرأسمالية إلى أن يقضي عليه.

كان أندرياس بادر، ســـارق سيارات فخمة، لم يكن يهمه أن يسرق سيارة عاديه لشخص عادي. بل لسرقة أفخم الســـيارات التي يمتلكها الأغنيـــاء، الحقيقة أن مجموعة الجيش الأحمر التي عرفت باسم بادر- ما ينهوف لم تكن قائمة على فكر أي منهما.

بـــل لعب آخرون دورا أهم بكثـــير من اولريكا ماينهوف في بلورة وكتابه مواقف الجيش الأحمر الألماني.

انطلاقا من هذا الفهم العميق لأســـباب نشـــوء هذه الظواهر، بغـــض النظر عما تطلق الرأسمالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسعية على هذه المجموعات، نقول انه لم ولن تختفي هذه الظاهر طالما بقيت الأسباب قائمة.

ومـــا يزيد من هـــذا الاحتمال، هو أن الفقراء والمســـحوقين والمطروديـــن من أرضهم لا يعدون الحركات الإســـلامية المتطرفة معبرة عما يريـــدون، لكنهم مضطرون للدفاع عن أنفسهم كلما تراكم الظلم، واختفى المنطق، وابسط أسس العدالة.

ففي ألمانيا تجمعت بعض الغاضبات، وشـــكلن تنظيما نســـائيا دون هيكلية، روتي زورا (ROTE ZORA) والتقـــين بعد ذلك بمجموعة كانت معجبة بفكرة الحكم الذاتي أي أن يحكم الشعب نفسه بنفسه:

رسمها (AUTONO MEN) وتحلق حول الصورة الشعبية لتنظيم يساري جديد أفرادا متمردين على سلطة الرأسمالية الظالمة الجشعة أمثال أندرياس بادر.

لكن إشـهار التنظيم، وبداية لاتخاذه موقعه في الخريطة السياسـية النضالية وانتشـار اسـمه كجيش ألمانيا الأحمر، جاء بعد مشـاركة هذا التنظيم الفعلية في سـاحة المعركة العمليـة ضد الرأسـمالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسـعية في عـام ١٩٧٦. فقد شـارك عضوان منهم في عملية اختطاف طائرة ايرافرانس إلى يوغندا، وقتلا مع المقاتلين الفلسـطينيين الآخرين في معركة ضد القوات الخاصة الإسرائيلية التي أنزلت باتفاق مع كينيا وضباط يوغنديون.

وتعمـد التحالف بين العمليات الخاصة في الجبهة الشـعبية بقيادة وديع حداد الحلف مع الجيش الأحمر الألماني بالدم.

وانخـرط أعضاء الجيش في المعركة المشـتركة وأدى هذا الانخـراط العملي لتعميق غير مسـبوق في أوسـاط الجيش الأحمر حول هديته الفكرية، وزاد في بلـورة تصوره العام للمواجهـة، وازداد اقتناعا في أن طريق التصدي لأنظمة الرأسـمالية الظالمة هو النضال ضدها مع حركة التحرر في العالم الثالث حيث تدور عملية النهب والجلد والقتل بأبشع صورها الامبريالية والصهيونية.

عملية مقديشـو كانت إحدى محاولات الخلايا السرية الألمانيـة للإفراج عن زملاء لهم اعتقلتهم السلطات الألمانية.

لكن «برطلة» النظام في مقديشـو مكنت القوات الخاصـة الألمانية من اقتحام الطائرة والسـيطرة عليهـا، وقتل الكابتن محمود الطيار الفلسـطيني الذي قـاد الفريق الألماني الفلسطيني لاختطاف الطائرة ومساومة ألمانيا للإفراج عن المعتقلين الألمان.

(الفصل السادس)

الاتصال الأول والصلة مع الجيش الأحمر الياباني

رياح الثورة على الأوضاع الاقتصادية السائدة في البلدان الرأسمالية عصفت باليابان أيضا في الستينات.

فقد ازدادت الهوة بين الفقراء وذوي الغنى الفاحش. وراحت الشركات تندمج وتتمحور في مجمعات ضخمة ومركبه هيمنت على قوت الفقراء بهيمنتها على الإنتاج والأسواق.

فبرزت تنظيمات صغيرة متعددة أطلقت على نفسها أسماء تشير إلى نواياها دون أن تتحول هذه النوايا إلى أفعال حقيقية ملموسة.

كنت تقرأ في تلك الأيام خاصة مع بداية عام ١٩٦٨ بيانات ثورية

أصدرتها تنظيمات كالجيش الياباني، والثوريين الحمر، والجنود الحمر، وجيش الفقراء، وغيرهم.

رغم عدم قدرة هذه التنظيمات على ترجمة أقوالها إلى أفعال، استغلت التناقضات فيما بين أعضائها ووصلت هذه التناقضات إلى خوض معارك تصفية جسدية فيما بينهم في مناطق جبلية نائية.



فوساكو شيجانوبو زعيمة الجيش الاحمر الياباني

في ظـل هذه الظروف المعقدة والصعبة، برزت فوسـاكو شـيجانوبو «المرأة الحديدية» حيث تمكنت من قيادة مجموعة من الثوريين الذين انتموا إلى تنظيمات يابانية صغيرة، ويحملون آراء ثورية وآراء الثورة ضد النظام الرأسمالي.

طرحت فوساكو شيجا نوبو على هؤلاء الثوريين تصورها الذي تأثرت فلسفته من تجربه الكومونة الجديدة التي انطلقت في شهر أيار من عام ١٩٦٨ في باريس.

شـارك في انتفاضة باريس عام ١٩٦٨ كافة الفصائل الثوريـة الصغيرة، كان معظمها قد أسـس من شيوعيين انفصلوا عن الحزب الشـيوعي الفرنسي احتجاجا على فشله ورفضا إلى تحوله إلى حزب مؤسسات شركة رأسمالية حسب تعبير بعضهم.

كانت بعـض المجموعات ماوية التوجه، وبعضها تروتسـكية وبعضها جيفارية. فشـل الجميـع، لأن أحدا منهم لم يتمكن من طرح وجهة نظر قادرة على إقناع الثوريين الذين يعصف بهم كبت الفشـل أمام أجهزة الرأسـمالية، أو نظرة شـمولية تنظم وتؤطر هذا المـدّ الثوري في إطار فاعل ومنتج على طريق دحر الرأسـمالية التي كانت عماد أنظمة بلدانهم.

حتى فوسـاكو التي طرحـت على الثوريين اليابانيين فكرة التحالـف الدولي، لم تكن قد بلورت وجهة نظر قادرة على التجنيد والتأطير المنتج.

لم تتمكن من ذلك الا بعد أن تحالفت مع وديع حداد، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقـد بلـور الدكتور وديع حداد وعدد مـن رفاقه فكرة التحالف الـدولي بين الفصائل الثورية الصغيرة، والمسـتعدة للتضحية لمواجهـة الامبريالية عبر حركات التحرر في العالم الثالث بالاشـتراك معها في كفاحها الوطني ضد الامبريالية وأدواتها سـواء أكانت أنظمة حليفة لها أم مسـتعمرات زرعت في أراضي شـعوب العالم الثالث كنظام جنوب أفريقيا العنصري، والجيوش الامبريالية في فيتنام، وإسرائيل التي زرعت في الشرق الأوسط.

فوسـاكو شيجا نوبو كانت معروفه للأمن الياباني الذي لم يعتقلها لكنه منعها من السفر خارج البلاد. فقد كانت شـخصية محبوبة على صعيد اليابـان، لها علاقات وثيقة بكبار الفنانين والممثلين، والسـينمائيين والمسرحيين والأكاديميين والكتاب والمثقفين اجمالا، مما أعطاها نوعا من الحمايـة، ايضا معرفتها وصداقتها بكبار الكتاب اليابانيين، ممن حازوا

على جوائز عالمية، من هؤلاء الكتاب البروفسور اوادا من جامعة طوكيو.

لفت انتباه فوساكو شيجا نوبو الشرق الأوسط والمعركة التي تتصاعد فيه منذ احتلال إسرائيل لسيناء، والجولان، والضفة الغربية وقطاع غزة في العام ١٩٦٧.

شدتها للصراع في الشرق الأوسط عملية اختطاف الطائرات الضخمة في عام ١٩٧٠.

فقررت التوجه للشرق الأوسط لإجراء لقاء مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وفي ليلة تم فيها حجز مطعم ياباني في وسط مدينة طوكيو تجمع أكثر من أربعين يابانية وياباني.

كانت ليلة زواج فوساكو شيجانوبو وحضرت صديقة شيجانوبو الحميمةتوكيكو كاتو، وكانت أشهر مغنيات اليابان وأكثرهن شعبية وغنت OH, LE JOLI MOIS DU MAI A PARIS وهي أغنية تمجد فيها الانتفاضة الثورية التي انطلقت في باريس في شهر أيار من عام ١٩٦٨. (يا شهر أيار الجميل في باريس)

وأعلن ليلتها زواج شيجانوبو من شاب جميل الطلعة، غاية في الوسامة طويل القامة وله جسم رياضي هو اوكوديرا «تاكاشي» TAKASHI OKUDAIRA ولقب بعد حضوره للشرق الأوسط بـ «باسم».

جون كريغ وقع في خطأ جسيم عندما كتب في كتابه عن الملكة الحمراء أن العلاقة بدأت بإرسال عراقي اسمه (باسم) إلى طوكيو لعقد لقاءات مع الجيش الأحمر الياباني في العام ١٩٧٠.

هذا الكلام يحمل أخطاء كبيرة إذ أن اللقاءات بين الجيش الأحمر الياباني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جرت في بيروت، وجبال عجلون في الأردن حيث نقلت قواعد المقاتلين خارج عمان بعد معارك أيلول عام ١٩٧٠.


السيدة فوساكو شيغانوبو مع ابنتها مي

أما باســم الذي يتحدث عنه كريغ فهو ضابط عراقي انضم للجبهة الشــعبية في أواخر الستينات وتسلم قيادة معسكر التدريب للمقاتلين المحترفين في الأردن في منطقة تسمى «جبل طلوزه» ولم يسافر باسم العراقي في حياته الا إلى بغداد وبيروت.

أما باســم الذي سافر لليابان فهو اوكودايره الذي ســمي في الشرق الأوسط باسم، وهو اسم شائع جدا.

اعتــذر من جــون كريغ لكن الحقيقة هي اكبر من الجميــع ومن الأمانة على أي كاتب ألا يخترع الأمور بل أن يقول الحقيقة، وإذا كان لا يعرفها فلا شيء يجبره على اختراعها.

بعد زواجها هذا أصبحت تحمل اســم زوجها. ومكنها الحصول على جواز ســفر جديد باســم الســيدة اوكودايره. هكذا خرجت فوساكو شــيجانوبو من اليابان برفقة زوجها ومجموعــة من الفنانين الســينمائيين: مخــرج، ومصور، وفنيين للصــوت. كان هذا هو الطاقم الذي سينتج فيلم عن الحرب في الشرق الأوسط والمقاومة المسلحة.

ذلك كان عذرا للخروج وغطاء للمباحثات.

الرجل الأهم في فريقها هذا، كان المخرج الياباني الرائع ADATCHI, وكان أشهر مخرجي اليابــان الثوريين على الإطلاق. وهو رجل ســمح الوجه، قصير القامــة قوي البنية، حاد الــذكاء، وفنــان كبير. يرى كل حركة ولفته وزاوية. بــيروت كانت المحطة الأولى للفريق السينمائي الياباني.

إذ كانت مجلة الهدف التي أسســتها الجبهة الشــعبية بعد أن اشــترت الامتياز حسب القوانين اللبنانية، هي العنوان الوحيد الذي يمكن لأي جهة تود الاتصال بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أن يطرقه.

بالفعــل توجه الفريق الياباني لعنوان مجلة الهدف: كورنيش المزرعة ليبحث في تصوير فيلم عن المقاومة المسلحة من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كان ذلــك في نهايات عام ١٩٧٠، بعد أن توقفت المعارك بين قوات الثورة الفلســطينية والجيــش الأردني، وتوقيع الاتفاق الذي يلزِم منظمة التحرير الفلســطينية إخراج قواتها وأسلحتها من العاصمة عمان إلى أحراش دبين في منطقة عجلون.

كانت قوات الجبهة الشــعبية لتحرير فلســطين من ضمن هذه القــوات. وقد تمركزت

القيادة في هذه المنطقة حيث اتخذ الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خيمة «مقرا له» فيما اتخذ ياسر عرفات مغارة في أعالي منطقة دبين مقرا له.

أول الذين التقت بهم فوساكو شيجانوبو واداتشي كان غسان كنفاني المسئول الأول عن أعلام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأنا لذت بالصمت معظم الوقت، وانصب ذهني على مراقبة كل حركاتها وخلجات وجهها، كذلك وجه اداتشي.

كان وجه اداتشي لا ينبئ بشيء لا سلبا ولا إيجابا، بقي صامتا طوال الوقت، لكنه بذل جهدا كبيرا في الإصغاء، يبدو أن اللغة كانت عقبة، وكان يحاول جاهدا متابعة ما يدور من حديث ونقاش بين فوساكو وغسان، ومعي أحيانا.

كان وجهها ناعما وعيناها صغيرتان لكنهما تمتلئان حيوية، وتكاد نظراتها عند الحديث عن الثورة.

يدها صغيرة الحجم، وأصابعها دقيقة جدا. كانت تتصرف كزميل مقاتلة وليس كسيدة مهتمة بالسينما.

أثناء الحديث هبت واقفة أكثر من مرة لتضرب بكفها الصغير كتفي تأكيدا لموضوع من المواضيع، وعندما كانت تتعثر في كلمة ما في الخروج من فمها للعلن بسبب ضعفها في اللغة الانكليزية، كانت تلقي برأسها للخلف وتصرخ: «ا...م» وتقفز عندما تجد الكلمة طريقها رغم الخطأ الواضح في اللفظ.

هكذا، لكننا تأقلمنا بسرعة لطريقة النطق، وصار التفاهم أسهل. فهمنا من الكلام القصد من الزيارة، والهدف من الفلم.

وقام اداتشي بعرض جزء من فلم أخرجه كان رائعا بالفعل.

قرر غسان كنفاني إرسالهم الى جبال عجلون على أن يعودوا إلى بيروت لترتيب لقاء لهم مع العمليات الخارجية، أبلغتهم بالرحلة التي تنتظرهم ومخاطرها في ظل الظروف الراهنة والأجواء المشحونة في المنطقة التي سيتوجهون لها.

لكنهم ازدادوا إصرارا، وبشجاعة بارزة همّ الجميع للسفر فورا.

رتبنا لهم كل شيء، وصلوا الجبال، حيث تمركزت قواتنا وحيث كان كارلوس مستنفرا مع

القوات دون أن يعرفوه أو أن يعرف عنهم.

التقوا بمصطفى الزبري «أبو علي مصطفى» وجرى بعد تصوير المشاهد المطلوبة، حديث خاص بين أبو علي وشيجانوبو.

لم يكـن أبو علي يتحـدث الا العربية. فكان مـن الصعب التفاهـم فأحالها إلى بيروت لتتحدث مع أبو هاني «د. وديع حداد».

امضوا الليلة في الجبال وعادوا في مســاء اليوم التالي، بعد أن أكملوا التصوير إلى بيروت، والتقينا بهم بعد أربعة أيام من مغادرتهم بيروت الى الأردن.

حسبما هو متفق عليه، كنا قد ابلغنا القائد وديع حداد بوصولهم وعن رغبتهم في بحث التعاون، فرحب بذلك الدكتور وديع.

كـما هي العادة أطلق على أفراد المجموعة أسـماء عربية للحفاظ على سريتهم، مريم، هو الاسم العربي لفوساكو شيجانوبو. نبيل، كان الاسم العربي لاداتشي، وباسم كان الاسم العربي لزوجها تاكيشي اوكودايره.

بالنسـبة لشيجا نوبو كان هذا هو موعدها مع نفسـها وما تؤمن به. هذا كان طريقها لتقـود الثوريين اليابانيـين، في طريق جديد لمواجهة نظامهم الرأسـمالي جنبا إلى جنب مع الثوريين في البلدان الرأسـمالية المتغطرسـة والمتمكنة من وسائل القهر والتحكم في الشعوب.

انها فلسطين، أنها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فلسـطين هي البوابة التي سـيعبر فيها الثوريين اليابانيين لسـاحة المعركة الفعلية ضد الامبريالية، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هي الحاضن الذي سيجمع الثوريين من بلدان العالم على قاعدة فكرية واحدة، وممارسة ثورية تضرب وتستهدف نقاط الضعف في المعسـكر الامبريالي المتعدي على شعوب العالم الثالث، الذي ينهب ثرواتهم ويبقيهم في فقر وتخلف.

«لننخـرط أيهـا الثوريون في البلدان الرأسـمالية في حركة التحرر الفلسـطينية ولنوجه الضربـات لأنظمتنا الامبريالية والدول التي خلقتها لتكون أدوات تدور في فلكها لحماية مصالحها من ثورات الشعوب».

كان هذا لسان حال مريم أميرة الثوريين اليابانيين الجميلة، الرقيقة، الحازمة التي لا ترمش عندما تصدر الأوامر بشن الحرب أو بالتوقف عن الضرب.

توجهت لملاقاة وديع حداد، واضع النظرية الثورية الجديدة : «الحلف الدولي الثوري ينخرط في صفوف حركة شعوب العالم الثالث ليواجه أنظمته الرأسمالية في ساحات معاركها ضد الشعوب، قتال مع الشعوب ضد أنظمتهم كي تنتصر الشعوب وسينتصرون هم أيضا».

فبدون حرية تبقى الإنتاجية أسيرة، بينما الإنتاجية الحرة هي التي تعطي الإنسان قيمته الحقيقية.

لم يطل اجتماع وديع حداد بمريم القائدة الثورية اليابانية، واتفق على برنامج لتدريب أعضاء الجيش الأحمر ،تدريبا مكثفا في الشرق الأوسط.

وبدأت رحلة فوساكو شيجانوبو اميرة الثوريين اليابانيين نحو قمة التنظيمات الثورية اليابانية. وابتدأت المشوار الطويل لتعريف العالم بقضايا يعاني منها الشعب الياباني.

وطرحت شيجانوبو ورفاقها لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية قيادة يابانية جديدة، واحتمالات بروز قيادة تاريخية تحرر اليابان وتعيد لليابانيين قيمتهم من خلال حريتهم وانتاجيتهم الحرة.

وسيقيم التاريخ الدور الهام الذي لعبته شيجانوبو على هذا الصعيد.



(الفصل السابع)

عملية مطار الثورة



غسان كنفاني وبسام ابو شريف يعلنان امام صحافة العالم شروط الجبهة الشعبية للافراج عن الرهائن.

بدأ القائد وديع حداد يركز أبحاثه ودراساته عبر فِرَق استطلاع عديدة، وتدريب كوادر فنية متخصصة على العمليات الخاصة.

كانت عملية ١٩٦٨ التي خطفت فيها مجموعة من المناضلين طائرة العال، أول عملية من نوعها وأصبحت تدرس لتفادي الأخطاء.

ثم أجريت تجربه أخرى على طائرة بان أمريكان أجبرت على الهبوط في مطار دمشق. واختطف تلك الطائرة شاب اسمه أبو الدمر ـ كان بطل سوريا في الملاكمة لفترة من الوقت ـ وليلى خالد المناضلة التي انضمت للجبهة الشعبية تاركة عملها كمعلمة في الكويت (١٩٦٩).

وراح المعلم وديع يخطط لعملية كبيرة، عملية خطف عدة طائرات وإجبارها على الهبوط في الصحراء الأردنية قرب الزرقاء وتسـمى المنطقة (قاع). وأطلق عليها البريطانيون اسم مهبط دوسون أثناء الحرب العالمية الثانية. فقد استخدموا ذلك القاع كمهبط للطائرات إذ كانت الأرض في تلك البقعة من الصحراء صلبه ومتماسكة مشكلة اكبر وأطول مهبط للطائرات.

دراسـة العملية والتخطيط لها استهلكت عاما كاملا. إذ شـملت دراسة دقيقة لمواعيد إقلاع وهبوط الطائرات وأماكن الهبوط والإقلاع.

كما شملت استطلاعا دقيقا وتجريبا حيويا للمطارات التي تقلع منها الطائرات المحددة للخطـف، والاحتياطـات الأمنيـة والعقبات الالكترونيـة التي وضعت لمنـع اختطاف الطائرات.

وشملت دراسة لاستعدادات طواقم الطائرات ورجال الأمن المكلفين بالصعود للطائرات لمواجهة حالات الاختطاف.

وشـملت تدريـب فريق كامل على الإقلاع والهبوط، لعدة أنـواع من الطائرات، وقراءة اللوحات في مقصورة الطيارين.

وتدربـوا عـلى التعليمات التي يجب أن يصدروها للطياريـن حتى يصلوا إلى مطار غير موجود على الخريطة، أية خريطة!

نسقت ساعات البدء، حيث لا تتضارب فيستنفر قوى الأمن، وتفشل بعض العمليات.

اروي هنا للقارئ قصة مطار الثورة بحذافيرها لتكون شهادة التاريخ لتلك العملية التي هزّ وديع حداد من خلالها العالم اعلاميا ومعنويا وضميريا. وبدأ منذ تلك اللحظة العالم يتساءل عن قضية الشعب الفلسطيني، وعن الظلم الذي ألحقته به الدوائر الاستعمارية وحليفتها الصهيونية.

وقائع خطف الطائرات وتفجيرها في «مطار الثورة»

عشـية اندلاع معارك أيلـول في الأردن قبل أكثر من أربعين عاما، وخلال أسـبوعين من شـهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ عايشـت وقائع أضخم عملية خطف، لطائرات في التاريخ، وهـي العملية التي خطط لهـا الدكتور وديع حداد، ثم أعلن شروط الجبهة الشـعبية



مطار الثورة

لتحرير فلسطين لإخلاء سبيل الطائرات والإفراج عن ركابها الرهائن. منفذها مجموعة من مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تم تدريبهم بدقة لاداء المهمة.

وللتاريخ أسجل هنا تفاصيل تلك العميلة الضخمة، كما عشتها وتابعتها. وساهمت في قيادتها.

كانت أسرة مجلة «الهدف» قد احتفلت في الثامن والعشرين من شهر أغسطس (آب) ١٩٧٠ بعيد ميلادها الأول. وأمضت الأسرة أمسية لطيفة خيم عليها طوال الوقت ظرف وأدب وذكاء غسان كنفاني رئيس تحريرها. صباح اليوم التالي توجهنا لمقر المجلة لنبدأ صناعة العدد الأول في عامها الثاني.

عند الساعة الواحدة بعد الظهر جاءني من يبلغني رسالة شفهية من الدكتور وديع حداد، مفادها ضرورة أن أتوجه إلى عمان بأسرع وقت ممكن. لم أجد لدى الرسول جواباً عن أي من أسئلتي، قال: هذا ما طلب مني أن انقله لك. واستدرك: يجب ألا تخبر أحدا بذلك. في اليوم التالي توجهت جوا إلى العاصمة الأردنية من دون أن ادري أنني سوف أعيش وقائع أسبوعين هزا العالم، وخطفا أعصاب معظم ساسته وقادته. ذهبت فور وصولي إلى مكتب الجبهة الشعبية في جبل الجوفَة، حيث تجتمع قيادة الجبهة عادة. لم أجد أحدا من أعضاء القيادة، فتركت خبراً لدى مدير المكتب أنني سأكون في بيت والدي.

لم يتصل بي احد طوال النهار، لكن مع حلول الظلام توقفت سيارة «فولكس فاجن» أمام المنزل في جبل «اللويبدة» وهبط منها رجلان لم أميزهما في البداية لأن الظلام داهمنا، لكنني عرفتهما فور دخولهما البيت فعانقتهما مرحباً. كانا أبو بسام قدورة، وأبو الدرداء، رحمهما الله. كانا على عجل، وطلبا مني أن أهيئ نفسي للبقاء في عمان فترة من الزمن «لأن هنالك مهمة ستوكل اليك».

غادرا. بعد يومين، اتصل أبو بسام وطلب مني التوجه إلى احد المنازل في جبل اللويبدة قرب خزان المياه (الحاووز) هناك التقيت الدكتور وديع حداد الذي عانقني، وبطبيعة الحال كان أبو بسام حاضراً.

كان أبو هاني (وديع حداد) كعادته مختصراً في الكلام، دقيقاً، واضحاً، ومحدداً. وكعادته أيضا، كان يجلس إلى طاولة الطعام وأمامه أوراق وقلم، يدون كل نقطة من نقاط التعليمات التي يصدرها بعد أن يكتب اسم الشخص المعني في بداية الصفحة. ابلغني



كلام حول بسام ابو شريف يتحدث للصحفيين قرب احدى الطائرات المختطفة في مطار الثورة ٦ ايلول ١٩٧٠

الدكتور وديع انه خطط لتنفيذ عملية ضخمة ستهز العالم، وانه يتوقع أن يحتشد في عمان مئات الصحافيين لتغطية الحدث، وانه لهذا السبب استدعاني إلى عمان، وطلب مني الاستعداد لذلك، وقال انه سيزودني بالمعلومات والبيان الرئيسي في الوقت المناسب. كان الأمر مشوقاً ومثيراً.

لا اخفي أن كلمات الدكتور وديع حداد ولدّت لدي رعشة، قد يكون سببها ضخامة الأمر، أو الإثارة التي ترافق عملية ضخمة من عمليات وديع حداد.

كان وديع حداد متواضعا وحازما، كان رقيقا كالطبيب - وهو طبيب - وحازماً كقائد معركة في الميدان، ومتواضعا كراهب. وعندما يقول «عملية ضخمة ستهز العالم» فإنه يعني بالضبط ما يقول. بعد مغادرة ذلك المنزل الصغير، توجهت إلى المكتب الرئيسي للجبهة في الجوفة. هناك رحت أفكر في ما قاله أبو هاني. لقد تركني حائراً، إذ لم يعطني أية معلومات عن العملية أو طبيعتها أو حتى مكانها. لكن الأمور اتضحت في اليوم التالي. فقد استدعيت للقاء آخر مع الدكتور وديع حداد. كان يجلس إلى الطاولة وبادرني بقوله:

-كيف حالك؟ زي الحديد؟ اليوم هو موعدنا مع العملية.

أصغيت وأنا أحدق في وجهه. امسك بالقلم وقال:

- «سنغادر عمان إلى الزرقاء برفقة الإخوان عند الساعة الواحدة بعد الظهر. قرب الزرقاء اخترنا موقعا صحراوياً أرضه صلبة، كان يستخدمه الانجليز أثناء الحرب كمهبط للطائرات، ليكون موقع مطار الثورة». تتم الآن عمليات خطف لأربع طائرات: العال، السويسرية، تي دبليو. ايه، وبانام. منفذو العمليات سيوجهون الطائرات إلى هنا. وستهبط الطائرات في صحراء الزرقاء». توقف وديع حداد قليلاً ونظر إلي ليرى وقع الكلام على وجهي.

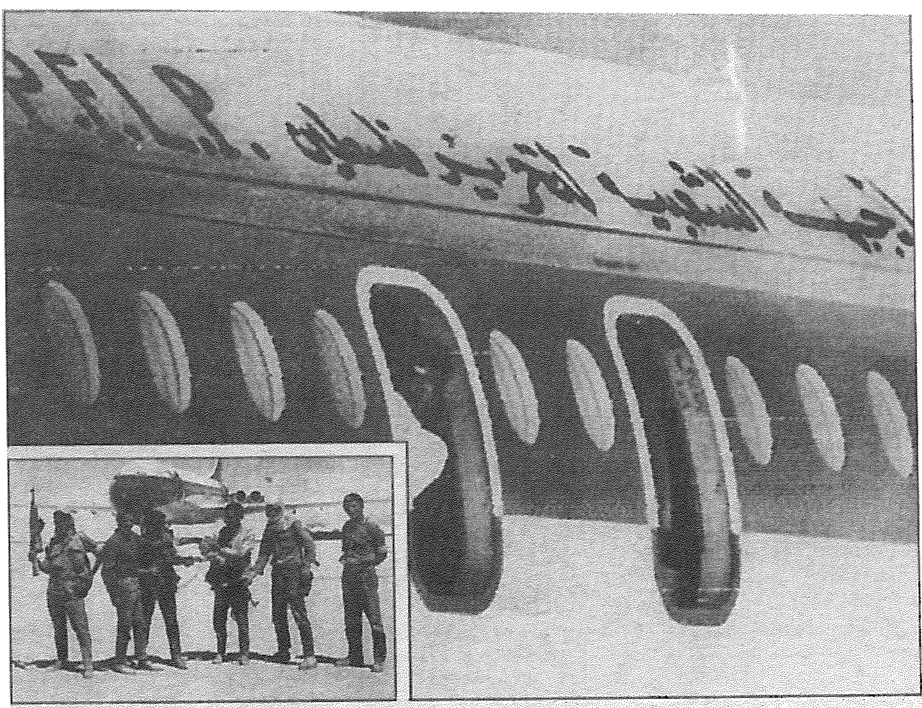
كنت أحدق فيه.

«يا لها من عملية جريئة!» قلت معلقاً. وسألت الدكتور وديع حداد عن قدرة تلك المنطقة على تحمل ضغط هبوط طائرات مدنية ضخمة. فقال:

«لقد أرسلت مهندسين متخصصين منذ أشهر، اجروا فحوصاً على تلك المنطقة وكتبوا تقارير علمية». وتابع يشرح: «منذ قرون كانت مياه الأمطار تتجمع في ذلك السهل الصحراوي الذي تحده تلال وجبال من الجانبين. فتحول هذا السهل إلى ارض صلبة، انها اصلب من الإسفلت الذي يستخدم لشق مدارج الطائرات. وهو أطول وأوسع مدرج في العالم».

نظر وديع إلي، وفي عينيه بريق الانتصار. وتابع الشرح قائلاً: «الهدف هو تحرير مئات من الأسرى الفلسطينيين من سجون إسرائيل، وهز ضمير العالم حول عدالة القضية الفلسطينية، لذلك أريدك أن تكون مستعداً لشرح قضية الشعب الفلسطيني للرأي العام العالمي من خلال الحشد الصحافي الذي سيتوجه حتما إلى عمان، ومن خلال الرهائن أنفسهم. أما الإعلان عن العملية والشروط فسيكون جاهزاً اليوم». ثم طلب مني التوجه مع أبو بسام قدوره والحاج فايز جابر وأبو الدرداء إلى المنطقة.

كانت الخطة التي وضعها وديع حداد تقضي بخطف أربع طائرات وإنزالها إلى المدرج الصحراوي قرب الزرقاء الذي كان البريطانيون يطلقون عليه اسم «دوسنفيلد» -DAW SON'S FIELD واحتجاز الركاب كرهائن، وطلب استبدالهم بمئات الأسرى الفلسطينيين الذين كانوا يرزحون في سجون إسرائيل آنذاك.



«مطار الثورة» في مدينة المفرق الأردنية: فدائيون من الجبهة الشعبية يحرسون طائرة اختطفها مقاتلون بقيادة وديع حداد

توجهنا من عمان إلى الزرقاء، ومنها عبر طريق صحراوي نحو المنطقة المحددة. بعد وصولنا إلى نقطة ما ـ لم أتمكن من تمييزها عن غيرها من الرمال الصحراوية المحيطة بنا ـ وصلت شاحنة تحمل عدداً من الرجال. تقدموا نحونا وخاطب احدهم أبو بسام، مُبلّغاً أن المصابيح صودرت على الطريق من قبل حاجز أمن.

كانت تلك الشاحنة تحمل مئات المصابيح التي كان على الرجال تثبيتها على جانبي المدرج لإنارته ليلاً. تجهم وجه أبو بسام قليلاً ثم تقدم نحو المكان الذي كنا نجلس فيه ليبحث الأمر.

تم الاتفاق على الإسراع بجلب صفائح فارغة وكمية من المازوت والقماش لتكون بديلاً عن المصابيح. وأسرع الرجال عائدين نحو الزرقاء لتنفيذ التعليمات.

في هذه الإثناء، وصل الدكتور وديع حداد يرافقه عشرات الشباب في موكب من السيارات المدنية وسيارات «اللاندروفر». وراح يعطي تعليماته بحزم واقتضاب، مشيرا إلى المواقع

التي عليهم أن يتخذوها. ثم تقدم نحونا. ابلغه أبو بســام بما جرى لشــاحنة المصابيح، فوافق على الرأي قائلاً:

لكن الأمر يجب أن يتم بسرعة فقد اقترب الموعد. ثم انتقل إلى الشرح التفصيلي للعمل المقبل، فأبلغنا أن الطائرة الأولى التي ســتصل هي طائرة «تي دبليو أيه» الأميركية وأنها تحمل أكثر من مئتي راكب، وان الطائرة السويسرية ستليها، ثم «البانام» الأميركية أيضا، ثم طائرة «العال» الإسرائيلية.

وأضاف أن الخطة تقضي بأن يبقى الركاب في مقاعدهم لأنه لن يتوفر لهم مكان ينامون فيه تلك الليلة سوى مقاعدهم. ثم وزع مسؤولية كل طائرة من الطائرات لأحد الكوادر، وسلمهم لائحة تخصص لكل واحد منهم خمسة مساعدين، ثم جمعهم وأبلغهم تعليماته التفصيلية بشأن كل صغيرة وكبيرة. ثم تحدث إليهم حول حسن المعاملة واللباقة وشرح القضية وأهدافها والمحافظة على الهدوء والأمن.

ثــم كلف علي طه[1] أن يكون مســؤولاً عــن الرهائن كافــة، والإشراف العام على الفرق المخصصــة لكل طائــرة من الطائرات. وأقام علي طه فوراً مقــر قيادته، وكان عبارة عن طاولــة وأربعة كــراسي وأوراق وأقلام وأختام. وكلف الحاج فايز جابر بمســؤولية الأمن والمواجهة العسكرية. وشرح مطولاً للجميع احتمالات وقوع هجوم عسكري إسرائيلي، أو أردني، وكيفية الدفاع عن النفس، مشــيراً باستمرار إلى أهمية الحفاظ على حياة الرهائن وعدم إصابة احد منهم بأذى. ثم كُلّف أبو بســام أمام الجميع بالمســؤولية الرئيســية والتنسيق بين المسؤولين وانه المرجع في كل القرارات.

بعد ســاعة مــن الزمن تقريباً وصلت طلائع الســيارات العســكرية التي تحمل مدافع مضادة للطائرات والرشاشــات الثقيلة، وراحت تنتشر حســب خطة موضوعة لتكون في مواقع قادرة على حماية «مطار الثورة» من أي اعتداء محتمل. واجتمع الحاج فايز جابر بالضباط وأعطاهم تعليماته، ثم عاد لينضم إلى المجموعة القيادية. وساد صمت مغلف برهبة الانتظار المثير.

الطائــرات في الأجواء قبل غروب الشــمس بنصف ســاعة حلقت فــوق «مطار الثورة»

---

١. كان عضواً في الجبهة الشــعبية لتحرير فلســطين من ســكان القدس. عمل في القدس دليلاً ســياحياً , ثم اضطر للخروج من القــدس بعد ملاحقة الاسرائيلين له. وعمل في جهاز الاســتطلاع في فرع العمليات الخاصــة. والمناضلة عبله طه هي اختـه. وهم لعائلة من منشأ خليلي.



من مطار الثورة

في اليوم الأول لخطف الطائرات... وديع حداد (الملثم) وإلى جانبه فايز قدورة عضو القيادة المركزية للجبهة الشعبية.

طائرة من طراز بوينج، ثم ابتعدت حتى غابت في الأفق. «الطيار يستطلع المنطقة»، قال الدكتور وديع، وتابع: «سيعود بعد لحظات على ارتفاع منخفض ليستطلع مرة أخرى». وبالفعل شاهدنا الطائرة تقترب من المنطقة بعد لحظات. كانت طائرة TWA. مرت الطائرة فوق رؤوسنا وعلت في الجو ثانية.

كان الطيار يستطلع على علوّ منخفض، ليتأكد من مدى المدرج الصحراوي. وعلق الدكتور وديع: «سيعود للهبوط». كانت الصفائح التي ملئت بالمازوت والقماش قد أشعلت فيها النيران، فحددت للطيار المدرج، وبدت كأنها شموع تحف بطريق لا نهاية له.

عادت الطائرة الأميركية، لتهبط تدريجياً من مسافة بعيدة ورأيناها تلامس الصحراء عند بداية ما أضيء من المدرج. وجاء الهبوط عادياً. لكن الطيار استخدم كابح السرعة بتوتر مما جعل الطائرة تهتز بعنف. ثم تمهلت الطائرة وراحت تتدرج ببطء نحو نهاية المشاعل. وهناك أشير للطيار بأن يحول مقدمة الطائرة شرقاً، وأعطى التعليمات ليبتعد عن المدرج، من دون أن يعلم إن هذه التعليمات أعطيت له كي تتيح للطائرات الأخرى القادمة الهبوط من دون تخوف من ارتطام بطائرته. أوقف الطيار طائرة TWA شرق المدرج، وفتح أبواب الطوارئ فوراً خشية من أي تطور غير متوقع. وتدافع الركاب من كل أبواب النجاة وراحوا يركضون في كل الاتجاهات بعيداً عن الطائرة خشية حصول انفجار أو حريق.

لكنهم سرعان ما توقفوا، إذ واجهتهم الصحراء المظلمة بعيداً عن أنوار الطائرة ونيران صفائح المازوت.

عندها صدر الأمر باستخدام مكبر الصوت اليدوي للطلب من جميع الركاب التجمع عند نقطة مضاءة بمصابيح قوية تعمل بقوة كهربائية مصدرها بطاريات كبيرة الحجم. وبالفعل، اقترب الجميع وكلفت بالتحدث إليهم، فطمأنتهم وشرحت الوضع لهم. ثم طلبت منهم العودة إلى الطائرة. كان المقاتلون قد نصبوا سلالم للصعود والهبوط من باب الطائرة الرئيسي. وصعد الركاب مرة أخرى للطائرة بتلكؤ، فقد كانوا خائفين جداً من نسف الطائرة.

بعد بضع دقائق جرى اتصال لاسلكي مع الدكتور وديع حداد أُبلغ فيه أن عملية اختطاف طائرة «العال» فشلت، وان امن الطائرة أطلق النار على باتريك ارغويللو فقتل



ملصق اصدرته الجبهة الشعبية عن الشهيد باتريك الذي قتل على طائرة العال، ايلول ١٩٧٠.

على الفور، وأنهم القوا القبض على ليلى خالد وسلموها للشرطة البريطانية بعد هبوط الطائرة هبوطاً اضطرارياً في مطار هيثرو اللندني.

ثم تتالت الأحداث بسرعة: هبطت الطائرة السويسرية في «مطار الثورة» بسلام واصطفت إلى جانب طائرة TWA. وقام خاطفو «ألبان اميركان» بتحويلها إلى مطار القاهرة فهبطت هناك، ثم أخليت من الركاب ونسفت بعبوات متفجرة.

أما في «مطار الثورة» فقد أعيد ٣٠٠ راكب إلى مقاعدهم ليناموا تحت حراسة المقاتلين الذين أحاطوا بالطائرتين تحسباً لأي محاولة هجوم. وقامت الفرق المكلفة بالشرح والتفسير بالتجول بين الركاب للإجابة على أسئلتهم وتوزيع المنشورات التي تشرح الخطوط العريضة لمأساة الشعب الفلسطيني. أما عناصر المجموعات التي نفذت العمليتين فقد اخرجوا من الموقع فوراً وحملتهم سيارات إلى جهة بعيدة عن الأعين.

ومع ساعات الفجر الأولى بدا «مطار الثورة» كخلية نحل: سيارات عسكرية تجوب المكان، وأخرى تحمل مدافع مضادة للطائرات تتجول حول المكان عن بعد، وفرق عمل تتخذ لنفسها مواقع قريبة من الطائرتين.

وبدأ الجميع بتنفيذ التعليمات. جُمعت جوازات السفر، وراح فريق متخصص يرأسه علي طه يفحص الوثائق، وفتشت مراحيض الطائرة فضبطت فيها جوازات سفر إسرائيلية القي بها أصحابها داخل المراحيض، وكان معظم أصحابها أميركيين ممن يحملون الجنسية الإسرائيلية إلى جانب الأميركية. وقام فريق آخر بإنزال البريد الذي كان معبأ في أكياس كبيرة وانهمك في تفتيشه والتدقيق فيه، كما طُلب من الطيارين فتح الصناديق الخاصة.

كُلف غسان كنفاني وأنا بالتوجه إلى عمان لعقد مؤتمر صحافي في مقر الجبهة الرئيسي في جبل الجوفة، وكان يطلق عليه اسم «المالية» لأن أبو ماهر اليماني، عضو القيادة، كان يتخذ من غرفة في هذا المقر مكتباً له، وكان مسؤولاً عن المالية المركزية في الجبهة

الشعبية. وزودني الدكتور وديع حداد ببيان حدد أهداف العملية، وعددّ مطالب الجبهة مقابل الإفراج عن الرهائن والطائرات. كان الحشد الصحافي كبيراً.

بعـد قراءة البيان انهالت الأسـئلة، بيد أن الأهم بالنسـبة للحشـد الصحافي كان زيارة الموقع، والتحدث للركاب، فطلبت منهم التريث إلى أن تسمح القيادة بزيارة الموقع.

أرسـلت برقية لاسـلكية للدكتور وديع اعرض عليه طلب الصحافيـين، فطلب التريث. وبـدوري طلبـت من الصحافيـين العودة بعد ظهـر ذلك اليوم لإبلاغهـم حول موعد توجههـم إلى «مطار الثورة» لرؤيـة الركاب والطائرات. ثم توجهت إلى الزرقاء ومنها إلى الموقع حيث اجتمعت إلى الدكتور وديع حداد والحاج فايز جابر وأبو بسام قدوره وأبو الدرداء، وعلي طه، وأبلغتهم بما جرى في عمان وبإلحاح الصحافيين على زيارة الموقع.

وأبديـت وجهة نظري المؤيدة لتلبية طلبهم، شـارحاً أن الـرأي العالمي يتابع الموضوع باهتمام وقلق وإثارة، وان رؤية المراسـلين للرهائن وإرسـال تقاريرهم حول سـلامتهم، وحسن معاملتهم سيعطي رد فعل ايجابي.

تمت الموافقة على اسـتقبال ممثلي وسائل الأعلام العالمية في «مطار الثورة» بعد الظهر. لكن مفاجآت كبيرة حدثت قبل وصولهم. كان نبأ مقتل باتريك ارغويللو على يد ضباط الأمن الإسرائيليين، واعتقال ليلى خالد وتسـليمها للشرطة البريطانية، قد انتشر. واصدر وديع حداد تعليماته بتوجيه تحذير للسـلطات البريطانية حملها فيه المسـؤولية تجاه ليلى خالد.

كان رد الفعل البريطاني سريعاً، فقد تتالت الاتصالات من شـخصيات بريطانية معروفة بنزاهتها كلفتها الحكومة البريطانية بالقيام بدور طمأنة الجبهة الشـعبية حول سـلامة ليلى خالد، والتأكيد على أنها لن تُسلم لإسرائيل. بعد عودتي إلى مقر الجبهة تلقيت عدة مكالمات من شـخصيات بريطانية كان أحداها أسقف كنتربري، ومايكل ادامز الذي كان يرأس مجلس التفاهم العربي البريطاني (كابو).

مفاجأة «ورق عنب وكوسا»

هذه الأثناء، كان شـباب الجبهة الشعبية في كل مكان على استنفار تام. بيد أن احدهم، وكان عاملاً في ورشة للخراطة الحديدية، استنفر على طريقته الخاصة ومن دون تعليمات

مركزية، فقام بعد نهاية ساعات العمل في الورشة بخراطة مسدس حديدي على شكل مسدس البكرة واشترى بطاقة سفر على طائرة تابعة للشركة البريطانية BOAC وبعدما أقلعت قام باختطافها وأمر الطيار بمسدسه (اللعبة) بالتحوّل نحو الأردن. كانت الطائرة قد أقلعت من البحرين، وعندما وصلت أجواء الأردن جرى الاتصال مع برج مراقبة مطار عمان الذي ربط الاتصال بين مقر القيادة والطائرة. كانت مفاجأة للجميع، حتى الدكتور وديع حداد فوجئ بالأمر واعتقد في بادئ الأمر أنها خدعة، وان الطائرة تحمل قوات مدربة ومجهزة لاقتحام الطائرتين المخطوفتين وتحرير الرهائن.

وفي اتصال مباشر طلب الدكتور وديع من الخاطف، الذي أصر طوال الوقت على تسمية نفسه بكلمة «صديق»، أن يعطي علامة ما تؤكد انه صديق فعلا، وانه يعرف الدكتور وديع كما ادعى. فأجاب: «ورق عنب وكوسا». ضحك أبو هاني قائلاً: انه صديق اسمحوا له بالهبوط.

وهبطت طائرة BOAC في مطار الثورة فبلغ عدد الرهائن بذلك ٤٦٥ رهينة، وأصبح عدد الطائرات ثلاثاً. أما قصة «ورق العنب والكوسا» فإنها قصة ظريفة. كان وديع حداد يعتبر أفضل الأكل «ورق العنب المحشي والكوسا المحشي». وكان المقربون منه يعرفون ذلك، لذا كانوا عندما يريدون الاحتفاء به أو الاحتفال معه بمناسبة ما يحضرون وجبة ورق عنب وكوسا. وعندما ذكر «الصديق» هذا الأمر، تأكد وديع حداد انه مقرب يخشى ذكر اسمه خشية انكشافه.

لا شك أن عملية «الصديق» بدلت وغيرت كثيراً في موازين القوى. وراحت الدوائر الأمنية في الغرب وإسرائيل تستنفر لأنها ظنت أن حبل اختطاف الطائرات سيمتد. كما أن بريطانيا اعتبرت أن وديع حداد لا يترك مجالاً للاحتمالات، واعتقدت انه قام بترتيب خطف طائرة BOAC ليضع البريطانيين تحت ضغط اكبر للإفراج عن ليلى خالد. فوافقت السلطات البريطانية فوراً على السماح بزيارة ليلى وان تحدد محامياً لها. وأتذكر الآن أن طالبة من قطر كانت تدرس في بيروت وتصادف أنها كانت تزور لندن، وهي ليلى فانوس ـ تشغل الآن منصب الملحق الصحافي في سفارة قطر في لندن ـ قامت بزيارة ليلى خالد في السجن، فنُشرت صورتها في معظم صحف العالم في اليوم التالي باعتبارها زائرة ليلى خالد.

كان عــليّ أن أعــود لمقر القيــادة للتعامل مع الحــدث الجديد. وكان مئات المراســلين الأجانب التابعين لشــبكات التلفزيون العالمية والإذاعات والصحف والمجلات قد تدفقوا على عمان.

وعندما وصلت إلى مقر القيادة شاهدت حشدهم كمظاهرة أمام المقر، في الردهات،وفي القاعة الرئيســية. اعتذرت لعدم امكانية زيارتهــم للموقع ذلك اليوم، ووعدتهم أن يتم ذلك صبيحة اليوم التالي.

حــاول بعضهم التوجــه إلى «مطار الثورة» من دون تصريح، إلا أن المقاتلين ردوهم على اعقابهم في محيط المطار البعيد. قُبيل الغروب بقليل تجمع حشد الصحافيين مرة أخرى، في الردهــات وعند المدخل الرئيس، وامتلأت القاعة الرئيســية بالكاميرات. وفجأة اهتز المبنى.

ارتمى المراسلون على الأرض. وحاول آخرون الهروب. كانت طائرات حربية إسرائيلية قد اخترقــت جدار الصوت فوق مقر الجبهة. تناثر الزجاج في كل مكان، لكنه لم يصب أحد بــأذى. وعندما أراد المرتمون أرضا القيام، انهــال سرب آخر يخترق جدار الصوت فارتموا أرضا مرة أخرى. كانت رســائل تهديد. حاول الإسرائيليون استعراض قوتهم أمام الجبهة التي لا تملك السلاح والعتاد لمواجهتهم. لكن الجبهة كانت أقوى منهم بإمساكها الحلقة التي تحكم السلسلة.

الضغــوط تتزايــد من كل الجهات بدأت الأمــور تتلاحق وتتفاعل. وراح رؤســاء الدول يتصلون بكل رئيس أو زعيم أو وزير يعتقدون أن له تأثيراً على قيادة الجبهة الشــعبية كي يمارســوا ضغوطهم عليها للإفراج عن الرهائــن. اتصل عدد من قادة الدول الأوروبية بالرئيــس جــمال عبد الناصر طالبــين تدخله في الأمر، كما اتصلــت دول كثيرة مع ياسر عرفات، كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية. للتدخل لدى الجبهة. وقامت عدة حكومات أوروبية بتكليف شخصيات من دولها للاتصال مباشرة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

واستمرت إسرائيل في تهديداتها.

ودعــا أبو عمار القيــادة المركزية للمقاومة لاجتماع لبحث الأمــر. لكن الاجتماع لم يؤد إلى النتائج المرجوة، وتمســكت الجبهة الشــعبية بمطالبها للإفــراج أولا عن كافة الأسرى الفلســطينيين من سجون إسرائيل وأوروبا. وأصبحت الأجواء مشحونة وتنذر باحتمالات الصدام العسكري.

خلال ذلك، كنت وفريق العمل المخصص نتابع كل ما يُنشر ويبث ونوصله فورا للدكتور وديع حداد، وقيادة الميدان. وكان جزءاً أساسـيا من تقاريرنا حول ردود الفعل السـلبية على احتجاز نسـاء وأطفال كانوا على متن الطائرات المخطوفة. فتقرر الإفراج عن مئات النساء والأطفال والرجال الذين لا يؤثر الاحتفاظ بهم على مفاوضات الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين.

كان رد الفعـل على هـذا القرار ايجابياً. اصطف جميع الذين تقـرر الإفراج عنهم أمام «مكتب» علي طه على ارض «مطار الثورة» الصحراوي، كي تختم جوازات سفرهم بذلك الختم الشهير، الذي أصبح الآن شيئاً نادراً وثميناً.

قامت حافلات الصليب الأحمر بنقل مئات الركاب إلى فندق الأردن في جبل عمان، حيث أقام الصليب الأحمر غرفة طوارئ لترتيب سـفر المفـرج عنهم إلى بلدانهم، وبين هؤلاء شاب بحريني كان على متن BOAC تقرر الإفراج عنه. فابلغ الفريق المسؤول أن الفتاة الأجنبية التي تجلس إلى جانبه، هي خطيبته فأفرج عنها أيضا، رغم اعتقاد الفريق بأنه لم يكـن خطيبها! ثم أعطى الدكتور وديع حـداد موافقته على زيارة الصحافيين لمنطقة المطار، ورُتب الأمر بحيث يغطي الصحافيون لحظة الإفراج عن مئات من الركاب.

فوجئـت بعددهـم الذي فاق الألـف، كنا على يقين أن عدداً لا بـأس به منهم ينتمون لأجهـزة مخابرات، ويتموهون بـرداء صحافي. انطلق من أمام مقـر القيادة موكب من مئات السـيارات، وعندما وصلت طلائع القافلة الأطراف البعيدة «لمطار الثورة» وأصبح ممكناً رؤية الطائرات بالعين المجردة، أوقفت القافلة وتقدم احد العسكريين، ليجدني في سيارة «لاندرو فر» في مقدمة القافلة، فسألني مندهشا: كل هؤلاء؟ أجبته: نعم.

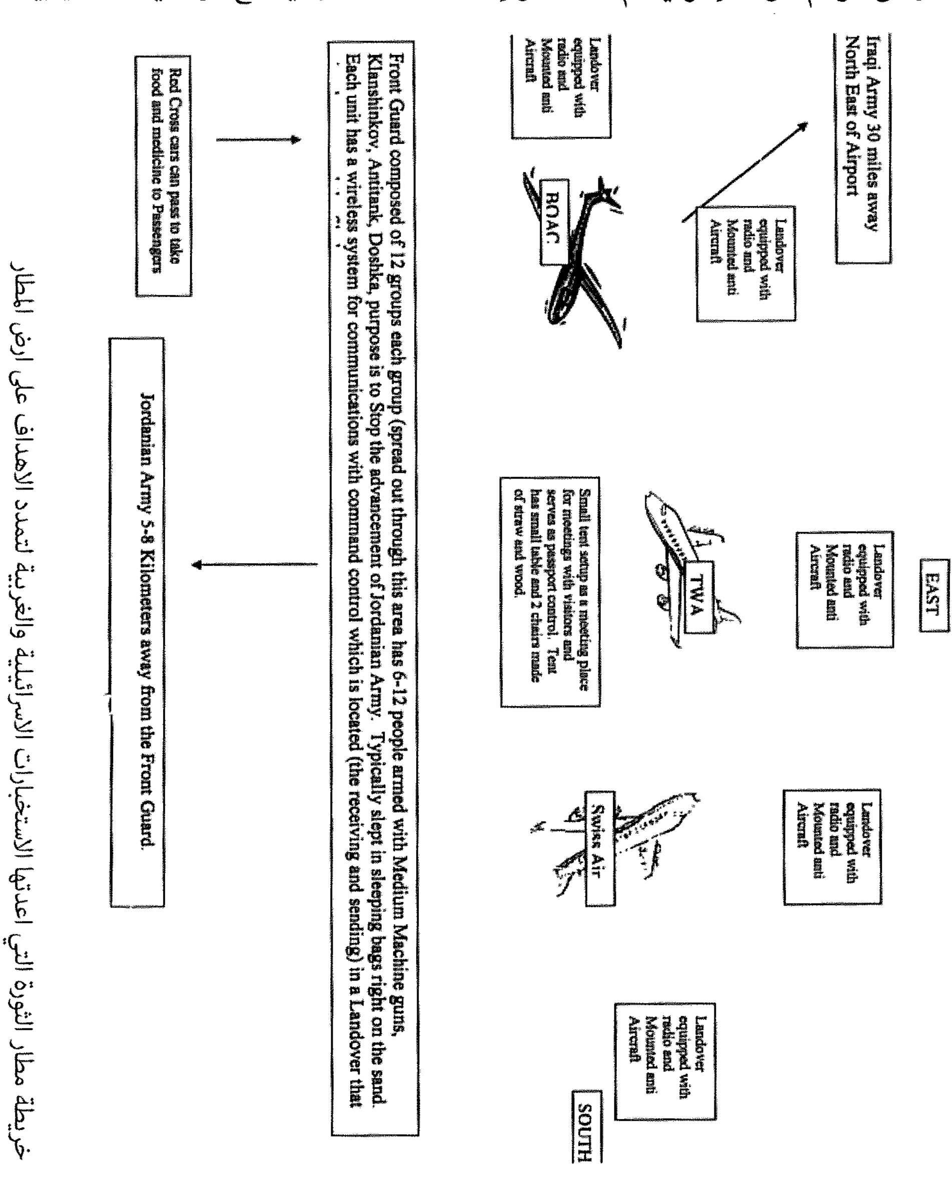
فأفسح لنا الطريق، ثم أوقفت القافلة على مسافة من الطائرات المخطوفة وطوقتها قوات عسـكرية خشية المفاجآت، ثم سـمح للرهائن أن يتقدموا نحو وسط الدائرة التي شكلها الجسم الصحافي، وقدمت شرحا سياسيا قصيرا ثم تركت المجال للصحافيين لتوجيه الأسئلة للرهائن بحرية. وما هي إلا دقائق حتى توجه اهتمام الصحافيين لعملية الإفراج، فانهالت الكاميرات تصويرا.

وبعـد الإفراج عن مئات الـركاب أبقى الدكتور وديع قرابة السـبعين ممن لهم أهمية تفاوضيـة، كان معظمهم من الذين يحملون جنسـيتين: إسرائيلية وأخرى، أو من ذوي

المواقع الدبلوماسية والحكومية الحساسة.

مـع الإفـراج عن المئات من الرهائن شـعر الجميع أن العد العكسي بـدأ، فقد ازدادت الضغوط الدولية على إسرائيل وعلى الجبهة الشـعبية لتحرير فلسـطين وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

وعلى الرغم من أن إسرائيل لم تكف عن إرسـال رسائل التهديد مع مواطنين فلسطينيين



خريطة مطار الثورة التي اعدتها الاستخبارات الاسرائيلية والغربية لتحدد الاهداف على ارض المطار

لهـــم مكانتهم الاجتماعية، فقد وافقت على بحث الموضوع مع الصليب الأحمر. كما أن الأوروبيين لم يتوقفوا عن إرســال مبعوثيهم إلى عمان في محاولة لإقناع الجبهة الشـعبية بالإفــراج عمن تبقى مقابل وعود بأن يفرجوا عن فلســطينيين في الســجون الأوروبية، وان يضغطوا على إسرائيل للإفراج عن مئات المعتقلين الفلســطينيين. لكن تلك العروض رفضت.

ســاعة الحســـم تقترب رأى الدكتور وديع أن الأمر بلغ مرحلة الخطر والجدية، وانه آن الأوان لســحب الرهائـــن من «مطار الثورة» وتوزيعهم في أماكـــن متفرقة ليصعب على من يفكر في القيام بأي هجوم أن يقدم عليه، فاصدر تعليماته بتهيئة الســيارات وســلم كل مقاتـــل رهينة وطلب منهم أن يصوبوا بنادقهم للرهائن أثناء عبور المواكب خطوط الحصـــار العســكري المفروض، كـــما اصدر تعليماتـــه لمجموعة من المقاتلـــين بالبقاء في الطائرات الثلاثة لمنع أي احد من الاقتراب، أو محاولة السيطرة على الطائرات.

مـــضى الركب متمهلاً من حيث اصطفت الطائرات في وســـط الصحراء نحو التخوم التي تـــؤدي إلى الطريق العام الذي يربط بين الزرقـــاء وعمان. كانت قوات كبيرة من الجيش الأردني قد طوقت المكان تعززها دبابات ومصفحات، فقد كان احتمال التدخل الإسرائيلي وارداً في أية لحظة، فأُعدت العدة لمواجهة أي تدخل.

عندما اقتربت القافلة من الطريق الصحراوي الفرعي الذي يؤدي للطريق العام ســـدته دبابتان جلس على مقدمة أحداها ضابط برتبة عقيد. ودار نقاش بين أبو بســـام قدورة والعقيـــد، إذ ابلغه الضابط أن التعليمات التي أعطيت له تقضي بتســـلم الرهائن وعدم السماح بنقلهم إلى مكان آخر.

فأشـــار أبو بســـام بيده للرهائن الجالسين في طابور الســـيارات ليرى الضابط أن بندقية مصوبة لرأس كل رهينة من الرهائن، وقال بحسم: «أن أي حركة من هذا النوع ستؤدي إلى قتلهم جميعاً، فدعونا نمر بسلام».

أجابه الضابط بشـــكل حاسم أيضا: «لا استطيع لدي أوامر». ودار نقاش اصدر في نهايته أبو بســـام أمرا بالاستعداد، وقال: «اتصل بالجهات العليا، سنتحرك حتى لو أطلقتم النار وستتحمل أنت المسؤولية». تحرك الضابط بسرعة نحو سيارة «لاندرو فر» تحمل أجهزة اتصال لاســـلكية وتحدث لمدة عشرين دقيقة، وعاد بعدها ليبلغ أبو بســـام أن الجهات

العليا سمحت لكن على قواته مواكبة القافلة طوال الطريق، والبقاء حولها حيثما ذهبت.

ابتعــدت الدبابتان عن الطريق، وما أن تحرك موكب الســيارات الطويل حتى حفت به من كل جانب ســيارات عســكرية تحمل جنوداً مدججين بالسلاح، وعندما صار الموكب قــرب الجامع الحســيني الكبير في قلــب عمان، حيث تتفرع الطــرق جنوباً نحو مخيم الوحدات، أو شــمالاً، انقســم الموكب إلى موكبين، احدهما توجه جنوبا والآخر شــمالا، وانطلقا بسرعة فائقة مما جعل المواطنين يقفزون بعيداً عن طريق الموكبين.

وحيرت المفاجأة الســيارات العســكرية المواكبة. فقد خشي بعضها من الاستمرار جنوبا لأن مخيــم الوحــدات كان معقلاً للمقاتلين الفلســطينيين، ولم يتمكنوا من الاســتدارة وســط الازدحام لمتابعة القسم الذي أسرع شــمالا. وانتهى الأمر بوصول الرهائن سالمين للمخيمات الفلسطينية.

اما عن قرار التفجير، فقد كان وديع حداد قد غادر الموقع في الليل الذي سبق يوم نقل الرهائــن يرافقــه أبو الدرداء وعلي طه. أما الحاج فايز جابر وأبو بســام فقد توجها مع قافلتــي الرهائن كل باتجاه. وعند الثالثة من فجر اليوم التالي، وبســبب رفض إسرائيل الإفــراج عن المعتقلــين، اتخذت قيادة الجبهــة قراراً بتفجير الطائــرات كإنذار للجهات المعنية للإفراج عن المعتقلين.

وفوجئت بالقيادة تطلب مني عدم ابلاغ الصحافيين والمصورين بالأمر. لكنني أقنعتهم، بعد نقاش، بأنه لا بد من تصوير هذا الحدث، وإلا كيف ســتصل الرســالة إلى الجهات المعنيــة. وعندها تمت الموافقة عــلى اصطحاب مصور صحافي واحــد ومصور تلفزيوني واحد، فاخترت «بســام» مصور صحيفة «النهار» اللبنانية، ومصور «ميز نيوز» المقيم في عمان.

مســاء الرابع عشر من ســبتمبر (أيلول) اتصلت بالمصورين وطلبت منهما أن يحضرا إلى مكتبــي عند منتصف الليل مــع أجهزتهما من دون أن أفصح لهما عن الهدف من ذلك، فحضرا إلى مكتبي عند منتصف الليل بالضبط. ابتســمت لهــما قائلا: لدينا مهمة هذه الليلة. ورغم محاولاتهما رفضت الإفصاح عن شيء، وقلت أننا ســنكون معا. عند الفجر كنا على مشارف مطار الثورة.توقفت السيارة، فنظرا إلي متسائلين؟

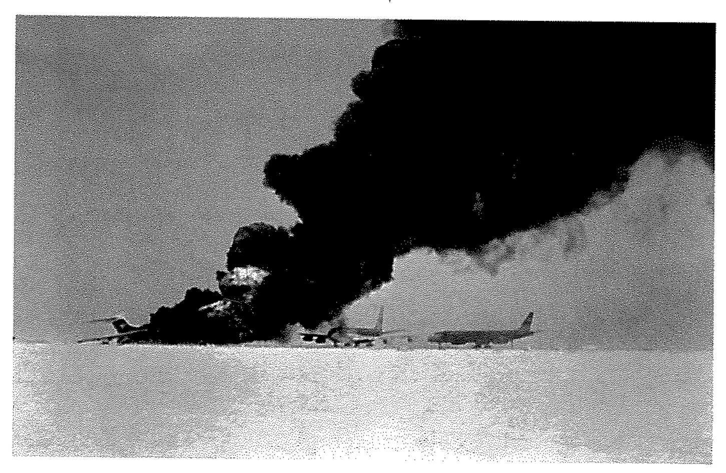
قلت: ستشهدان حدثاً، لم ولن تشهداه من قبل، سوف يتم تفجير الطائرات بعد قليل.

نظــرا إلي بذهول، لكن بشــكل لا إرادي اخرج كل منهما «العدة»، كاميرات وعدســات وأسلاك، ثم طلبا مني أن نتقدم نحو الموقع أكثر، فقلت أن في هذا خطرا، إذ أن الانفجار سوف يقذف بالحطام إلى مسافات بعيدة.

بعد قليل، مع خيوط الفجر الأولى، فجر الخامس عشر من أيلول ١٩٧٠، اقتربت سيارات المقاتلين من موقعنا، فيما ســارت الأخيرة نحونا ببطء. ضغط الضابط على جهاز التحكم عــن بعد، فدوت الســماء والتهبت وتناثرت قطع الطائرات الثلاث وحطامها لمســافات بعيــدة. وفيما كان المصوران منكبين على التقــاط الصور، أصابني، في الحقيقة، الذهول، فجمــدت في مكاني أراقب الانفجــارات المتتالية: أصوات، ثم نــيران، ثم حطام يتطاير، وشظايا تتناثر في كل مكان.

لهيب يرتفع نحو الســماء ثم ينحرف قطعاً بــكل الاتجاهات. وتتالت الانفجارات حتى همدت الطائرات بجســدها الأســاسي أرضا، بعدما فقدت كل منهــا إطرافها ومحركاتها وذيلهــا. لم يســتغرق الأمر طويلاً. عــشر دقائق فقط خلفت أجســام الطائرات هامدة تلتهمها النيران على مهل.

عدنا أدراجنا إلى عمان، من دون أن يتفوه احدنا بكلمة. الكل كان مذهولاً. وعندما وصلنا إلى مكتبــي صافحني المصوران وانطلقا كالبرق نحو ســيارتيهما لتوزيع ما بحوزتهما من سبق صحافي لا مثيل له في العالم. توجهت نحو سريري في المكتب لأنال قسطاً من النوم بعد ليلة طويلة. وعندما اســتيقظت كانت ردهــات المكتب ومداخله تعج بالصحافيين والمراسلين والمصورين. لقد هز الخبر العالم. وبدأت الحسابات تختلف. وانهالت الأسئلة:



ماذا بعد؟

لقد دمرت الجبهة الشـعبية الطائرات، كأنها تحرق السـفن تصميماً على تلبية مطالبها. وأخفـت الرهائن في أماكن متعددة مـن المخيمات من دون أن يعلم احد أين. وتوترت الأجواء بشكل دراماتيكي. وبدأ الإحساس الفعلي بما قاله وديع حداد يدب في كل مكان: لقد بدأ العد العكسي.

لمسـنا أن كل الجهـات المعنية والعالميـة والدولية، راحت تنظر للأمـور بخطورة اكبر. فازدادت الضغوط كثافة من كل الجهات.

لكـن الدول الأوروبية المعنية ركزت اتصالاتها مع الرئيس جمال عبد الناصر، الذي أوفد مجموعة خاصة من كبار ضبـاط المخابرات للانضمام للضباط الذين كانوا يتمركزون في عـمان كحلقة وصل مع فصائل الثورة الفلسـطينية. ووجهـت إسرائيل إنذارات للأردن من خلال الولايات المتحدة، وهددت بالقيام بحملة عسـكرية بشـكل مباشر إذا لم يتم منع الفدائيين الفلسـطينيين من استخدام ارض الأردن منطلقاً لعملياتهم. وكثفت مصر اتصالاتها بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبقيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأُبلغت قيادة الجبهة أن عبد الناصر تلقى تأكيدات من قادة أوروبيين بأن الفلسطينيين المعتقلين سـيفرج عنهم حال الإفراج عن الرهائن، وأنهم يتابعون الأمر مع إسرائيل من خلال الصليب الأحمر الدولي. لكن الأمور تسارعت باتجاه آخر، إذ لم تعد أمام الأطراف خيارات كثيرة، فأُعلن في عمان تشـكيل حكومة عسـكرية برئاسـة اللواء محمد داود، وفرضت الإحكام العرفية، وراح الجميع ينتظرون المعركة.

مسـاء الخامس عشر من سـبتمبر (أيلول) خيم على عمان صمت كصمت القبور. خلت الشـوارع تماماً من البشر والسـيارات. بدت مدينة مهجورة تتحرك في شـوارعها بفعل الريـح أوراق، وتحوم قطط تبحث عن زادهـا. قررت أن أقوم بجولة في قلب العاصمة، كان الأمر في كل مكان على نفس حال جبل الجوفة، حيث مقر قيادة الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين. عدت أدراجي بعد حين. لم يكن هناك احد في المكتب سوى أنا، فالكل استنفر، والكل توجه إلى موقعه. وعند فجر السادس عشر، انفجرت معارك أيلول ١٩٧٠.

ماذا حل بالرهائن:

لم تتوقف الاتصالات بالرغم من اشتداد القصف واطلاق النار في شوارع عمان.

فقد نشـــط ضباط المخابرات المصرية نشـــاطاً كبيراً باوامر صادرة عن الرئيس جمال عبد الناصر.

وتقرر ان يتم التداول بشـــكل سريع بين اعضاء القيادة لبحث طلب الرئيس جمال عبد الناصر بالافراج عن كافة الرهائن مقابل وعد منه بالعمل على الافراج عن المعتقلين التي تطالب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالافراج عنهم.

ووافقت القيادة ولبت طلب جمال عبد الناصر لأنها اعتبرت هذه الخطوة بداية جديدة في العلاقة مع مصر وجمال عبد الناصر. ويذكر ان تلك العلاقة فترت الى حد كبير بسبب الالتباس الذي حصل قبل انشقاق نايف حواتمة ليشكل الجبهة الديمقراطية.

وبالفعـــل اصدرت الاوامر لتســـليم الرهائن للضباط المصريين وكانـــوا موزعين في اربعة اماكن متباعدة: شمال الاردن وعمان وجنوبه.

وتم تســـليم الجميع باســـتثناء دبلوماسي ســـويسري كنت قد اصطحبته الى مستشـــفى الاشرفية لتسليمه للصليب الأحمر.

لكن اندفاع قوات البادية آنذاك نحو المستشفى مكنه من تسليم نفسه لهم.

والحصيلـــة ان كان الرهائن ســـلموا وهـــم بصحة جيدة ولم يصب أحـــد منهم باذى أو جرح أو حتى مرض. فقد كانوا يتناولون وجبات ســـاخنة في الوقت الذي لم يكن بمقدور المواطنين أن يأكلوا.

وبالفعـــل وبعد مرور فترة من الزمن غير الطويل افرج عن كافة المعتقلين في الســـجون الاوروبية وعدد من المعتقلين في الأرض المحتلة.

(الفصل الثامن)

عمليات في كل مكان بعد أيلول ١٩٧٠

عام ١٩٧١ كان عاماً ملتهباً رغم الخروج من خط المواجهة عند نهر الأردن.

لم يعرف "المعلم" وديع حداد في أحداث الأردن ما بعد معارك أيلول ١٩٧٠، فبعد عودة الدكتــور جورج حبش للأردن، قطــع زيارته للصين وكوريا وتســلم زمام الأمور، وانكب وديع حــداد على التخطيط لعمليــات تنوعية وخاصة وتدريــب الطواقم لأداء العمل والإشراف على تنفيذها.

تخطت عملياته في تلك الفترة أماكن جغرافية متباعدة مما دل على قدرات عالية ودقة في التخطيــط والتنفيذ، كان هدفه دائماً إيذاء العدو في مفاصله الضعيفة، وتثبيت منهج الثورة العملي في التصدي للإمبريالية والصهيونية الدموية التوسعية.

اصدرت غولدا مئير تعليماتها، رداً على وديع حداد والجبهة الشــعبية لتحرير فلســطين، "العمليات الخاصة" بتأســيس «جويش ديفنس ليغ» رابطة الدفاع اليهودية JEWISH DEFENCE LEAGUE، وقد تأسســت في نيويورك في عام ١٩٦٨، ويتضح من ســماح الحكومة الأمريكية بإنشــاء وتســجيل عصبة إرهابية في نيويــورك، أن مصدر الإرهاب هو الامبريالية والصهيونية التوســعية، وأن الجرائم التي ترتكب ضد الشعوب من خلال الحــروب كحرب فيتنام وغزو ١٩٦٧، وقتــل الأبرياء واغتيال الزعماء لا يعدّ إرهابا لدى مصــادر الإرهاب، بينما دفاع الشــعوب عن نفســها وعن ممتلكاتهــا وثرواتها وأرضها وأطفالها هو "إرهاب".

عقــدت أجهزة الأمن الأميركية اتفاقا مع رابطة الدفاع اليهودي للقيام بعمليات إرهابية ضد الاتحاد الســوفييتي الذي اتهمته الولايات المتحدة وإسرائيل بتزويد الفلســطينيين والأيرلنديــين والفيتناميين بالســلاح، في أعــمال الرابطة الإرهابية مركــزة على الأهداف السوفييتية والفلسطينية، وكل من يقف في وجه الإرهاب الإسرائيلي.

واســتخدمت الرابطة الإرهابيــة اليهودية العمليات الإرهابية ضد الاتحاد الســوفييتي لابتزازه في ان يسمح لمئات الآلاف من يهود الاتحاد السوفييتي بالهجرة لإسرائيل، وعندما فتحت موســكو باب الهجرة تبين أن أكثر مــن ٦٠٪ من الذين هاجروا لإسرائيل هم من الأرثودكس أملا في الهجرة لاحقاً للولايات المتحدة.

تأسست شركات ذات طابع مامنيوي (مافيا) لتشغيل الشابات السوفييتيات (الروسيات) في ســوق الدعــارة المحلية في إسرائيل والعالمية، بعد أن قامــت هذه الشركات باحتجاز جوازات سفرهن كانت الشركة تشــغل الفتيات الروسيات (وما زالت) في سوق الدعارة مدة أربع ســنوات مقابل إعادة جواز ســفرهن وتأمين تأشيرة للولايات المتحدة -الشيء الذي لم يتم في معظم الحالات-

مع العلم ان تل أبيب تحتل الموقع الأول في سوق الدعارة في العالم، حسب مجلة تايم.

أسس الرابطة اليهودية الإرهابية في نيويورك الراباي مئير كاهانا الذي غادر نيويورك بعد ذلك في عام ١٩٧١ متوجهاً لإسرائيل وأسس حزب كاخ.

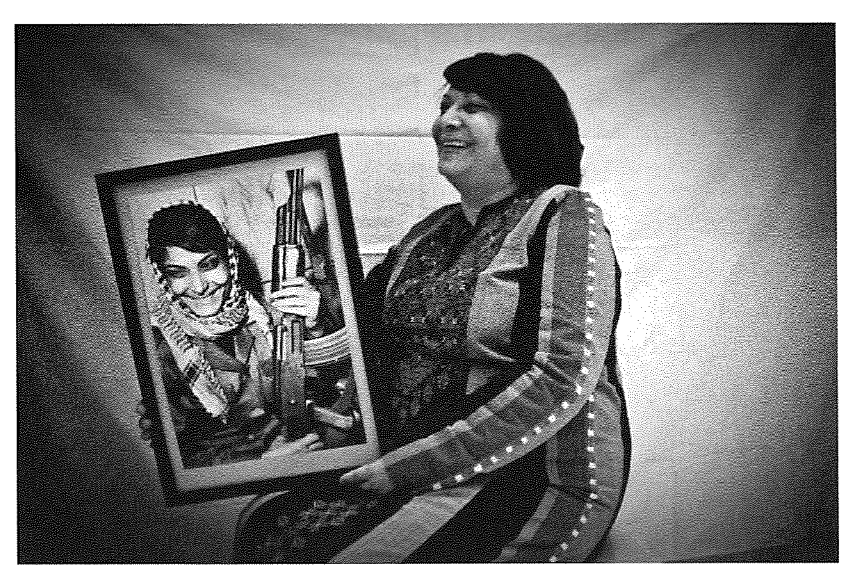
حتى يتفادى الاعتقال أعلن انسلاخه عن رابطة الدفاع اليهودية التي أسسها بعد اغتيال اليكــس عودة، مديــر ورئيس اللجنة العربيــة الأميركية لمناهضة التمييــز، من قادتهم أربعنع روبي، انتحر في السجن، ايرل كروجر، قتل في السجن بعد أن حكم عشرين عاماً.

برنامــج كاهانا/حزب كاخ: كان يدعو لضم كافة الأراضي التي احتلت: ســيناء والجولان والضفة وغزة، وطرد كل العرب لتصبح هذه المناطق يهودية خالصة.

كاهانــا قتــل في نيويورك بعد عامين من منع الكنيســت حزب (كاخ) من المشــاركة في الانتخابات.

وجد وديع حداد نفسه وجهاز العمليات الخاصة والجبهة الشعبية والفلسطينيين إجمالا في وضع مواجهة خاصة مع إسرائيل وأجهزتها وحلفاء إسرائيل الإرهابية.

زاد من صعوبة الوضع ما حدث في الأردن، فقد خسرت المقاومة موقعاً من أهم مواقعها، لانه عــلى تماس مع الأرض المحتلة، والتنظيم السري المقاتل داخل الأرض المحتلة. كانت قــوات الثورة الفلســطينية التي انتقلت إلى جبال عجلون بعد قمــة القاهرة تعاني من



ليلى خالد بطلة عدد من العمليات التي خطط لها وديع حداد، اعتقلت في لندن عام ١٩٧٠ بعد فشل اختطاف طائرة العال، حينما قتل المناضل باتريك ارغويللو.

التضييق الخانق، مما جعلها عاجزة عن القيام بأي عمل ضد العدو الإسرائيلي عبر الحدود مع الأردن أي عبر نهر الأردن.

فرسم خريطة عمل تبقي جذوه النضال، وتعكس نفسها تحث الهمم لاستمرار مقاومة العدو الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه تكشف العصب الذي يربط مصالح الإمبرياليين بالصهيونية التوسعية ولحلفاء الامبريالية في المنطقة.

فوجه في عام ١٩٧١ عدة ضربات لشريان النفط الذي تنهب الامبريالية من خلاله ثروات المنطقة.

كما ركز على توجيه مجموعات من الخارج لتضرب داخل الأرض المحتلة، ولتنقل السلاح والذخيرة عبر طرق بديلة عن نهر الأردن والبحر الميت والعقبة، مثل صحراء النقب.

في العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ مرت منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المقاومة للاحتلال بظروف صعبة ومعقدة.

فقد استنفرت إسرائيل كل ما تملك من إمكانات وعلاقات واستخدمت كل ما لدى

الولايـــات المتحدة وبلـــدان أوروبا من ثقل وقدرة على الضغط عـــلى دول العالم (ومنها العربية) لتشل منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المقاتلة وتصفيتها تدريجياً.

فقد رأت غولدا مئير (رئيســة وزراء إسرائيل آنذاك) وموشيه دايان (وزير الدفاع) في نمو منظمة التحرير واتســاع نفوذها وقدرتها على اســتنهاض وتوحيد وتعبئة الفلسطينيين خطراً استراتيجياً لا يهددها ويهدد أمنها فقط، بل يتهدد «شرعية» وجودها!

خرجــت قوات المقاومة من المدن الأردنية في العام ١٩٧٠ وبقي التوتر فائقاً، وتســببت بعض الاشــتباكات المتفرقة في إشعال معركة فاصلة أراد بها الأردن أن تزيل كافة أسباب عدم الاستقرار الداخلي.

وفي تموز آب من عام ١٩٧١ خرجت قوات منظمة التحرير الفلســطينية من الأردن إلى سوريا.

كانت الحســابات الإسرائيلية تعتقد أن هذه نهاية المقاومة، لأن ســوريا ستحول جيش التحرير الفلسطيني إلى «جيش إنقاذ جديد» سرعان ما ينتكس ويتحول إلى يافطة دون مضمون.

لكــن قيادة فصائل المقاومة الفلســطينية خططت وعملت بصمــت لتفادي هذا الأمر وحولت مواقعها العســكرية إلى جنوب لبنان تدريجياً مســتخدمة طــرق مختلفة مها سفوح جبل الشيخ.

وكان لياسر عرفات قول تناقله الجميع: الجبل، الجبل يا سارية الجبل.

إغلاق إسرائيل للجبهة الأردنية (الضفة الغربية) قوبل بفتح جبهة شــمال فلســطين من جنوب لبنان وراحت قوات المقاومة تعيد رســم خرائطهــا وأهدافها وتدريب وحداتها الخاصة على أرض جنوب لبنان وشمال فلسطين.

أما الدكتور وديع حداد فقد انهمك ـ كما سبق أن ذكرنا ـ في التخطيط لعمليات موجهة للتحالــف الامبريالي الصهيوني التوســعي ففي عام ١٩٧١ أصدر الأوامر بنســف أنبوب التابلاييــين أنبوب النفط عبر البلاد العربيــة (TRANS ARABIAN PIPELINE (TA-PLINE ففي شهر تموز من عام ١٩٧١ أصدر وديع حداد تعليماته لمجموعة من المقاتلين

المختصين والمتخصصين بصنع العبوات الناسفة بالتوجه إلى الجولان لنسف أنبوب النفط الرئيسي (تابلاين) وتم ذلك، في الوقت الذي اشتعلت فيه معارك متطرفة في عجلون بين القوات الأردنية، وقوات الثورة الفلسطينية.

وتعذرت المجموعة بقيادة أبو محمد (درّب في سوريا ومصر والصين) بنسف الأنبوب فاشتعلت النيران وشوهدت ألسنتها عن مسافات بعيدة.

وقامت المجموعة بنسفه مرة أخرى في شهر أيلول من العام نفسه والتهبت فيه النيران.

لم يصب أحد بأذى في تلك العمليات، لكن أن رسالة السياسيين كانت واضحة كل الوضوح، فقد أراد الدكتور وديع حداد أن يسير إلى أن النفط وهو شريان الحياة الأساسي للدول الصناعية الكبرى، لن يكون في مأمن، ولن يكون تدفقه مستمراً في ظل السياسة الامبريالية الداعمة دون حدود للسياسات التوسعية الإجرامية الإسرائيلية.

وفي الوقت ذاته كانت تلك العمليات التي استهدفت أنبوب النفط الكبير، رسالة للدول المنتجة للنفط بضرورة استخدام الثروات العربية لخدمة قضايا الأمة العربية سياسياً، وألا تستمر هذه الدول في التصرف حيال الدول الامبريالية الداعمة لإسرائيل تسليحاً وتمويلاً وكأنها لا تعادي الأمة العربية.

اصدر وديع حداد تعليماته لمجموعة من مقاتلي البحر بالتدريب على ضرب ناقلة نفط عملاقة كانت تنقل النفط هي وناقلات أخرى من الآبار العربية لميناء ايلات الإسرائيلي.

وأراد وديع حداد أن يوجه رسالة من خلال تلك العملية للدول العربية المنتجة للنفط، وللدول الرأسمالية الظالمة، والداعمة للعدوان الإسرائيلي والجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني أن الفدائيين الفلسطيني قادرون على غلق هذا الطريق وتحويل عملية نقل النفط إلى عملية مجازفة محاطة بالمخاطر.

قامت مجموعة يقودها المقدم (أبو حنفي) بالتدرب ليل نهار انطلاقاً من جزيرة البريم قرب باب المندب لضرب ناقلة نفط عملاقة تنقل النفط من الخليج العربي إلى إيلات.

ووقع الاختيار على ناقلة عملاقة مسجلة في ليبيريا وتبحر تحت علمها ناقلة النفط العربي لإسرائيل.

شـــملت عملية التدريب دراســـة خط الســـير البحـــري، واعتداءات عبـــور باب المندب وسرعتهـــا، وحركة الأمواج وعلوها واختبرت الزوارق المناســـبة (السريعة) لتنفيذ عملية الهجوم بحيث تكون قادرة على الوصول لشـــاطئ اليمن بعد ضرب الناقلة في وقت أقل من ذلك الذي تحتاجه زوارق خفر السواحل في المنطقة للوصول إلى المجموعة المهاجمة.

واختير نوع الســـلاح، وجـــرب أكثر من مرة عـــلى أهداف وهميـــة، وفي اللحظة المقررة انطلقت زوارق الجبهة الشـــعبية لتحرير فلســـطين بأقصى سرعة والتفت حول مقطورة القيادة على مســـافة مناســـبة وأمطرت الناقلـــة بوابل من الصواريخ المضـــادة للدروع وتمكنت من إطلاق عشرين صاروخاً تصاعدت على أثر إصابتها للناقلة النيران من أماكن مختلفة من الناقلة العملاقة.

أحبطت الناقلة في الوقت الذي أسرعت فيها الزوارق الخاصة نحو الشاطئ الأقرب، وهو شاطئ اليمن الشمالي، وســـلمت المجموعة نفسها وأسلحتها للقوات العربية اليمنية في اليمن الشمالي.

أحبطـــت الناقلة، وتم قطر الكـــورال سي CORAL SEA إلى ميناء ايلات لإصلاحها، هذا كان دليلاً على ملكية إسرائيل للناقلة واستخدامها العلم الليبيري تمويهاً.

وسرعان ما انتشرت الرسالة السياسية التي أرادها الدكتور وديع حداد في العالم أجمع.

في عام ١٩٧١ طلب الدكتور وديع حداد باســـم الجبهة الشـــعبية لتحرير فلسطين كافة الثوريـــين في العالم، ومقاتـــلي الحرية أن يصعّدوا من عملياتهم ضـــد التحالف الامبريالي الصهيوني، وبالفعل قام الثوريون بشن عشرات العمليات الصغيرة تتمثل بقنابل يديوية، هجوم مســـلح، وصواريخ مضادة للدروع على أهـــداف صهيونية وامبريالية في أكثر من عشرة بلدان لا مجال هنا لذكرها.

مـــن ناحية أخرى ركـــز الدكتور وديع حداد في هذا العام (نهايـــة ١٩٧١ - ١٩٧٢) على المساعدة الفعالة في توصيل السلاح والذخيرة للأرض المحتلة.

إذ أصبح من المســـتحيل اســـتخدام الجبهة الأردنية الإسرائيلية: نهر الأردن، البحر الميت، العقبة، طرقاً لتهريب الســـلاح والذخـــيرة ونجح الدكتور وديع حـــداد وفرع العمليات

الخارجية الخاصة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في اختراق هذا الحصار.

ليس هذا فحسب بل تعاون الدكتور وديع حداد لأول مرة مع فتح لإنجاح المحاولات لكسر الحصار.

فاستخدمت هيئات دبلوماسية وبريد دولي وعمليات شحن تجارية لتحقيق ذلك.

ونستطيع الكشف هنا (ولأول مرة) أن شركات إسرائيلية أسسها ضباط مخابرات متقاعدون استخدمت لتهريب السلاح والذخيرة للأرض المحتلة مقابل المال.

وما زالت هذه الوسيلة قائمة وحية حتى الآن.

واستخدم تحالف أبو جهاد ـ أبو هاني بعض القذائف التي أوصلت للأرض المحتلة لقصف منطقة بتاحتكفا، وكان المنفذون من المقاتلين الثوريين الذي ينتمون لتنظيمات ثورية أوروبية، ألمان بشكل أساسي.

هكذا استخدمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فرع العمليات الخاصة، الوقت «المهدور» في معارك جانبية، لتوجيه ضربات موجعة للتحالف الامبريالي الصهيوني الاستيطاني ولإعادة الحيوية للعمل داخل فلسطين المحتلة وتوجيه رسائل سياسية شكلت عناوين العمليات الكبيرة في السنوات التي تلت الخروج من الأردن.

(الفصل التاسع)

فرع العمليات الخاصة نجح في تطوير أقلام التوقيت ووسائل القتال

خلال ذلك، لم يتوقف القتال ضد الاحتلال.

إذ استمرت العمليات عبر الحدود الفلسطينية المحتلة، ولبنان، كذلك بدرجه اقل عن طريق الجولان.

بدأت المقاومة الفلسطينية تعيد التركيز على إعادة بناء التنظيم داخل الأرض المحتلة، وانشغلت في إيجاد طرق لتهريب السلاح والذخيرة والمتفجرات.

ابتدعت وسائل لم تكن بحسبان العدو. لقد ساهم المعلم وديع حداد في هذا المجال مساهمة خلاقه، ذلك عبر تطوير أقلام التوقيت وصناعتها محليا وصناعة القنابل محليا وتمويه المتفجرات وتهريبها بأشكال متعددة. مما أثار جنون المحتلين الصهاينة.

راحوا يلهثون وراء وديع حداد الذي سبقهم بمسافات. كلما اكتشفوا طريقة من طرقه فاجأهم في ابتداع أخرى.

من الأمثله على هذا، تمكن قسم الأبحاث في "المجال"، أي العمليات الخاصة، من صناعة قنبلة يدوية بدائية من علب الكوكاكولا المحشوة بكرات معدنية صغيرة حتى ربعها، وحشو الباقي بمادة الهكسوجين، يمكن زرع فتيل فيها في أي لحظة يريد المقاتل استخدامها بعد أن يشعل الفتيل تتحول علبة الكوكاكولا إلى قنبلة قاتلة.

ومثل أخر على صناعة حقيبة السمسونايت من مادة بلاستيكية قوية كتلك المستخدمة في حقائب السمسونايت، والفارق هو إطار جانبي الحقيبة كان مصنوعا من المتفجرات التي صنعت لتكون شبيهه تماما ببلاستيك السمسونايت القوي.

واكتشف قسم الأبحاث أن القشرة الخارجية للقرقند البحري، لوبستر، الموجود في ملتقي البحر الأحمر بالمحيط الهندي قرب باب المندب، لا تخترقه أشعة أجهزة الفحص الأمني في المطارات، وانه بالإمكان استخدامه لتغطية شحنات من المتفجرات أو قنابل حديديه أو ذخائر، وصنع قســم الأبحاث درعا واقيا من الرصاص خفيف الوزن، وصنع مختبراته مناظـير ليلية كان من الصعب شرائها، وطور المســافات التي يمكن للرموت كونترول أن يتحكم فيها بتفجير العبوات الناسفة.

أما الدائرة الأهم التي أسسها المعلم وديع حداد فكانت دائرة الطباعة. التي احتوت على احدث أجهزة التصوير والطباعة والورق الخاص، ذلك لتزوير الوثائق وجوازات الســفر اللازمة للعمليات.

كان حريصا جدا على منع أي نوع من الخلل في هذه الدائرة بحيث لا يتمكن إنسان كائنا من كان أن يزور وثيقة ســفر، أو جواز ســفر دون قرار منه ولشؤون تتعلق بالعمليات خوفا من انكشاف الموضوع. كذلك الأمر بالنسبة لتزوير العملة.

لقــد كان بإمكان هذه المطابــع تزوير الدولار طبق الأصل (وجرب هذا) لكنه منِع منعا باتا تزوير الدولار لأسباب منها أن المعلم وديع لم يكن راغبا في استفزاز الولايات المتحدة أو القيام بعمليات فيها لأنه لم يرغب في استنفار أجهزة الولايات المتحدة ضد (المجال).

دائــرة الطباعة هذه كانت تعمل بدقه متناهيــة فاقت دقة المحترفين. وأصبحت تتمتع بخبرة واســعة في أنواع الورق ومصادر الورق التي بحد ذاتهــا كانت عقبه أمنية كبيرة. فقد كانت ترفض بيع الورق من النوع الذي تستخدمه بريطانية، مثلا، في صنع جوازات السفر التابعة لها. فكان على الدائرة الحصول عليه بطرق معقدة أو أن تهرب منه خارج المصدر كمية قليلة جدا بحيث لا تلفت انتباه المصدر أولا، ولا ينتبه الذي اشترى الورق الخاص لطباعة الجوازات أو العملة ثانيا.

لكــن عــدم القدرة في الحصول على الــورق الخاص بكميات مناســبة حثّ العاملين في هذه الدائرة لمضاعفة الجهود، والتركيز بحيث تنتج محاولاتهم باســتعمال كمية اقل من المعدل المطلوب في انتاج الجوازات.

هذا ما حصل عندما حضرت جوازات سفر يابانية لليابانيين الذي شنوا العملية الانتحارية في مطار اللد.

كانت ابرز الصعوبات في هذا الميدان هي تلك التي كانت تبرز عندما يكون جواز السفر قد ثبت بالخياطة وليس بالصمغ اللاصق، ألا أن الدائرة تمكنت من حل هذا الإشكال.

أثــارت عملية اللوفتهانزا حفيظة المعادين للدكتور وديع خاصة هؤلاء الذين كانوا يرون في عملياتــه انتصارا داخليا للتيار الــذي كانوا يطلقون عليه لقب التيار النضالي، ويرون فيها إضعافا لتيارهم اليساري.

وكان على رأس المعاديــن للدكتور وديع حداد أبو يونس احمد (يونس البجيرمي) الذي كان يعمل في قطر قبل ترحيله إلى لبنان هو وحسين القلا.

وكانــا عضويــن في المكتــب الســياسي، وكان أبو احمد يونس مســئول الأمــن الداخلي والخارجي في الجبهة، وكان حســين القلا بعد أن تخلى وديع حداد عن المهمة، مســئولا للمالية المركزية.

راح أبــو احمد يونس يخطط، وينفذ عمليات تدر أموالا على الجبهة. كان فريقه الأمني مسخرا للقيام بعمليات تدر مالا لجيوبه، وجيوب العصابة التي كونها تحت يافطة جهاز الأمن.

فبعــد عمليــة اللوفهنزا، اتهم فريق أبــو احمد يونس الدكتور وديــع حداد بأنه جلب الأموال ليســيطر على الجبهة الشــعبية، بينما في الواقع تم الاتفــاق بينه وبين الدكتور جورج حبش على استثمار جزء كبير من المال في مشاريع تدر أرباحا على الجبهة الشعبية لتغطية متطلباتها. ومن هذه المشــاريع إنشاء بنك ـ ما زال يعمل ـ شراكة مع مجموعة من الممولين. ومشاريع سياحية ومطاعم في مصر وبغداد.

واســتثمر جزءا من الأموال في بورصة بيروت، لشراء وبيع الأســهم والمتاجرة بها ليستفاد من ربحها في تغطية المصاريف.

ومولت عدة مشاريع في الولايات المتحدة لنفس الغاية.

فقد قامت مجموعات أبو احمد يونس باختطاف شــاب لبنــاني، كان الدكتور وديع قد أوكل له أمرا باستثمار مبلغ من المال في الأسهم ببورصة نيويورك. كان من المتوقع أن يدر ذلك دخلا للجبهة الشعبية يساعدها في تغطية مصاريفها.

لم يعلم أعضاء المكتب السياسي بهذا الأمر.

كان هذا الشــاب صديقــي. فبلغني من احد حراس الســجن أن صديقي مصطفى قيد الاعتقــال، وانه يتعرض للتعذيب. وأنهــم اختطفوه بحجة أنني أرســلتهم ليأتوا به إلى مكتبي.

لكنهم قادوه إلى سجن أبو احمد يونس.

فأسرعــت لإبلاغ الدكتور جورج حبش الذي اســتبعد الأمر، وعندمــا احتد النقاش بيني وبينه، توجهنا للسجن، وتبين أن الرجل موجود هناك. فأمر الحكيم بالإفراج عنه فورا.

أخر أبو احمد يونس الإفراج عنه يومين لإخفاء أثار التعامل الخشن معه.

التقيــت مصطفى، كان متعبا جــدا، قلت له أن الجبهة تريد المــال. فأجابني بان المال مربوط باســمهم، وان الانتظار لنهاية الشهر سيدر على الجبهة ربحا ومن الخطأ سحبه الان، لان الجبهة ســتخسر. لكن الحكيم أصرّ حتى يفند آراء أبو احمد ومجموعته، وتم سحب المبلغ.

خلال حديثي مع مصطفى ابلغني أن ضابطا انجليزيا يدعى داتون DATON

مسجون في الزنزانة المجاورة لزنزانته، وانه تحدث معه وقال لي: انه بالإمكان مبادلة هذا الضابط بمبلغ من المال.

عندما ســألت الحكيم، وطرحت الموضوع في المكتب الســياسي، وافق المكتب السياسي على أن يكون الحد الأدنى نصف مليون ليرة لبنانية.

ضحك مصطفى من الطلب وقال أنهم ســيدفعون أكثر بكثير لو طلبت الجبهة، وتحرك لأجراء اتصالاته، وتمت مبادلة السجين شارلز داتون وهو ضابط انجليزي، بنصف مليون ليرة لبنانية..

استمرت هذه المجموعة في عملياتها التي انحرفت تدريجيا نحو الأجرام المنظم.

فقد قام فريق أبو احمد يونس، باختطاف ضابط مخابرات أردني كان معارا للتدريب في

دولة الإمارات المتحدة واسمه: رفاعي الهزايمة. كان الضابط رفاعي يقضي ببيروت بضعة أيام للاستجمام. تم اختطافه أثناء خروجه من نادٍ ليلي، قضى فيه سهرة طويلة.

لم يعلـم بهذا أي من أعضاء المكتب السـياسي، ودفعت الإمـارات مبلغا كبيرا من المال للإفراج عنه، وتسلم أبو احمد يونس المال، ولم يبلغ عنه.

ولفتت هذه الممارسـات انتباه المعلم وديع حداد، كان يشـك بان احد أعضاء المكتب السياسي يسرب أخبار المجال الخارجي لجهة معادية ما.

ناقش عدة مرات هذا الأمر مع الدكتور جورج حبش، الذي كان أمينا وصادقا مع رفاقه دائما.

فقد كان وديع حداد قد التزم بقرار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي يشترط على المجـال الخارجي (وديع حداد) اخذ موافقة الحكيم عـلى أي عملية يفكر في تنفيذها. كانـت المراحل لتنفيذ القرار تقتضي أن يبحث الدكتـور وديع حداد مع الدكتور جورج حبش العملية المقترحة من حيث المبدأ بعد دراسـته تأثيراتها السياسـية المحتملة، وان يقـوم المجال الخارجـي باطلاع الدكتور جورج حبش على خطـة العمل، واخذ الموافقة عليها، أما المرحلة الثالثة فكانت اخذ موافقة الدكتور جورج حبش على بدء التنفيذ، أي التوقيت.

كانت أمانة وصدق جورج حبش تقتضي بان يطلع المكتب السـياسي على ما يدور بحثه مع المجال الخارجي.

فأصبح الدكتور وديع أكثر من مرة على هذا شـارحا أن هنالك من يسرب الأخبار، وان المعلومات سـتصل للعدو، وهذا سيضع المجموعات المنفذة في خطر، وسيعرض العملية للفشل.

لكن الحكيم الذي كان يتعامل بأمانة وصدق مع رفاقه في المكتب السـياسي رفض فكرة الاندساس، واستمر في إعلام المكتب السياسي بعد أن اختصر العدد إلى مجموعة صغيرة بين أعضائها: المسـؤول العسـكري، ومسـئول الأمن، أبو احمد فؤاد وأبو احمد يونس، وفؤاد المراغى المسؤول العسكري ويونس البجيرمي، مسؤول الأمن.

تابع وديع حداد شكوكه إلى أن حصل عبر علاقاته الواسعة على نسخه من الشيك الذي دفع لابو احمد مقابل الإفراج عن رفاعي الهزايمة.

وأرسل د. وديع صورة شيك البنك العربي للدكتور جورج حبش ليطلعه على المعلومات، ويبلغه بما يدور دون علمه.

وقام فريقه بخطف صديقي عصام السلفيتي.

كانت تربط والده حليم السلفيتي بوالدي صداقه حميمة، وكانا جيرانا في جبل اللويبده حيث بيت والدي وبيت حليم السلفيتي.

كان حليم السلفيتي من اكبر صرافي عمان، وكان عمله قد امتد الى بيروت. ورحلة عصام أو أسامة السلفيتي من والى عمان كانت رحلة قصيرة.

كان نقـل الأموال بحقيبة مـن والى بيروت مصدر ربح لا بأس به، ذلك نتيجة للفارق في سعر صرف العملات بين عمان وبيروت.

قام فريق أبو احمد يونس، باختطاف عصام السـلفيتي والإفراج عنه بسرعة وهذا دليل على أن المبلغ المطلوب للمجرمين تم دفعه بسرعة.

او ربمـا صودر المبلغ الذي كان يحمله عصام بحقيبته، ولا املك المعلومات الدقيقة عن ذلك، فقد اخفي الموضوع عن المكتب السياسي.

ومـن الإعمال الإجرامية التي قام بها هذا الفريق اختطاف عبد الكريم الكباريتي الذي كان طالبا في الجامعة الأميركية في بيروت ـ انظر في مكان آخر ـ

مـن ناحية أخـرى كان وليد قدوره الذي كان قيد الحوار حـول الهوية الفكرية للجبهة والإسـتراتيجية والتكتيك، يعتبر أن المجال الخارجي هو السبب الرئيسي لمراوحة الجبهة الشـعبية في "مسـتنقع" فكرها الوطني اليميني وعدم تخطيها الحواجز لتصبح تنظيما يساريا.

في تلـك الفترة، كان العقيد أبو الزعيم، ضابط سـابق في الجيش الأردني، انضم إلى فتح، وأصبح مسئولا للاستخبارات العسكرية في فتح.

في ليلة من ليالي نيسان ١٩٧٢ اعتقل أفراد من استخباراته، وليد قدوره ولبنانيا كان يقود السيارة في منطقة ساقية الجنزير. وتبين أن اللبناني كان ضابطا في المكتب الثاني، وان وليد قدوره كان عميلا له ـ انظر مكان آخر-

رغـم هـذا كان وديع حـداد لا يحيد بتفكـيره وعمليه أهدافه، عن أهداف الشـعب الفلسطيني، وهو ضرب العدو: وراء العدو في كل مكان كان.

استمر شعار المجال الخارجي، شـعارا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي ميزها عن التنظيمات الأخرى عملياتها الخاصة الجريئة جدا.

مباشرة بعد عملية اختطـاف اللوفتهنزا بدأ المعلم بالتحضير لعملية كبيرة أخرى عملية مطـار اللد، التي كانت أول عملية انتحارية كبيرة تشـن داخل فلسـطين المحتلة، وأول عملية تجسد وتترجم التحالف الفلسطيني الدولي وأول عملية يظهر فيها الجيش الأحمر الياباني عالميا كشريك لحركة التحرر الوطني الفلسطيني، يترجم الإستراتيجية الجديدة أي إسـتراتيجية توجيه الضربات للنظام الرأسـمالي الامبريالي عبر المشاركة في نضال حركات التحرر الوطنية الساعية لنيل حريتها واستقلالها.

كيـف ولدت فكـرة عملية مطار اللد؟ وكيف حضّر لها؟ وكيـف درّب أفراد المجموعة؟ وكيف تمكنوا من السفر ؟ هذا ما سنرويه الان.



(الفصل العاشر)

هجوم لم يتوقف لحظة على وديع حداد

استهدفه واستهدف عملياته

بعد عمليـــة «مطار الثورة» وأحـــداث أيلول، أصبح وديع حـــداد الرقم الصعب. بدأت تلاحقه كافة أجهزة المخابرات الغربية والإسرائيلية والعربية.

فقد كان يشكل خطرا عليها جميعها. والتقت مصالحهم جميعا عند نقطة واحدة هي: تصفية وديع حداد.

فقـــد كان بما يقوم به من عمليات، يشـــكل خطرا عليهم، وســـعيه لإقامة تحالف ثوري دولي يشـــكل خطرا عليهم في عقر دارهم، ورأت إسرائيل في شـــعاره "وراء العدو في كل مـــكان" خطرا داهما عليها وعلى المؤسســـات الصهيونية في العـــالم، ومصالح إسرائيل في جميع أنحاء العالم.

شـــحذت هذه الأجهزة همها بشـــكل مباشر، ونســـقت فيما بينها لتقوم بعمل جماعي، وســـعت لتجنيد أعضاء وكوادر في الجبهة الشـــعبية تحت حجج مختلفة للإيقاع بوديع حداد في كمين لا يخرج منه.

الا أن وديـــع حداد اســـتمر في الانطلاق للأمام تاركا الأعداء يلهثون لتشـــكيل مفاجئات لأعدائه، فبدوا كلاعبين شطرنج من الدرجة الثالثة أمام بطل التحرك الهجومي.

اثر هذه الأحداث في الأردن، أصبحت الفرصة متاحة من أوســـع أبوابها لتأطير الفصائل الثورية في العالم وجمعها على أساس برنامج مواجهة الامبريالية في جبهة واحدة، بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فتحت عدة معسكرات (في لبنان واليمن والعراق) لتدريب عشرات بل مئات من أعضاء هذه الفصائـــل الثورية: هولنديين، ويونان، وايطاليين وفرنســـيين، وانجليز، وألمان، ومن

أميركا اللاتينية، وإيرانيين، وإسبان وسويسريين واسكندينافيين.

بعد خروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن نهائيا في عام ١٩٧١ اثر الهجوم الكاسح الذي شنته قوات الجيش الأردني على مواقع إعادة انتشار قوات الثورة الفلسطينية، كان قرار قيادة منظمة التحرير الفلسطينية هو التوجه تدريجيا ودون ضجيج إلى جنوب لبنان. وهكذا حصل.

وعصفت التناقضات بكافة التنظيمات، فقد كان لكل تنظيم من التنظيمات وعلى رأسها فتح والجبهة الشعبية قيادة في لبنان.

(الساحة الثانية بعد الأردن) وبوصول القوات من الأردن وعلى رأسها القيادات الرئيسية حصل الاحتكاك بين القيادتين: المركزية، وقيادة لبنان وتصاعدت التناقضات إلى أن وصلت إلى حدّ الصدام المسلح، وسقط قتلى وجرحى في معارك حسم أمور القيادة.

على سبيل المثال عاشت فتح تناقضا صداميا في المخيمات بين التنظيم وميليشيات المسلحة، والقيادة المركزية وقواتها الضاربة.

لم تدم المعارك طويلا، ففي صيف ١٩٧٢ حسم أبو عمار أمور فتح، واعتقل حمدان عاشور، الذي كان مسئولا عن التنظيم ومليشياته. وبرز في فتح تيار في القوات سرعان ما أنهاه ياسر عرفات عندما قصف تجمعه بالمدفعية (اللهيب).

ونبتت داخل فتح نبته صغيرة أطلقت على نفسها "اليسار" واتخذت خط المعارضة من داخل مؤسسات فتح.

كانت رموز هذا التيار، أبو صالح عضو اللجنة المركزية، وماجد أبو شرار عضو المجلس الثوري آنذاك.

أما داخل الجبهة الشعبية، فقد كان الموضوع اعقد بكثير. إذ أن القانون العام الذي يحكم التناقضات والتعارضات داخل الجبهة الشعبية كان "الحوار الديمقراطي" لذلك لم يكن بإمكان تيار أن يفرض رأيه أو هيمنه على الجبهة بالقوة.

كانت هنالك مجموعة يقودها "وليد قدوره" من مخيم عين الحلوة بجنوب لبنان. كانت

المجموعة تضم عددا من الكوادر الطلابية، والعالمية وتتحدث بلغه "السوبر يسار".

كانت تتلاقى مع مجموعة يقودها شـــاب عراقي "أبو شهاب" تتحدث أيضا بلغة ناعمة انقلابية، وبلغة يساريه متطرفة.

اليســار لغته، ولهجاتــه لم يجد موضوعا جوهريــا يختلف عليه فقط ســقط الجميع: المعارضة، والتيار الأساسي، وهاشم علي محسن رئيس اتحاد نقابات العمال العرب، وهو عراقي قاد حزب العمل الاشــتراكي اللبناني لاحقا. ســقطوا جميعا في فخ الحملة الثورية. التي لا معنى لها في ظل الظروف النضالية الفلســطينية والعربية الســائدة: اي ظروف تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي.

لكــن هذه التناقضــات فتحت الأبواب على مصراعيها لكل من أراد الاندســاس وتجنيد العمــلاء داخل صفوف الجبهــة. كان من الطبيعي أن تحاول أجهزة إسرائيل وغيرها من أجهزة الاســتخبارات الغربية أن تفعل ذلك منفــردة أو متعاونة أو بالتعاون مع أجهزة استخبارات عربية كان يهمها القضاء على نفوذ الجبهة الشعبية، وشل قدرتها على القيام بعمليــات تضرب مصالح الأنظمة العربية، أو أجهزتها الاســتخباراتية، بما لها من صلات تنسيقية وتمويلية ببعض دول الغرب كالولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وغيرها من دول الغرب.

انشق أبو شــهاب ومعه مجموعة من الكوادر، وشكلوا الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين.

وسرعان ما انتهت هذه التجربة، ورحل أبو شهاب للعراق، وتبين انه كان يعمل لحساب المخابرات العراقية.

بقي وليد قدوره واتخذ الأمين العام للجبهة الشــعبية لتحرير فلسطين قرارا لفتح حوار معه.

وتحول هاشــم علي محســن الى منظّر، وأمين عام الحزب العمل الاشتراكي اللبناني، عاش عالة على الجبهة الشــعبية مســتخدما رصيدها ورصيد جورج حبــش دون أن يفلح في تحقيق أي انجاز سوى البيانات المتطرفة.

تبـين لاحقا أن هذه الحـركات لم تكن نتيجة طبيعية للهزيمة في الأردن ومغادرة القوات السـاحة الأردنية إلى لبنان، بل جاءت لمنع منظمة التحرير الفلسـطينية من إعادة بناء قواعد قوية لها تمكنها من الاستمرار في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

هذا الأمر، ظهرت حقائقه بشكل جلي خلال السنوات الثلاث التي سبقت إشعال إسرائيل للحرب الداخلية في لبنان لجرّ م. ت. ف. لمعركة جانبية وتحولها إلى لاعب محلي، وليس مقاومة ضد الاحتلال.

في هذه الأثناء كان شغل وديع حداد الشاغل هو الاستمرار في العمل الثوري المقاوم.

ففي الوقت الذي عقدت فيه الجبهة الشعبية مؤتمرها في العام ١٩٧٢ في مخيم البداوي، عقد وديع حداد أول مؤتمر لممثلي التحالف الدولي الذي بدأ يأخذ شكلا وهيكلا منظما:

كان تحالفـا لاسـتخدام العنـف الثوري ضد مصالـح الامبرياليـين والصهاينة من خلال الانخراط في العمل الثوري التحرري الوطني لشعوب العالم الثالث.

حضر ذلك المؤتمـر: فرع العمليات الخارجية أو العمليات الخاصة في الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين وممثلو قيادة: الجيش الأحمر الياباني، والخلايا الثورية الألمانية، فدائيون خلـق الخلايا الثورية الدانمركية، الجيش الأحمر الايطالي، الخلايا الثورية اليونانية، جيش تحرير غواتيمالا، وفصائل صغيرة، سـويسرية وهولنديه واسـبانية وايرلنديه وعدد من العسكريين التاركين الخدمة احتجاجا على حرب فيتنام.

اتخذ مؤتمر الجبهة الشـعبية لتحرير فلسـطين عام ١٩٧٢ قرارا بوقف عمليات خطف الطائـرات، وتحـت ضغط الثوريين الغائبين عن المؤتمر إذ لم يحضروه، لان قسـما منهم انشـق باسم الجبهة الثورية وقسـما آخر امتنع، بقيادة وليد قدوره احتجاجا على عدم عزل "اليمن" عن القيادة كليا.

تحـت ضغطهم اقترح الدكتور جورج حبش أن يتخذ المؤتمر قرارا بألا ينفذ «المجال» أي عملية دون موافقة الأمين العام للجبهة الشعبية جورج حبش عليها.

هكـذا نجح مؤتمر ١٩٧٢ كل لدوافعه في وضع مقيدات وممنوعات تحدّ من حرية فرع العمليـات الخارجيـة بقيادة وديع حـداد في القيام بعمليات واسـعة وكبيرة دون اخذ

الموافقة المسبقة.

لم يكن د. وديع حداد حاضرا ذلك المؤتمر لانشغاله بالعمل. وانتخب المؤتمر لجنة مركزية أوكل لها صلاحيات انتخاب مكتب سياسي، ورسم برنامج العمل وتوزيع المسؤوليات وانتخب د. جورج حبش أمينا عاما.

كانت أول مهمة للحكيم هي التعامل مع حالتي الانشقاق.

انتهى أمر الجبهة الثورية بسرعة، وكان احد ضحاياها الفنان الكبير إبراهيم زاير الذي انتحر ندما على انضمامه لهذه المجموعة.

وهرب أبو شهاب وهرب سمير الصاحب ولم يبق من المجموعة احد.

أما مجموعة وليد قدوره فقد جدول « الحكيم « جلسات الحوار مع وليد قدوره الذي لم يكن يرافقه احد في تلك الجلسات فقد كان الحوار عمليا بين وليد قدوره وجورج حبش رغم حضور بعضنا بعض تلك الجلسات وكنت احدهم.

كان وليد قدوره ممثلا من الدرجة الأولى: يدعي التواضع والهدوء. يملأ الحزن عينيه عندما يتحدث عن النضال والثورة والفقراء، لكن لسبب ما كنت اقرأ في عينيه أعمق مما تسمح به مسحة الحزن فيهما. وكنت اسخر من تقاسيم وجهة الجدية لأنني كنت أراها عندما يتحدث الآخرون له خاصة جورج حبش.

كنت استهزىء بذلك الدفتر الذي كان يحمله دائما لأنني كنت أرى فيه شخصا لا يستطيع الكتابة. وقررت اثناء تلك الحوارات، أن اخرج معه سائرا لا تحدث معه، فقلت له: وليد، لماذا لا تكتب ؟

لماذا لا تكتب لمجلة الهدف مقالا وتترك المجال للجميع مناقشة ما كتبت؟ وكأنه صعق. نظر الي قائلا:

ـ اكتب ؟؟

ـ اجل، تكتب فالكتابة أهم وسيلة لشرح وجهة نظر، وتوثقها وتترك للآخرين المجال الى النظر فيها، وربما الرد عليها.

لم يجب.

فقلت: ما رأيك ؟

فقال: سأحاول.

عرفت انه لن يكتب. إما خوفا، أو عجزا، أو لعدم تسجيل شيء مكتوب محسوب عليه.

في ذلك الوقت كانت الجبهة الشعبية تعاني من أزمة مالية خانقة.

ورغـم الجهود التي بذلناها لجمع التبرعات من الشـعب ومن أصدقاء حركة القوميين العرب، وأصدقاء الجبهة الشعبية (من الأثرياء) ومن أصدقاء جورج حبش ووديع حداد الشـخصيين، والأصدقاء الشـخصيين لكل واحد منا لم تتخط التبرعات مبلغ ثلاثة ملايين دولار.

ولم يكـن مبلغ الملايين الثلاثة يكفي لتغطية المصاريف لمدة عام واحد. فقمت بجولات في أميركا الشـمالية وكندا وأوروبا ثم دول الخليج لجمع الأموال الشـعبية فلم تزد الحصيلة عن مليون دولار.

لم تعد مصاريف الجبهة صغيرة، بل كبرت بنموها ونمط عملياتها.

وراحـت الجهات المعادية لوديع حداد داخل الجبهة الشـعبية تهاجمه وتتهمه بالتهام الأموال في عمليات لا طائل من ورائها.

وراحت هذه الجهات تتسـتر وراء رأي الاتحاد السـوفيتي الذي طلب من جورج حبش وقف عمليات خطف الطائرات لأنه إرهاب يضيع عدالة قضية الشعب الفلسطيني.

فاقترح جورج حبش أن يتولى الدكتور وديع حداد مسـؤولية المالية المركزية في الجبهة. فوافـق القائد وديع حداد معتبرا أن هذا التحـدي. وفي الوقت ذاته أن عمليات المجال (العمليات الخاصة) والتحالفات مهما كانت مصاريفه فانه مصدر دخل كبير للجبهة.

عملية لوفتهانزا

باشر المعلم وديع حداد فورا مهمته الجديدة مسـتخدما خبرات فرع العمليات الخاصة

لتمويل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كان قد درب فرقا من تنظيم الخبرات، والنخبة على الشروع في اية خطة يضعها لتنفيذها بدقة.

فتـم اختطاف طائـرة لوفتهانزا في الثـاني والعشرين من شـهر شـباط عام ١٩٧٢. كانت طائرة اللوفتهانزا متوجهة من نيودلهي إلى أثينا، حـين قامت مجموعة من نخبة مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المدربين تدريبا خاصا وتابعين لفـرع العمليات الخاصة (المجال) بالسيطرة على الطائـرة أثناء توجهها إلى أثينا وبعد إقلاعها بوقت قصير.



طائرة اللوفتهانزا التي اختطفت إلى عدن عام ١٩٧٢.

راحـت وكالات الأنباء تتحدث عـن المجموعة المقاتلة على أنها مجموعة تنتمي لتنظيم اسلامي. كانت هذه وسيلة من وسائل التضليل في بداية العملية قام بها جهاز أعلام فرع العمليات الخاصة.

واصدر المقاتلون الخمسـة الذين سـيطروا على طائرة اللوفتهانزا بيانا بث من الطائرة يـروي قضية الشـعب الفلسـطيني، وعن فظائع الاحتـلال الإسرائيـلي، وطالبوا العالم بالوقوف إلى جانب الحق والعدالة.

وحمل بيانهم توقيع ضحايا الاحتلال الإسرائيلي.

بعدهـا اصدر الكابتن محمود قائـد المجموعة، أمرا لقبطان الطائـرة بالتوجه إلى عدن عاصمة اليمن الجنوبي. فحول مسـار الطائرة واتصل بالأبراج على الطريق وأملى عليهم البيان ليذاع من محطات الإذاعة والتلفزيون في بلدانهم.

عندما حطت الطائرة في مطار عدن سأل المسئولون اليمنيون عن الأمر وهوية المجموعة ومطالبها، ولم ينالوا جوابا سوى الصمت.

فقد كانت تلك العملية فريدة من نوعها.

لا حــوار، لا كلام، لا تفاوض، الشروط معروفه، وعلى الألمان التنفيذ ان هم أرادوا أطلاق الركاب الرهائن ويستعيدوا الطائرة.

هذا ما كان يقرأه رئيس مجلس إدارة اللوفتهانزا وكافة مدرائها في اللحظة التي سيطرت فيها مجموعة المقاتلين على الطائرة بعد اقلاعها من مطار نيودلهي.

ففي مســاء ٢١ شباط من العام ١٩٧٢، كان شــاب ألماني يسير هو وصديقته قرب المقر المركزي لشركة لوفتهانزا في فرانكفورت.

وكانا يغنيان ســعيدان قرب المدخل، رمى الشاب برسالة في صندوق بريد الشركة، وتابعا سيرهما، واختفيا في ذلك الشارع "السعيد".

وصباح ٢٢ شباط وصلت الرسالة إلى مكتب المدير العام. كانت مديرة مكتبه قد فتحتها، وعندما قرأت فحواها هرعت لمكتب المدير وأعطته الرسالة.

رسالة مطبوعة بأناقة وبلغة ألمانية سليمة جدا ومهذبه جدا، ومرفق بها نصها بالانكليزية. ومغلف صغير يحتوي مفتاحا.

الرســالة كانت تعلم المدير أن طائرته قد تم الســيطرة عليها قبل دقائق وأنها بســلام، وأمان هي والركاب، وأنهم ســوف يبلغونه أين ســتهبط، لكن خلال ذلك كان عليه أن يجمع مبلغ خمسة ملايين دولار وان يضعها بحقيبة وان يرسل الحقيبة مع احد موظفيه بطائرة خاصة إلى بيروت.

وشرحت له الرســالة، أنــه على الرجل أن يحمل الحقيبة بنفســه، وان يتوجه إلى مرآب الســيارات الواقــع أمام مطار بيروت. وانه ســيجد في الصف الخامس ســيارات منها في الموقف رقم "٣" ســيارة فولكس فاجن حمــراء اللون الصق على زجاجها الأمامي صورة لجمال عبد الناصر.

وان على الموفد أن يستخدم المفتاح المرفق بالرسالة ليفتح باب السيارة ويجلس فيها ثم يفتح صندوقها ليجد مغلف يحتوي على التعليمات التي عليه أن ينفذها بعد تلك المرحلة.

وأرفق بالرسالة كشفا بالعملات المختلفة المطلوبة وكمياتها وشرط ألا تكون ذات أرقام متسلسلة.

واسقط في يد مدير اللوفتهانزا.

لا كلام، لا تفاوض، لا حوار، بل تنفيذ.

طلبت الرسالة من مدير اللوفتهانزا أن يجري اتصالاته مع مجموعة من السياسيين (أصحاب القرار) للإفراج عن أربعة أشخاص معتقلين في ألمانيا. ووعدت الرسالة بإبقاء هذا الأمر سرا، وأنها ستنفي أي خبر له صلة بهذا. وذلك ليكون أصدقاءه مطمئنين.

في مطار بيروت استمرت مجموعة مراقبة، مكونه من شخصين مراقبة الطائرات الهابطة. إذ لم يكن متوقعا الإعلان عن وصول الطائرة الخاصة بالمذياع أو على لوحة الإقلاع والهبوط.

وتأخرت الطائرة. وقلقت المجموعة المراقبة التي اتصلت بالمركز ليأتيها الجواب أمرا حازما: استمر بالمراقبة سوف تصل الطائرة في أي لحظة.

بالفعل وصلت بعد خمس وثلاثين دقيقة. هبط منها رجل يجر حقيبة على عجلات، وبعد عشرين دقيقة خرج نحو باحة المطار الخارجية، وتوجه نحو مرآب السيارات، نحو الفولكس فاجن الحمراء.

وشاهدته مجموعة المراقبة الخارجية يقرأ التعليمات، يدير المحرك ويسير نحو كورنيش البحر.

عند خلده تبدلت سيارة المراقبة وتبعته سيارة مرسيدس على الطريق الساحلي نحو صيدا.

ومع مشارف صيدا تمهل الرجل وراح يراقب بدقه الجانب الأيمن من الطريق ـ شاطئ

البحر ـ إلى أن وجد ضالته، هو فندق قديم مهجور أمامه ساحة مظلمة. وأعطى أشارة التوجه لليمين، وهبط في الشارع الفرعي الذي يؤدي لمدخل الفندق الساحلي وتوقف.

ما أن توقف حتى أحاطت به ثلاث سيارات تحمل مجموعات من المقاتلين المسلحين.

تقدم نحوه شــاب رياضي الجســم لا يحمل ســلاحا، أنيق الملابس ويتحدث الانكليزية والفرنسية بطلاقه.

بعد أن هنأه بســلامة الوصول ســأله عن الهدية فأجاب بصوت هدجه الخوف وجعله القلق يرتجف ويتقطع: نعم انها في الحقيبة.

أشار الشاب بيده إشارة أمر، فأسرع نحوه شابان فتحا الحقيبة وسلطا عليها الضوء.

كان هنالك رسالة فوق أكوام الدولارات والماركات المرتبة، أسرع الشاب بالتقاط الرسالة.

أشار بيده فأغلقت الحقيبة، فورا وعاد الشابان إلى مكانهما، قرأ الرسالة.

كانت رســالة اعتذار عــن نقص في المبلغ يبلغ (٥٠٠ دولار) لتعــذر إيجاد أكثر من هذا المبلــغ متداول دون تسلســل. ووعد بمتابعة الأمر الثــاني دون ضجة وتنبيه إلى أن الأمر كان يأخذ وقتا.

وأمل بالإفراج السالم الفوري عن الطائرة والرهائن.

ابتســم الشــاب وطوى الرســالة ودعا الموفد الألماني بأدب وتهذيب للنزول من سيارته الفولكس الحمراء والتوجه لسيارة الشاب، وكانت مرسيدس جديدة.

جلسا في المقعد الخلفي، وأمر الشاب السائق بالسير.

وانطلقت الســيارة عائدة إلى بيروت بعد أن ســلم الشــاب الســيارة ومحتوياتها لموفد "المعلم" الخاص. فقد كان الدكتور وديع ينتظر على بعد مئات من الأمتار برفقته بعض شخصيات صيدا الوطنية والملتزمة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مثل التزامها سابقا بحركة القوميين العرب ـ بعض هؤلاء ما زالوا أحياء يرزقون ـ

دار حديث بينهما حول الوضع، وفوجئ الموفد الألماني عندما باغته الشــاب بطرح سؤال

عليه: ما هي التغييرات التي لمستها منذ نهاية عملك في بيروت؟

ابتسم الألماني وقال: أنت تعرف. فأجابه الشاب: طبعا. لا أرى كثير تغيير، لكن هذه المرة اشعر بخوف شديد.

أرجوك لا تؤذيني، لا تقتلني فانا الان أب ولي أولاد.

ابتسم الشاب مطمئنا، وقال: هل ترغب بتناول مشروب قبل التوجه للمطار؟

قال الألماني: أحب ذلك، لكن لا أريد أن نتأخر على الطائرة.

هبطا إلى مقهى على طريق المطار، وفيما يتناولان مشروبهما اخرج الشـاب ورقه وقلما وكتب على الورقة:

«الشهيد أبو طلعت» وأعطاها للموفد الألماني.

فسأله عن مضمونها:

أجاب الشاب: أنت تقرأ العربية. اقرأها أمامي، فقرأها، صحح له الشاب اللفظ.

وقال: احتفظ بهذه الورقة للذكرى قد تبيعها يوما لقاء مبلغ كبير من المال.

طلب الشاب من السائق توصيل الألماني للمطار والعودة دون أن يفتح فمه.

بعد نصف ساعة وصلت الرسالة للطائرة، كانت الأمر بالإفراج عن الرهائن والطائرة.

الشهيد أبو طلعت.

وتسلم وديع حداد الملايين الخمسة لتمويل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوقت الـذي كان فيـه أعداؤه داخل الجبهـة يتهمونه بالإسراف على المجـال: فرع العمليات الخاصة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

الطائرة كانت من نوع بوينغ ٧٤٧ كانت جديدة وأول طيران لها تم في شـهر نيسان من العام ١٩٧١، وعمرها ١٠ أشهر، ومجموع ركابها ١٨٧ راكبا.



(الفصل الحادي عشر)

من كان وراء العمليات المشوهة والاحتيالية

ذكرنا أن فريقا داخل الجبهة الشعبية كان يعمل بجدية ضد وديع حداد، ويسعى لزحزحته عن مسؤولية العمل العسكري والمالية.

هذه الجهات، كان يقودها يونس البجيري (أبو احمد) الذي كان يحاول جهده تحريض جورج حبش ضد وديع حداد.

بالنسبة لمسؤولية المالية المركزية لم يكن لدى وديع حداد مانع بان تعطى المسؤولية لشخص آخر. فسلمت المسؤولية لصديق أبو احمد يونس "حسين القلا" الذي كان يعمل معه في قطر، ورحل معه من قطر بتهمة الانتماء للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ارتكب أبو احمد يونس العمليات الاحتيالية، أثناء وجود حسين القلا كمسؤول للمالية المركزية، وذلك لتبرير العمليات.

فقد كان الهدف المطروح هو جلب الأموال لتمويل الجبهة الشعبية لان الدكتور وديع حداد كان يصرف جزءا كبيرا من مال الجبهة على العمليات الخارجية المكلفة جدا.

طبيعي أن هذا لم يكن صحيحا، فقد كانت لوديع حداد مصادر مال خاصة، يزود بها التنظيم الخارجي للعمليات الخارجية أو عمل "المجال".

فقد كان لدى القائد وديع حداد مجموعة من الأقارب والأصدقاء الوطنيين المتحمسين لعمله، والراغبين في دعم العمليات التي تؤذي إسرائيل، ومن هؤلاء المليونير صلاح الشما، والمليونير حسيب الصباغ، والمليونير سعيد خوري، ورفيق الحريري، ودول كالعراق وليبيا، وبعض السعوديين الذين لا يريدون ذكر أسمائهم، كذلك بعض الكويتيين ومنهم أفراد من الأسرة الحاكمة.

قام أبو احمد يونس بعدة عمليات لتشويه سمعة الدكتور وديع حداد. عمليات محليه جدا وذات أهداف نفعية، ولا تمت للعمل الكفاحي والسياسي بصلة.

فـان تخطف طائرة لوفتهانزا، وتفرج عنها لقاء خمسـة ملايين دولار شيء، وان تخطف عبد الكريم الكباريتي شيء أخر.

فاللوفتهانـزا تابعة لألمانيا، التي تزود إسرائيـل بالغواصات النووية والقادرة على اطلاق رؤوس نووية، وجزء من النادي الامبريالي المعادي للشـعوب التواقة للتحرر والاستقلال والتخلص من الاحتلال الاستيطاني أو الاحتلال العسكري.

قـام أبو احمـد يونس باختطاف عبـد الكريم الكباريتي الذي كان يـدرس في الجامعة الأميركية، ولم يتم الإعلان عن ذلك مما ترك هذا الأمر للتخمين.

لم أكن أنا اعرف بذلك، رغم أن النظام الداخلي يحتم على مسـؤول الأمن ابلاغ المكتب السياسي بالعمليات التي قد تفرز ردودا تمس الجبهة.

لذلك لم أكن اعلم رغم أنني عضو في المكتب السـياسي واحد مؤسـسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

في يـوم من تلك الأيام، اتصل بي هاتفيا من عمان والدي توفيق أبو شريف، وابلغني أن ابن صديقه قد خطف في بيروت، وطلب مني ان أجده، وأعيده سالما لأهله.

وقال لي أن هذا الأمر هام، لان ما تربط العائلتين أبو شريف والكباريتي صداقة حميمة وأخوة، وان العائلتين يعولون علي لإنقاذ عبد الكريم.

بالفعل استنفرت كل علاقاتي لأبحث عنه، فتأكدت انه ليس لدى فتح وليس لدى القوات اللبنانية، وليس لدى الديمقراطية.

اتصل بي مرة أخرى والدي ووالد عبد الكريم وابلغاني أن المعلومات التي وصلتهما تفيد انه أي عبد الكريم، معتقل لدى الجبهة الشعبية.

فقلت لهم مستحيل فانا في مركز يتيح لي معرفة الحقائق. ولا علم لي بأنه معتقل لدينا، ولا يوجد أي سبب كي نعتقله.

أنهى المكالمة والد عبد الكريم قائلا:

بسام عبد الكريم أخوك، وأنت مسؤول عنه، واترك الأمر لك.

جنّ جنوني.

رحت اسأل في أوساط الأمن، إلى أن ابلغني احد المقاتلين الذي عمل سابقا تحت امرتي: أن عبد الكريم موجود عندنا، وان ما يشاع من أن د. وديع حداد هو الذي رتب العملية، غير صحيح.

فسألته: من؟

خاف أن يجيب لكنه أوصى لي بمكان وجوده.

توجهت فورا للمكان برفقة حراساتي، وكاد الحرس أن يشتبكوا مع حراساتي. فأمرتهم بالتراجع مهددا حرس "السجن الأمني الخاص" باعتقالهم.

توجهت إلى جورج حبش، وأبلغته القصة، وقلت له أنني لن أغادر المكان قبل الإفراج عن عبد الكريم. قلت له: عبد الكريم أخي أضافه انه مواطن عربي.

ونبهت إلى أن هذه الممارسات تشوه سمعتنا، وتحولنا إلى عصابة في ذهن الناس.

فأفرج عن عبد الكريم، كنت سعيدا جدا. واتصلت بوالدي طالبا منه نقل تحياتي لوالد عبد الكريم، وأبلغته انه بخير، وانه سيصل عمان خلال ساعات.

استخدمت كل الجهات المعادية هذه العملية ضدنا وشوهت سمعتنا. كذلك حصل مع عصام السلفيتي. وهو صديق حميم لي وتربط عائلته صداقات حميمة مع كافة العائلات المسيحية في الأردن وبعائلتي أنا. كان والده جارا لوالدي في جبل اللويبده في عمان.

وأقمت الدنيا، ولم أقعدها حتى أفرج عنه.

فقد اعتبرت هذه العمليات التي نفذها أبو احمد يونس وعصابته موجهة ضدي شخصيا، وضد وديع حداد لإضعافه أمام أصدقائه وإظهاره أمام العالم كرجل عصابة.

أمـا رفاعي الهزايمة، الضابط الأردني فقد قبـض المال الذي دفعته أبو ظبي فديه له عن أبو احمد يونس بشـيك مسحوب على البنك العربي. وتمكن الدكتور وديع من الحصول على نسخه منه.

وطرح موضوع أبو احمد يونس وشكه بعمالته لجهة ما، على الدكتور جورج حبش الذي بدأ يأخذ حذره من أبو احمد.

كرر أبو احمد عمليته، فاختطف اللبناني مصطفى الزين الذي كان يساعد د. وديع حداد في بعض الاستثمارات في سوق الأسهم.

وأجبرتهم على الإفراج عنه أيضا. وتمكن مصطفى بعد الإفراج عنه من جلب فديه للإفراج عن ضابط انجليزي كان معتقلا لدى الأمن، كان الضابط معارا للإمارات للتدريب، وكان يقضي إجازته في بيروت.

كان المبلغ تافها، نصف مليون ليرة لبنانيه.

لقاء الإفراج عنه. مما يدل على أن الأمر كان لتشـويه سـمعة المجال الخارجي والدكتور وديـع. فمثل هذا الضابط كان من الممكن أن تدفع الجهات المهتمة به خمسـة ملايين دولار للإفراج عنه.

كشـف الدكتور وديع حـداد أن ليونس البجيرمي علاقات مع أجهـزة مخابرات عديدة تحت غطاء الأمن.

لكن لفت انتباهه الأمور التالية:

١. لم يـأت أبو احمد بشيء من لجنة التحقيق في استشـهاد غسـان كنفـاني، رغم أننا زودناه بصور التقطت أثناء نسف السيارة وتفجيرها.

٢. لم يـأت بنتيجة في التحقيـق في محاولة اغتيالي رغم معرفة المصدر وان ختم جميل كبي، وزير الاتصالات كان موجودا على الكتاب وأغلفه الملفات.

٣. كذلـك الأمر بشـأن الصاروخ الذي أطلـق على منزل وديع حـداد في الملا، منطقة الصنايع.

٤. اكتشـــاف أجهزة لاقطة في شقة من شقق العمل التي كان يستخدمها الدكتور وديع حـــداد. وكان اللاقط مزروعا وراء لوحة مـــن اللوحات في قاعة الطعام حيث يعمل وديع حداد.

فقد كان يستخدم طاولة الطعام كطاولة مكتب.

كان لابي احمد يونس علاقة بســـفارات أوروبيه منهـــا الألمانية، ونغني عن القول أن أي معلومات تصل لمســـؤولي مخابرات هذه الدول ســـتصل فورا للموساد، بسبب العلاقات والاتفاقات التي تربطهم.

كما ذكرنا، كان الدكتور وديع حداد قد قرر تجنب العمل في الولايات المتحدة أو عبرها، وعدم التعرض بعمليات لها. والســـبب هو عدم رغبه وديع حداد في توســـيع معســـكر المتنافرين ضد المجال الخارجي.

لكـــن ما حصل في العام ١٩٧٦ أكد دون شـــك للدكتور وديع حـــداد أن أبو احمد يونس الذي كان يتعامل مع جهات أمنية أوروبية كان يتصرف حســـبما يريدون، ولا شـــك أن جزءا كبيرا مما أرادوه كان موصى به من الموساد. الذين كانوا يتصرفون مع الدول الغربية على أنهم الخبراء بشؤون الشرق الأوسط والفلسطينيين ووديع حداد تحديدا.

دون أن يدري، كان أبو احمد يونس ينفذ ما يريدونه.

ففي العام ١٩٧٤ انكب القائد وديع حداد على التخطيط لعملية ضخمه هدفها احتلال ميناء حيفا واخذ رهائن على الأرض والإفراج عن أسرى الحرب الفلسطينيين.

فقد رتب مجموعة كبيرة مكونه من ســـتة وعشرين مقاتلا شـــجاعا للقيام بهذه العملية الضخمة التي كانت تتلخص في صعود متدرج للمقاتلين إلى باخرة سياحية ضخمة تجوب موانئ المتوسط، وان يسيطروا عليها في قبرص ويوجهونها إلى ميناء حيفا دون إعلان وان يهبطوا في ميناء حيفا ويسيطروا عليه.

أثناء التدريب جاء شاب، وطلب الالتحاق بالعمل، كان شابا متعلما، أستاذ لغة انكليزية في مدرسة ثانوية، وشكله مقبول وجسمه رياضي.

بعد الاستفسار عنه قبل أن يلتحق بالتدريب في المجال الخارجي.

أنهى محمود، وكان هذا اسمه التدريب في الوقت الذي كانت الخطط لاختطاف السفينة قد وضعت، واعدّ المقاتلون.

قرر الدكتور وديع حداد في آخر لحظة أن يضمه للفريق.

ففعل.

عنـد وصـول الباخرة إلى قـبرص، أصر محمود على مغادرتها لأنه لا يريد أن يشـارك في العملية؟

مع إصرار محمود اضطر وديع لإلغاء العملية. فمحمود يملك أسرارها. ونزوله قد يعني إيصـال المعلومات لجهات توصلها لإسرائيل. وهذا سـيقضي على المقاتلين قبل وصولهم إلى حيفا.

كانت تصفية محمود مستحيلة، لأنها كانت على كل حال ستثير الأمر، والتحقيق وستتأخر الرحلة، وتفشل العملية.

أراد الدكتور وديع حداد أن يحقق مع محمود، لكنه لم يحضر. وبدلا من ذلك راح يظهر كنائب مسؤول الأمن لـ أبو احمد يونس؟

هكذا فهم الدكتور وديع حداد أن وراء الأمر كان يونس البجيرمي (أبو احمد يونس).

لكـن في العام ١٩٧٦، كما يبدو، أراد الموسـاد أن يدفع بالأمـور خطوات لفتح النار بين الولايات المتحدة والمجال الخارجي (العمليات الخاصة) فوقعت مأساة السفير فرانسيس مالوي.

كان السفير فرانسيس مالوس يتنقل كثيرا بين بيروت الغربية والشرقية، في سيارة مصفحة تصفيحا جيدا، وكان يشعر باطمئنان في بيروت الغربية، وبيروت الشرقية.

١٦ يونيـو من العام ١٩٧٦. في ذلك اليوم كان السـفير مالوي والملحق التجاري الأميركي يتحركان بسيارة السفير المصفحة للمنطقة الشرقية من بيروت الغربية.

وكانــت نوافذ الســيارة مغلقه بإحكام والســائق (لبناني) لديه تعليــمات صارمة بعدم التوقف أو فتح الشباك.

بعد أن عبرت السيارة للمنطقة الشرقية، كانت تحت سيطرة القوات اللبنانية (الكتائب) وهي قوات كانت تتحالف مع إسرائيل أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

تنفــس الجميع الصعداء، رغم أن بيروت الغربية لن تظهر عداء للســفير الأميركي. وبعد مئات الأمتار رأى السائق أشخاصا يلبسون لباس القوات اللبنانية ويشهرون السلاح.

أوقفوا السيارة، وهم يبتسمون، كأنهم يرحبون بالسفير.

وبحركة لا شــعورية فتح السائق زجاج نافذته. فعولج بطلقة وفتحت الأبواب، واعتقل السفير، والملحق التجاري، واقتيدا إلى مرأب مهجور للسيارات.

وصلــت الأخبار بسرعة البرق. أبو احمد يونس كان وراء ذلك وراحت الأفكار تنهال من كل صوب حول ما العمل.

ماذا نريد من سفير الولايات المتحدة.

أصر وديع حداد الحفاظ على حياته وحياة الملحق التجاري. وبرر ذلك بالقول المنطقي. أن هذه ثروة سياســية فبإمكاننا اســتخدامها لإفهام الأميريكان أننا لسنا إرهابيين، وأننا مقاتلون من اجل الحرية. لكن المهم الحفاظ على أمنهما وحياتهما.

لكن الأمر في الميدان كان بيد أبو احمد يونس، والشباب الذين نفذوا كانوا يفعلون ذلك بناء على تعليماته هو فقط.

هنا حصل الشيء الغريب، والمثير للشك فعلا.

كان منطقيا الاحتفاظ بهما.

كان لمصلحة الجبهة الشــعبية وفلســطين ألا يقتلا أو يجرحــا. وكان من الممكن ترتيب سيناريو يكسب الفلسطينيين الكثير.

لكن خلافا للمنطق وللمصلحة الوطنية العليا أمر أبو احمد يونس بإعدامهما، فنفذوا العملية.

حتما لقد جاء أمرا مستعجلا من الجهات التي ارتبط معها بعلاقات، لتنفيذ ذلك ففعل، رغم رأي الجبهة والمنطق والمصلحة الوطنية، كانت عكس ذلك.

قناعتي، أن الموســاد كانت وراء ذلك، لتشويه السمعة، ولابتزاز الولايات المتحدة، وزجها أكثر ضد الفلسطينيين، ولحصار وديع حداد.

نقلت الجثامين إلى سوريا وتسلمها صامويل وإيمان

(SAMUEL WHYMAN) مسؤول وكالة المخابرات المركزية الأميركية في سوريا (CIA).

أسوق هذه الحقائق لان لها روابط باغتيال وديع حداد. فبعدما عجزت إسرائيل عن قتل وديع حداد، أو شــله عن العمل، راحت تحرض الدول ضده، وأرادت أن تزج بأميركا في المعركة وبكل ما لدى أميركا من علاقات مع دول عربية ذات نفوذ ومال:

أرادت إسرائيل أن تجد شركاء من المنطقة ليعملوا معها على تصفية وديع حداد.

ولا شــك أن هــذه الــدول أو بعض الأنظمــة كان ضالعا في ملاحقة وديــع حداد الذي كان يســافر في معظم الحالات دون ضجة وبرفقة أحــدى رفيقاته، وكن معروفات جدا للمخابرات العربية أو بعضها.

إحدى رفيقاته، كانت فتاة قريبة له من عائلته، واخرى كانت من جنوب لبنان ومناضله قضت في سجون الغرب سنوات، وعراقية فلسطينية وكن يتبدلن.

وا شــك لدي أن من دسّ الســم له مباشرة هي يد عربية، لكن الجهة التي زودت السمّ ورسمت الخطط مع المخابرات الأميركية التي عملت له مع مخابرات عربية هي الموساد.

والســم لم يدس لوديع حداد في شوكولاتة ســويسرية كما يدعي كلاين، وأتعجب كيف توظف مجلة التايم مراسل لها في القدس. ينتمي للموساد، فقد طردت التايم مراسلها في بيروت في العام ١٩٧٦ لأنه مرتبط بالـ (CIA) وكالة المخابرات المركزية الأميركية.

كتب كلاين في مؤلفه أن إسرائيل تمكنت من قتل وديع حداد بدس السم له في الشوكولاته السويسرية، التي كان يحبها وديع حداد.

القائد وديع حداد لم يكن يحب الشوكولاتة، وهو كطبيب يبتعد عن الحلويات.

السم وهو ثاليوم، وضع له في فنجان قهوة قدم له في حديقة بيت الأستاذ أكرم الحوراني ببغداد بحضور عدد من قيادات حزب البعث.

حسبما ابلغني هو الدكتور وديع، عندما جاء النادل يحمل صينيه القهوة لم يضعها على الطاولة بل راح يناول كل ضيف فنجانه. كان وديع يشرب القهوة دون سكر، ليبتعد عن الحلويات، فتناول فنجانه.

ووصف لي الدكتور وديع ما جرى بعد ذلك بالحرف:

بعد أن رشفت من فنجان القهوة رشفه واحدة، أحسست برغبة فوريه في التقيوء.

فوضعت الفنجان على الطاولة أمامي وتوجهت مهرولا نحو المنزل لأتقيأ في الحمام.

ألا أنني لم أتمكن من الوصول قبلها فقد تقيأت في الحديقة.

وأحسست بألم في الحلق وفي اللسان.

منذ ذلك اليوم، وأنا أتقلب من تعب شـديد إلى هدوء من هبوط إلى اسـترخاء وفقدت شهيتي للأكل كليا.

هكـذا بدأت الحالـة مع وديع حداد، الثاليوم وضع في القهوة ورشـفة واحدة، أدخلت الثاليوم إلى جسده.

والثاليوم سم لا لون له، ولا رائحة، ولا طعم، ويمكن تمريره لجسم الإنسان بوضع بعض منه في الماء أو اي سائل أو على الطعام. وإذا لم يعالج بما يلزم بتلك الأيام الأربعة الأولى لن يتمكن احد من إيقاف مفعوله. إذ يسـتمر في قضم أجزاء الجسـم الداخلية، ويدمر الكريات الحمراء، ويقضي على الكلى والكبد والرئتين والدماغ.

الموت محتم، بعد مضى خمسـة أيام دون اعطاء المصاب الترياق اللازم كما أعطي خالد مشعل بعد أن اجبر الملك حسين بنيامين نتنياهو الذي خطط لقتل خالد مشعل بحقنه بالثاليوم، على تزويده بمركب السم والترياق المضاد في الساعات الأربع والعشرين الأولى،

مقابل الإفراج عن ثلاثة ضباط موســاد حاولوا تنفيذ العملية في شــارع الجاردنز بعمان على مدخل مكتب خالد مشعل.

(الفصل الثاني عشر)

عملية مطار اللد

بحـث المعلم وديع حـداد مع ممثلي التحالف الدولي الذين حـضروا مؤتمر عام ١٩٧٢ العمل المشـترك الذي يجسـد الأفكار التي تمّ الاتفاق حولها، قائمة على أسـاس الرؤية الإسـتراتيجية لمعادلة جديدة في الصراع مع الامبريالية، أي مشـاركة الفصائل الثورية في الدول الرأسمالية في نضال حركات الشعوب للتحرر وتوجيه الضربات لأنظمتها، وحلفاء أنظمتها من خلال الانخراط في حركة الشعوب المكافحة من اجل الحرية والاستقلال.

كانت قيادة الجيش الأحمر الياباني ممثلة بأميرة الثوريين مريم (فوسـاكو شـيجانوبو) ممتلئة حماسا واندفاعا.

فقـد كان انخراط مقاتلين مـن الجيش الأحمر في النضال، من خلال حركات التحرر ضد النظام الامبريالي، مدخل الجيش الأحمر نحو أممية النضال.

بحـث الدكتور وديـع حداد فكرة العملية فتحمسـت "مريم" وأبلغتـه موافقتها على الاشتراك، وطلبت أن تكون المجموعة الصدامية الانتحارية يابانية بكل أفرادها. وشرحت للدكتور وديع حداد سبب طلبها وإصرارها.

كانـت تريـد أن تحقق من خلال المشـاركة الفاعليـة في الهجوم على مطـار اللد ثلاثة أهداف:

الهـدف الأول: هو الإعلان الأول عن انخراط الجيـش الأحمر الياباني في الصراع العالمي بين القوى الثورية في البلدان الرأسمالية ضمن إطار حركات التحرر الوطني ضد الأنظمة الرأسمالية والنظام الامبريالي.

الهدف الثاني: أبلاغ الشعب الفلسطيني بأن قوى الثورة العالمية تسانده قولا وفعلا.

الهدف الثالث: مخاطبة الشـعب الياباني من خلال المشـاركة الفعليـة بالعمل الثوري

النضالي التحرري ودعوته للالتحاق بالنضال.

وافــق الدكتور وديع حداد بعــد نقاش قصير، ذلك انه أراد أن يعتمد هذا الخط الثوري بالدم والتضحية. وانكب على العمل مباشرة.

خطوط الطيران

تمّ اســتطلاع عــدة خطوط لاختيار الأفضل من حيث القدرة عــلى تمرير الحقائب التي تحتوي على الأسلحة والذخائر والقنابل.

وتاريــخ الوصول، وســاعته بحيث تدرس حالة المطار آنذاك، مــن حيث تغيير مناوبات الأمــن والشرطة والجمارك والمخابرات، وكلفت دائرة الطباعــة، بالبدء بصناعة جوازات سفر يابانية طبق الأصل.

كلفت دائرة التدريب بالتحضير لتدريب حي على الهدف المنشود (كمجسم).

بعد دراســة سريعة تقرر أن يســتخدم المقاتلون رشاش تشــيكي له طلقات خاصة. وتم اختياره لان حجمه يتناســب مع الحقائب وهو اصغر حجما من الكلاشــنكوف الروسي، ورصاصاته مصنوعة من معدن لماع، وليس نحاس لتجنب أي خلل، الروكبة أو العصلجة.

وكان يطلق عليه في القواميس العسكرية اسم: VZT-58-

وأصدرت مريم أوامرها لأعضاء الجيش الأحمر:

YASHUDA YASUYUKI

TAKESHI OKU DAIRA

ADANAN

KOZO OKAMOTO

اختارت فوســاكو ثلاثة من اليابانيين الأشــداء وســلمتهم للدكتور وديع الذي أمر فورا بإرسالهم إلى مكان تدريب سري في لبنان.

وأرسل معهم رجل احتياط هو: كوزو اوكاموتو،



كوزو اوكاموتو، أثناء المحاكمة

وهو الوحيد الذي بقي حيا ودمر الإسرائيليون دماغه أثناء تعذيبه في التحقيق.

كان الأول: باســم وهذا هو اســمه في الجبهة الشــعبية، فيما اســمه الحقيقي تاكيشي اوكادايرا. وكان الجميع يظنون أن باسم هو زوج مريم. فقد كان يلازمها دائما.

اوكادايرا كان شابا طويل القامة، وسيما، مرحا، محببا للقلب.

والجميع أحبوه وكنوا له الاحترام.

أما الثاني: فقد كان غسان واسمه الحقيقي هو (ياشودا ياسويوكي)

أما الثالث: فقد كان عدنان ـ وهذا اسمه العربي ـ ولن اذكر اسمه الياباني حرصا عليه. إذ لم يتمكن من المشاركة في آخر لحظة بسبب الحمى التي إصابته أثناء التدريب.

وحل مكانه (فؤاد) وهو الاسم العربي لكوزو اوكاموتو الذي بقي حيا، ودمرت له إسرائيل دماغه كما ذكرنا سابقا، وخرج بعملية تبادل الأسرى.

وحمل اوكاموتو جواز سفر ياباني من صناعة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأحب أن يطلق عليه اسم: DAISUKE NAMBA وهو اسم مناضل ياباني قديم.

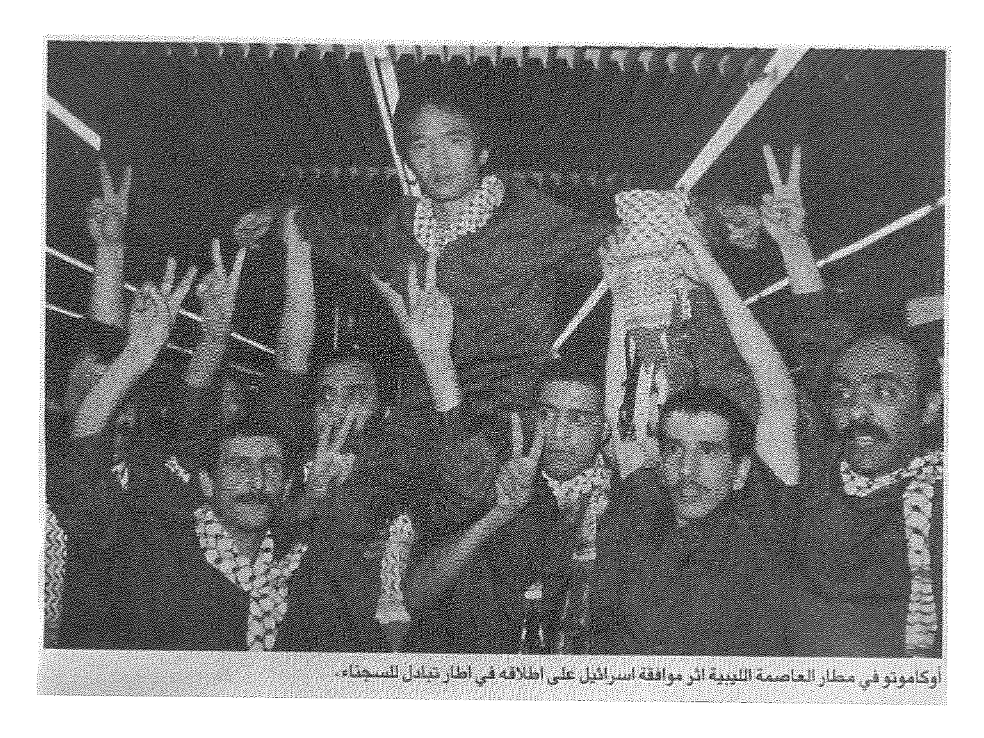
في منطقــة من مناطق الهرمل بلبنان، حدد حقل التدريب، وكان مجســما لمبنى المطار ومواقع الأمن فيه والشرطة والقوات والمخابرات والجمارك محددة تحديدا واضحا.

واستخدم الفريق آلاف الطلقات للتدريب، ورموا القنابل اليدوية وأتقنوا إصابة الهدف الثابت، والمتحرك، وإصابة الأهداف وهم ثابتون، اوهم متحركون. من السيارة إلى سيارة ومن السيارة إلى خارجها ومن خارج السيارة إلى داخلها.

كان رئيس فرقة التدريب الضابط اشرف، وهو خريج الكلية العسكرية السورية، وضابط من الذين قضوا في الحياة العسكرية العملية فترة من الوقت، بعضهم تخرج من كليات جيش التحرير الفلسطيني، وبعضهم تخرج من دورات في الصين وروسيا وبلغاريا.

وتضمن التدريب اللياقة البدنية، والملاكمة والكاراتيه والمصارعة الحرة.

وما أن اقترب شهر أيار من نهايته حتى صدرت الأوامر لهم بالتحرك لأخذ أخر التعليمات.


أوكاموتو في مطار العاصمة الليبية اثر موافقة اسرائيل على اطلاقه في اطار تبادل للسجناء.

كانت كافة الأمور قد جهزت لهم: جوازات السفر، التذاكر، المال، والملابس، والحقائب معبأة بالأسلحة والذخائر والقنابل.

واستعرضت كافة هذه الأمور أمامهم، وفي أخر لحظات طلب منهم الدكتور وديع أن يفكوا ويركبوا الرشاش وذخيرته وهم معصوبي العينين، ففعلوا ذلك، في وقت قصير قياسي.

تمنى لهم النجاح، وغادر المكان في سيارة فولكس فاجن قديمة.

وفي ٣٠ أيار انقض المقاتلون الانتحاريون على مطار اللد.

لا احد يدري ماذا حصل بالضبط، لماذا فتح المقاتلون النيران على تجمع بورثوريكي.

لقد كان مخططا أن يبدأ أطلاق النار حال فتح الحقائب على الأمن الإسرائيلي. هذا ما اعتقد انه حصل. ثم الجمارك ثم استهدف موقع الأمن في الطابق العلوي.

ومما لا شك فيه أن عددا من الجنود احتموا بالمدنيين واتخذوهم دروعا بشرية، مما

أوقعهم في حقل النيران.

استشــهد باسم وغسان، برصاص الإسرائيليين الذين تمركزوا خلف الدروع البشرية. وكان احتماء الجنود الإسرائيليين وراء المدنين ســببا لإلقاء القنابل اليدوية لتفادي أطلاق النار على المدنيين.

اصطدمت إحدى القنابل بالزجاج الفاصل بين المستقبلين والقادمين وارتدت نحو القاعة وانفجرت مسببه خسائر في صفوف الجنود الإسرائيليين والمدنيين.

ان قــذف هذه القنبلة إلى هذا البعد، يدل أن الجنــود الإسرائيليين حاولوا اتخاذ حائط الزجاجي البعيد ملاذا، والمدنيين الجهة الأخرى سياجا ودرعا.

هذا ما حصل.

كوزو اوكاموتو الذي القي القبض عليه بعد نفاذ ذخيرته لا يستطيع أعادة رسم ما جرى، لان الإسرائيليين الذين اجروا تجارب على دماغه دمروا الدماغ.

فعندما وقفت في اســتقبال الأسرى المحرريــن في طرابلس - ليبيا، نظر الي اوكاموتو كما ينظر طفل صغير إلى شيء أضاعه منذ زمن. واقترب مني وعانقني.

وعندما جلست جلس في حضني كما يجلس الطفل في حضن أمه، وكان يرتعد.

عاد لينظر الي فابتســمت له، فابتسم خجلا، وأدار وجهه كما يفعل الأطفال، ثم مد يده إلى جيبيه واخرج منها ولاعه كنت قد أهديتها له قبل سفره.

تذكــر الولاعة، وربط بين وجهــي وبينها. أذا فالرجل تذكر أنني أنــا الذي أعطيته هذه الولاعة.

ضحكت له وضممته.

وبما أن اوكاموتو قد دمر، ويتصرف تصرف الأطفال، فقد بال على نفســه أثناء الاحتفال بوصول الأسرى.

كانــت تلك هي العملية الأولى التي تشــارك فيهــا قوة حليفة، وتبــذل الأرواح، مثبتة

للعـــالم إصرار الجيش الأحمر اليابـــاني على الانغماس في العمليـــة النضالية الفعلية ضد الامبرياليين وحلفائهم من خلال حركة التحرر الوطني الفلســـطيني، وتحديدا من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتحت قيادة "المعلم" وديع حداد.

فجوازات السفر كانت كاملة، لا يرقى اليها الشك بما في ذلك الأرقام المتسلسلة.

والتأهيـــل كان تاما، كذلك التدريـــب. واختراق كل أجهزة الأمن كان كاملا. والوصول إلى مطار اللد كان انتصارا على كافة أجهزة الأمن الغربية والإسرائيلية وحجم الأعلام العالمي كان براقا.

وأصبـــح فلم "الحرب الثورية بدأت" الذي أنتجـــه الجيش الأحمر الياباني وعرض في كل مكان، حقيقة ملموسة معمده بدم باسم وغسان وتضحيات اوكاموتو (فؤاد).

وعقد اجتماع لتقييم العملية، وكان التقييم ايجابيا وانتهى بتعهد والتزام بمتابعة الحرب الثورية على الامبريالية، وحلفائها الصهاينة من خلال الجبهة الشـــعبية لتحرير فلسطين، العمليات الخاصة.



(الفصل الثالث عشر)

حرب عام ١٩٧٢: حرب الاغتيالات والعنف الإرهابي

كان عام ١٩٧٢ مليئا بالمعارك والحركة، معارك عسـكرية وسياسـية ودبلوماسية. معارك أرادت مـن خلالها غولدا مئير أن تثبت للعالم أن ما قالته عن الفلسـطينيين صحيح، أي أنه لا يوجد شعب فلسطيني لذلك لا حقوق لمن لا وجود لهم.

فيما قاتل الفلسـطينيون عـلى كل الأصعدة لإثبات وجودهم، وأنهم ليسـوا موجودين فقط بل يقاتلون لتحرير بلادهم التي احتلتها إسرائيل.

وان إسرائيـل صنيعـة الامبريالية، هي قـوة معتدية محتلة، ويجـب مقاومتها وتحرير الأرض والبشر منها.

أصـدرت غولـدا مئير، بناء على رأيهـا، أوامرها للجنرال زامير مدير الموسـاد بأن يصفي كل بـارز فلسـطيني بغض النظر عن ميدان بروزه، قادة المقاومـة، وقادة الفكر الأدباء والفنانون والشعراء والصحفيون.

قرار غولدا مئير الذي أطلق عليه لاحقا تعبيرا "لائحة غولدا" GOLDA'S LIST

كان يعني شن حرب متواصلة لا هوادة فيها لتصفية كل إفراز تاريخي فلسطيني، يعطي دليلا على وجود الشعب الفلسطيني الخلاق والمعطاء.

كانت تشعر غولدا مئير بالخطر الكبير الذي تشكله نهضة الفلسطينيين، وتجمعهم تحت علم منظمة التحرير الفلسطينية.

وأمام هذا الحشد، تحدث المندوب الفيتنامي، وتحدثت أنا، مندوب فلسطين.

ورفع الرفاق شـعارات وهتفوا، وجروا الحشد للهتاف: فيتنام وفلسطين نضال واحد من اجل الحرية.

لأول مرة يربط النضال الفيتنامي والنضال الفلسطيني على الصعيد الدولي.

وراحت هـذه الموجة تمتد حتى عمت أوروبا. وأفقـدت إسرائيل أعصابها، فجن جنون غولدا مئير التي كانت تعتبر الدول الاسكندينافية معقلا لها، وملاذا لمخابراتها الإرهابية.

وبذلت نشاطا محموما وأصبحت أخبار النضال الفلسطيني على كل شفه.

وخـلال تلك الزيارة السريعة التي قمت بها، بعد اختطـاف طائرة اللوفتهانزا الى عدن، ولفت انتباه العالم مجددا للقضية الفلسطينية، أرسلني الدكتور وديع حداد إلى الدانمارك للمشاركة في مهرجان ضخم لمناصرة شعب فيتنام.

كان الحشد مكونا من مئات الآلاف، ومنهم مئات الجنود الأميركيين الذين تركوا الخدمة، وهربوا إلى الدول لاسكندنافية طلبا للحماية السياسية (اللجوء السياسي).

قام عدد من رفاقنا باتصالاتهـم مع اللجنة الدانمركية القائمة على المهرجان، وهي هيئة تابعة للجنة نصرة فيتنام. اسكندنافية.

ورتبوا وقوفي على المنصة إلى جانب ممثل فيتنام، وكان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي.

أجريت اتصالات مع لجان عديدة: لجان أنصار، ولجان ثورية ولجان إنسانية، الكل كان يريد المساعدة.

وقبل يوم واحد من مغادرتي كوبنهاجن إلى مالمي في السويد، تحدث معي احد الثوريين الدانماركيين، وطرح فكرة المشـاركة في الكفاح معنا. أوضح انه يمثل مجموعة، وانه ليس فردا. فرحبت به ودعوته للتوجه إلى بيروت، لبحث هذا الأمر بشكل معمق، وهكذا كان. توجه وفد منهم إلى بيروت، والتقى الوفد بالقائد وديع حداد وكان التفاهم الاستراتيجي تاما. وحضروا مؤتمر التحالف الدولي الذي عقد في شمال لبنان آنذاك.

عام ١٩٧٢ كان عاما مليئا بكل معنى الكلمة. لم اشعر أطلاقا خلال هذا العام بان الدنيا

وقتا كافيا لإتمام ما فكرنا بإتمامه. بين الخاص والعام، سحق الخاص، وتحولت الحياة إلى سباق مع ألسِنة النار والى اكتشاف متبادل في مجال القدرة على تحمل الآلام.

كنت أرى الأمور بوضوح تام.

إذا كان الطريــق الذي اخترناه هو طريق التضحية، فأقل التضحيات الجســيمة ألما هو المــوت. أما التحمل، تحمل الألم وتحمل العذاب وتحمل الســنة اللهب، وانعدام الهواء، والاختنــاق تحت المــاء، كان التضحية الأكــثر كلفه. فالموت حــق، وحقيقة، كذلك هي الحياة.

ودربت نفسي منطقيا وعقليا على تحمل الألم بخلق الم اكبر، فعندما يتعايش نوعان من الألم: الم كبير وألم صغير، يصبح الألم الصغير غائبا، ويغطي عليه الألم الكبير.

كنا في نضالنا نخلق لأنفســنا ألاما كبيرة، ونحن نســير نحو الحرية التي سلبت منا، نحو بلادنا التي انتزعها الاستعمار والصهاينة منا.

لكن هذه الآلام جميعها كانت صغيره مقارنه بألم فقدان الحرية والكرامة والأرض.

وأنــا لا أتحدث عن هذا الأمر شــعرا أو زخرفه كلامية بــل اعني ما أقول، لأنني جربت إصابة الألم في أكثر من موقع، وفي أكثر من موقِعة.

كنت اســتخدم تركيز عقلي لأجعل البتر يمر بلا الم أحس به، واستخراج رصاصة أو شظية من جســدي يمر بأقل الآلام إحساســا بتأثير من قدرة عقلي على إقناع جسدي، بان النار يمكن ان تكون بردا وسلاما أن تحكم العقل بالأعصاب تحكما كاملا.

وهكــذا تتالت أحــداث ١٩٧٢ وامتزجت الآلام بالافــراح، الألم الكبير اضاع الألم الصغير، وامتزجت الام الجراح، بافراح الانتصارات وإذا هي الحياة، لوحه يطل منها عليك جمال، افــاذا جمال الأمل في الغد أكــثر إشراقا. غد حر، غد يعطي هذا الشــعب الذي كيل له العذاب والألم على مر الســنين دون توقف كي لا يمكنوا عقل هذا الشــعب من التحكم بالألم، وقدرته على شل العمل.

لكـــن العقـــل ألان حرّ، حرّ بأن يتحمل الألم من اجل الأمـــل، حرّ أن يرى في جراحه فجر يوم جديد.

في العام ١٩٧٢ حاولت غولدا مئير ورجالها في الموســـاد جنرال زامير أن ينهيا وديع حداد جسديا، ليتخلصوا من أعماله غير المسبوقة، التي تركتهم دون قدرة العقل على التحكم بالألم.

فقد وضعت غولدا مئير تحت تصرف الجنرال زامير كل أســـلحة الجيش الإسرائيلي. فقام الطيران الحربي الإسرائيلي في شـــهر نيســـان من العام ١٩٧٢ بقصف بيت صغير في جبل لبنان كان يســـتخدمه "المجال" لتدريبات ذات طبيعة خاصة، وحساسة، كالتدريب على صنع المتفجرات، وأقلام التوقيت، وقد ظن زامير أن عملاءه بلبنان قد زودوه بمعلومات كافيـــه حول الأوقات التي يســـتخدم فيها الدكتور وديع ذلك البيـــت المبني من الحجر وسط بستان من شجر التفاح.

لم يكن "المعلم" وديع موجودا، وأصيب البيت.

ثم قام عملاء زامير في بيروت بدعم، وإسناد بعناصر من الخارج إيرانيون يتبعون موفاز، المسؤول عن شبكة الإيرانيين الموسادية التي انخرطت إلى حد كبير تحت غطاء المخابرات الإيرانية، في ظل شاه إيران، لساواك أو سافاك.

وقصفوا بيت وديع حداد في منطقة الملا، منطقة الصنايع، في رأس بيروت.

كان وديع يســـكن مع عائلته، زوجته ســـامية، وابنه هاني والعمة نصره، في شقة صغيرة ببناية قديمة في ذلك الحي المسلم والمزدحم جدا.

في تلك الشقة الصغيرة المفروشة، بأثاث بسيط جدا كان طاولة الطعام هي مكتب وديع المعلم.

لم تكن تجد على هذه الطاولة سوى أوراق بيضاء، وأحيانا دفتر مدرسة وأقلاما.

في تلك الغرفة، كانت تتم اجتماعات غاية في الأهمية، وتدون أوامر قمة في الحساسية.

لماذا بيته العائلي كان أهم غرف اجتماعاته؟

لان العــدو لا يتوقع مطلقا أن يجلب وديع حداد الخطر إلى بيته، وان العدو ســيراقب أماكن أخرى بعيدا عن بيته حيث زوجته وابنه لعقد اللقاءات وبحث العمليات.

في ذلك اليوم وصلت ليلى خالد حسـب موعد مرتب سـلفا إلى بيت وديع حداد للقاء حول بعض الأمور، وكانت ليلى خالد آنذاك منغمسـة مع الدكتور جورج حجار في كتابة كتابها حول قضية الشـعب الفلسطيني، وكانت تقضي مع الدكتور جورج حجار معظم الوقت لإنهاء الكتاب بأسرع وقت وطرحه على الرأي العام مستغلين الاسم الذي خلقته عمليات وديع حداد كبطل فلسطيني معروف:

(ليلى خالد).

هكذا كان يرى وديع المتابعة البعيدة المدى للأعلام حول قضية الشـعب الفلسـطيني، فهو من ناحية يقوم بخلق شـخصية البطل عبر عمليات نفذها تشد انتباه العالم. وبعد أن يقوم البطل بدوره.

(العمليات أولا) يتم إلهاب مخيلة واندفاع الفلسـطينيين الذين يحبون شخصية البطل ـ كما هي الحال لدى كل الشـعوب ـ وبعد يبتعـد البطل عن المسرح (أو يبعد لقرار) ويكلف باسـتثمار ما خلقه وديع منه وبه، وان يكتب عن القضية ليسـتفاد من اسـم البطل في نشر الحقيقة حول الشـعب الفلسـطيني، وما انزل به من ظلم، وما تعرض له من بطـش وتعذيب ومجازر على أيدي الصهاينة، ليشرح للعالم أن الشـعب يقاتل من اجل حل عادل وحرية هي قيمة الإنسـان الحقيقية وحقوق إنسـانية سـنتها التجربة البشرية والحضارة الإنسانية.

أثناء الاجتـماع، كان عميل أيراني يعاونه عدد من العمـلاء اللبنانيين يحضرون صاروخا ليطلق على بيت المعلم وديع حداد من شقه استأجرت خصيصا لهذه الغاية، ويمكن من شرفتها أطلاق الصاروخ، وإصابة شقة وديع حداد.

بعد ربع سـاعة من بداية اجتماع الدكتور وديع مع ليلى خالد هزّ الشقة صاروخ غولدا مئير وأصابها أصابة مباشرة ألا أن القائد وديع وليلى خالد، وسـاميه زوجة وديع والعمة نصره لم يصابوا بأذى.

أمـا هاني الطفل الصغـير فأصيب بجروح، فحمله المعلم بسـيارة أجرة إلى مستشـفى الجامعـة الأميركية حيث عولج في قسـم الطوارئ وأمر الطبيب بإبقائه في المستشـفى تحت ألرقابه الطبية حتى اليوم التالي.

بعـد دقائق دخلت الغرفة التي انـزل فيها هاني حداد وكان وديـع واقفا قرب سريره، فهمست بغضب: لماذا أنت هنا؟

عليك الخروج فورا. سوف نهتم نحن بكافة الأمور.

انه ابني يا بسام: قال ويده علي.

أجبته فورا: هذا بالضبط ما تفكر به غولدا مئير.

أجاب فورا: هم لا يعلمون حتى الان ماذا حصل في بيتي ويظنون أنني أصبت.

تداولنا بسرعة، وأبقيت مقاتلين للحماية، وأرسـلنا لإحضـار أم هاني وإخراج المعلم من المستشفى وتوجه الى "المجال" وهو مكتبه الحقيقي.

كان ذلـك في جزء من مبنى قديم تهدم جزء كبير منه يملكه احد الأثرياء الفلسـطينيين (أبو غزالة) ويقع في منطقة قريطم برأس بيروت خلف قصر دياب.

وصدرت التعليمات بالاستنفار، وتغيير أماكن الاجتماعات والابتعاد عن أماكن التدريب العادية.

لكن الاستنفار الكبير والأعلى درجة جاء بتعليمات يوم شن المقاتلون الانتحاريون، عملية مطار اللد في أيار من ذلك العام.

ففي ذلك العام كثر حديث الرئيس أنور السادات عن تحديد موعد معركة تحرير سيناء بعد أن فقد الأمل في دور الولايات المتحدة لإقناع إسرائيل لتطبيق قرار ٢٤٢.

كلما كان يعلن عن ذلك بخطاب علني كان يعتذر في الخطاب الذي يليه مبررا عدم شن معركة التحرر لأسباب تتعلق بالطقس أو الأوضاع السياسية.

وفي ذلك العام شنت غولدا مئير أوسع حرب إرهابية إجرامية لاغتيال الفلسطينيين ذوي

القيمة الفكرية أو الأدبية أو الإعلامية أو قادة الكفاح المسلح.

فحاولـت قتـل دويع حداد أكثر من مـرة دون أن تنجح، واغتالـت وائل زعيتر الكاتب الفلسـطيني الفذ، الذي كان داعية سلام وعدالة في ايطاليا. وقام بترجمة جميلة لمؤلف "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الايطالية. اغتالته في احد شوارع روما.

وقتلـت محمود الهمـشري بعد أن فخخت هاتفه. وكان محمود من دعاة السـلام وله صـلات واسـعة في باريس مع رجـال الصحافة والأعلام والسياسـة، مـن ضمنهم يهود فرنسيون يؤيدون السلام.

ولكن الضربة الأكبر سددتها غولدا مئير في شهر تموز من العام ١٩٧٢.

قلنا أن اسـتنفارا عاما قد أعلن في صفوف الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين بعد عملية مطار اللد.

وكان شهر حزيران شهرا لم اتمكن فيه من البقاء ليلة واحدة في مكان واحد.

واتخذ المكتب السـياسي قرارات بشـأن الأمـن. ألا أن تجربه أعضاء المكتب السـياسي العاملين في شـؤون المال والسياسـة والمجتمع والصحة لم تكن تجربه الذين يعملون في العمل العسكري والعمل الأمني والعمليات الخاصة.

فعمـم القائـد وديع حداد على المواقـع التي يتوقع أن توجه لها غولـدا مئير ضرباتها، تعميما تحذيريا. وأرسـل رسـائل فيها تعليمات خاصة لبعض الوجوه البارزة في الجبهة، منها غسان كنفاني مسؤول أعلام الجبهة، ورئيس تحرير مجلتها المركزية «الهدف» وابرز الصحفيين والكتاب العرب آنذاك.

أمـا جـورج حبش الذي كان قـد دخل مستشـفى الجامعة الأميركية قبـل ذلك متأثرا بنوبـة قلبيه، فقد غادر بيروت لمتابعة العلاج، واخذ قسـطا من الراحة في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا آنذاك. وبقي لفترة في منطقة مياه معدنية قرب ماريا نسكي لازنه.

كنت أنا في ذلك الوقت اسكن في منطقة الحمرا بناية الكمودور- قرب فندق الكمودور. كنت على علاقة وثيقة بعدد كبير من الأصحاب والصديقات.

لم أفكر بالانتقال من شـــقتي الصغيرة، المكونة من غرفة نوم وصالون. بالرغم من إلحاح القائد وديع حداد أن انتقل لو مؤقتا الا أنني لم أحرك ساكنا، وكأن الأمر لن يطالني.

فقد كنت اشـــعر بالثقة، والاطمئنان فانا أتحرك باســـتمرار، ولا يوجد لدي مســـؤوليات عائلية، لذلك كنت حرا في المبيت حيثما أريد، وأحيانا في حديقة عامة أو في سيارتي.

لكن المعلم كان متأكدا من أن غولدا مئير ستســـتهدف غســـان كنفاني. فهو صيد ســـهل بالنسبة لهم، فهو فنان وكاتب وصحفي، لم يمسك بحياته مسدسا ولم يؤذ قطه.

أرسل له مندوبا يحمل له مبلغ من المال لشراء سيارة جديدة

(لتغيير سيارته) ومبلغا لاستئجار بيت في منطقة جبليه (لتغيير بيته).

وأوكل غسان كنفاني هذه الأمور لمن يعرف بها. فلم يكن غسان من النمط الذي يبحث ويفاوض ويوقع عقود شراء واســـتئجار. فكان صديقنا الحميم وابن خاله، غسان فاروق غندور هو الذي يساعد.

المحاولة الأولى لاغتيالي كشـــفتها أثناء انهماك المجموعة التي أرســـلها زامر بزرع عبوات ناسفة في السيارة التي كنت استخدمها، (داتسون صفراء اللون) وكانت في مراب البناية.

فقد عدت لشـــقتي الثالثة صباحا. وكنت أدخن ســـيجارة، وأنا اطل من الشباك العريض المفتــوح لتهوية المكان، فإذا بثلاثة رجال يقبلون على ســـيارتي بعد أن قفزوا من ســـور الجيران، وهبط احدهم تحت موتور السيارة. فقلت لهم: ماذا تريدون؟

لم يعيروني انتباها. نظروا الي دون جواب وتابعوا عملهم.

فصرخت بهم بلهجة: ماذا تريدون يا أولاد....؟

عندها انتبهوا أن الأمر لم يعد فضولا من رجل سكران وسهران.

حملوا أغراضهم وتسلقوا سور الجيران وركضوا باتجاه الشارع.

أسرعت وراءهم حافي القدمين، البس سروالا قصيرا وقميصا قطنيا ابيض، ركضت وراءهم في شـــارع الكمودور باتجاه تقاطعه مع شـــارع السادات. جرح الزجاج المكسر قدمي. لم اســـتطيع اللحاق بهم فعند تقاطع شارع ركبوا سيارة، كانت تنتظرهم وأسرعت السيارة

بهم بعيدا.

في اليوم التالي أبلغت الأمن الذي قام بفحص السيارة وابلغني أنها خاليه من المتفجرات وأمنه.

وعندمـــا أبلغت نائب الأمين العام حول ما جرى، اعتبر مســؤول الأمن أبو احمد يونس الموضوع "غير مهم".

بـــدأت عنـــد ذلك أفكر جديا بطلـــب الدكتور وديع حداد أن أغير ســكني، وطلبت من الأصدقاء البحث عن شقة للإيجار.

في الثامـــن من تموز اغتالت إسرائيل غســـان كنفاني بتفجير ســـيارته عندما أدار محركها صباح ذلك اليوم، وكان سيتوجه من بيته، هو وابنه أخته (فايزة) واسمها لميس نجم إلى مكتب مجلة الهدف لنلتقي.

واصطحـــب لميس للجامعة الأميركية لتســـجيلها، فقد كانت قد نجحت بامتياز في فحص التوجيهي، كانت من العشرة الأوائل في دولة الكويت حيث يعمل والدها ووالدتها.

وقتل غسان، وقتلت لميس.

وبعد ١٧ يوما أي في الخامس والعشرين من تموز أرسل لي الإسرائيليون كتابا محفورا من الداخل ومحشـــوا بالمتفجرات، وقد ساهم عملاؤهم في وزارة الاتصالات، وقسم الطرود في البريـــد في تمرير هذا الكتاب مع تعهد الوزير بأنه خالي من المتفجرات وانه دقق من خبراء الوزارة.

وجاءني الكتاب في مغلف كبير غير مفتوح، وختم بخاتم الوزير جميل كبي، الذي يتعهد فيـــه بأنه دقق، وهو خال من المتفجرات حســـب وعده لنا، وعندمـــا رفضت الحكومة اللبنانية السماح لنا باستيراد آلة فحص البريد من المتفجرات.

نقلت للمستشـــفى حيث بقيت عدة شهور، وبقيت حيا، ولكن مثخن بجراح لا تندمل كفقدان عين وأغلبية حاسة السمع.

ومـــع نهاية عـــام ١٩٧٢ بدأت أزاول العمل تدريجيا. شـــملت مســـؤولية أعلام الجبهة

الشعبية ورئاسة مجلة الهدف.

لكن العام ١٩٧٢ لم ينته، دون المزيد من الحركة والتحرك، فهنا لا بد أن نصف دور القائد وديع حداد في حرب أكتوبر الذي بدأ في العام ١٩٧٢ وان نشرح علاقة القائد وديع حداد بالاتحاد السوفيتي.

العلاقة مع القاهرة وموسـكو هامة جدا، إذ تبين دون لبس نجاح وديع حداد مؤسـس التحالف الدولي الثوري لمواجهة الامبريالية من خلال الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين وحركات التحرر.

النظرية الثورية الجديدة التي أضافها المعلم وديع حداد للقاموس الثوري نظريا وعمليا.

(الفصل الرابع عشر)

وديع حداد وعلاقته بالقاهرة وموسكو

قلائــل هــم الذين يعرفون عن وجود علاقــة بين القاهرة والقائد وديــع حداد، وقلائل يعرفون عن العلاقة بين وديع وموسكو.

علاقــة الدكتور وديع حداد بالقاهرة، لم تكن معروفــه الا لأفراد قلائل مقربين جدا من القائد وديع حداد.

أمــا فيما يتصل بالعلاقة مع موســكو فهــي معروفة لإطار ضيــق في التنظيم الخارجي (المجال).

وهــي علاقة مميزة، واســتطيع القول بثقة، وعــن معرفه أكيدة، أن ما نشره فاســيلي ميتروخين ضابط المخابرات السوفيتية السابق KGB.

حول وديع حداد غير صحيح أطلاقا، وســأذكر الحقائق الكاملة لأظهر افتراء هذا المدعي ولأكشــف لأول مــرة عن علاقة سرية حميمة بــين وديع حداد "المعلــم" وبين الاتحاد السوفيتي، VASILI MITROKHIN.

ســبق أن ذكرنا أن الرئيس أنور السادات، وعد بشن حرب تحريرية أكثر من مرة، ومنها على الأقل ثلاث مرات في خطابات علنية. لكنه لم يفعل.

كان قد أمر بجلاء الخبراء الســوفيت من الجيش المصري حتى يوحي بأنه قد اتخذ قرارا مصريا، وانه لن يسمح بضغوط سوفيتية أو تأثير سوفيتي على مسار الحرب (أو إعلانها).

في الذكرى الخامســة لحرب حزيران، واحتلال ســيناء وغزة والضفــة الغربية والجولان، ابلغتني الســكرتيرة في مجلة الهدف أن الملحق الصحافي المصري اتصل، وطلب أن نحدد له موعد لمقابلتك.

فوجئت بذلك، فقد كان معروفا أن مجلة الهدف تنتقد الســادات انتقادات حادة، وان الجبهة الشعبية، لا تقيم علاقات مع مصر.

رغــم ذلك حددت له الموعد، وعندمــا التقينا مدح الجبهة والهدف، مما أثار شــكوكي. فسألته عن الهدف، من زيارته حقيقة، وان يختصر الطريق.

فأجاب: هل يمكن أن نتحدث خارج الغرفة لأنها ملغمة وأشار بيده ليفسر ما قال ـ كان يعنــي أنها تحتوي أجهــزة تنصت ـ وقفت، سرت أمامه نحو الدرج الذي يؤدي للطابق الأرضي. توقفت عند منتصف الدرج وقلت: هات ما عندك.

أجاب: نحن نحضر لحرب، ونحتاج لمســاعدتكم. أجبته بالإشارة، أشرت على نفسي، عانيا بذلك التأكيد على انه يعني الجبهة الشعبية.

قال نعم الجبهة.

طلبت منه أن يحدد فيما نحن نهبط الدرج، ونتجه للشارع العام.

في الشارع العام قال بصوت واضح: الإخوان في مصر عايزين يلتقوا الدكتور وديع.

نظرت اليه مليا وقلت: سوف اسأل.

وتواعدنا على لقاء في الشارع في اليوم التالي.

أسرعت متوجها لأخبر أبو هاني بما طلبه المصريون.

أجابنــي: كنت أتوقع هذا، ابلغهم موافقتي وحدد الموعد ومن ســيحضر، وابلغهم انك ستنقل الاسم، واقتراح الموعد لي لأبدي ملاحظاتي.

تم اللقاء في شهر حزيران (٢٠ – ٢٢)، كان على أعلى مستوى امني في مصر. كان اللقاء في بيروت.

إذا أردنا تلخيص ما طرح، وما اتفق عليه نســتطيع أن نضع النقاط الدقيقة والصحيحة التالية:

١. إن قرار مصر هو الحرب. لان كافة الأجواء السياسية والدبلوماسية فشلت. وتبين للرئيس أنور السادات دون أدنى شك انه مهما كانت مرونة الطرف العربي، فان الإدارة الأميركية (الرئيس الأميركي) لا يستطيع أن يضغط (أو حتى أن يطلب) على إسرائيل كي تقبل بالحل السياسي الذي يمثله قرار ٢٤٢. وان الرئيس السادات أيقن أن الرئيس والإدارة الأميركية لن يتحركا الا لإنقاذ إسرائيل أو نجدتها أو السعي لوقف اطلاق نار يساعدها.

٢. ان مصر تخطط بكل جديه على كل الأصعدة: عسكرية، بحريه، جوية، أليه، مشاة، وأمنية، ومخابراتية.

٣. أن مصر ستخوض الحرب وحدها، وأنها تطلب من جميع الذين تعرف صدقهم القومي أن يتحرك كل حسب إمكاناته.

٤. أما من الدكتور وديع حداد فما تطلبه مصر كمساهمة في المعركة هو أضافي، ولا يتنافى مع ما تطلبه من م.ت.ف. ولا يشكل بديلا بل اضافه نوعيه هامة وحساسة.

وحدد المسؤول المصري الكبير، إن مصر تريد من وديع حداد هو أن يجذب انتباه إسرائيل بعيدا عن المعركة المقبلة.

أي أن يشغل مخابراتها، وأمنها بعيدا عن المعركة الكبرى.

وقال بالحرف الواحد:

«الإسرائيليون أيقنوا بعد الإعلانات المتتابعة عن شن الحرب وعدم شنها أن كلام السادات هو للاستهلاك المحلي والعربي ومحاولة لامتصاص الغضب الشعبي، وانه لا ينوي، ولن يجرؤ على اللعب بالنار، لذلك فان إسرائيل هي الان صيد سهل لعمليات وتحركات وديع حداد.

وبما أن غولدا مئير قد أعلنت الحرب على القيادة الفلسطينية ووديع حداد وعملياته، فأنها ستجر لأي تحرك وهمي كان أو حقيقي، والمطلوب من القائد وديع حداد ان يقوم بعمليات تربك إسرائيل وتجذب اهتمامها بعيدا عن قناة السويس وجبهة القتال القادمة.

المهم التحرك لشدهم بعيدا، وليس المهم تسجيل أهداف "الكورنر كويس".

بهـذا اختتم اللقاء، وعند خـروج الزائر الكبير، قال للدكتور وديع: نحن على اسـتعداد للمساعدة بأي شيء نستطيع أن نقدمه، حتى الضفادع البشرية، إحنا مستعدين لتدريبها وتجهيزها. ونظر إلى الدكتور وديع نظره لها معنى.

تصافحا واتفقا على طريقة اتصال.

منـذ ذلك التاريـخ ازدادت تحـركات وديع حداد خدمـة للقضايا القوميـة والوطنية ومساعدة لمصر، ان كان ما قيل له حول المعركة صحيحا.

تأخر غسـان كنفاني في الانتقال إلى شقه في الجبل اسـتأجرت له وتأخر في شراء السيارة الجديدة.

في ليلـة الثامـن مـن تموز حاولت أن اثني غسـان عـن الذهاب إلى منزلـه في مارتقلا (الحازميه) ودعوته إلى قضاء الليلة معنا لأننا سنذهب إلى احد مراقص بيروت الجملية، كان يدعى بلو اب، فقال لي أن عليه التوجه للبيت لان أخته فايزة، وهي صاحبة المنزل الذي يسـكنه غسان وعائلته، وصلت من الكويت مع ابنتها لميس، وكان قد ابلغني أنها نجحـت في فحص التوجيهـي وأنها من الأوائل في الكويت، وانه سـيعتمد علي لأخذها للجامعة وتسـجيلها وتعريفها على أصدقائي المسؤولين في الجامعة. وتم الاتفاق على أن نلتقي في السـاعة العاشرة في مكتب الهدف المجلة الأسبوعية التي كان يرأس تحريرها، والناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

هبط غسـان ولميس الدرج نحو المراب حيث أوقف سـيارته القديمـة المتعبة ووقفت زوجته آني، وأخته فايزة على شرفة الشقة لتوديعه.

اختفى غسان ولميس تحت البناية وغابوا عن ناظري فايزة.

فقد كان مراب سـيارات البناية تحت البناية التي رفعت على عواميد أسمنتية وقسمت المساحة لتكون مأربا لسيارات أصحاب الشقق الستة المكونة منها البناية.

لحظـات مضت قبل أن يصـم آذان فايزة وآني صوت انفجار ضخم جدا، ويتحطم زجاج

البنايـــة والبنايات المحيطة وتتطاير قطع حديدية في كل اتجاه، وترتفع الســـنة الدخان الأسود من المراب.

لطمت فايزة وجهها صارخة: غســـان كانت تحبه حبا جما، فقد كانت كوالدته، لم تذكر ابنتها لميس في صراخها.

وانهارت على بلاط الشرفة.

راحـــت آني تهذي وترتجف، ويديها ممتدتان للأمام وكأنها تحاول إنقاذ غريق أو مصاب من حريق.

في بـــادئ الأمر، لم يقترب احد من المكان فقد أصاب الذعر قلوب ســـكان الحي والبناية التي يسكن فيها غسان.

فيـــما راح البعض يقترب بوجل، وصلت ســـيارة امـــن عام، وتوقفت بعيـــدا. عن مكان الانفجار، واستخدم رجل الأمن اللاسلكي الداخلي ليطلب يد المساعدة.

خلال ربع ســـاعة كان الشارع يمتلئ بسيارات الأمن والإســـعاف وكان بعض الجيران قد اقتربوا، ليكتشفوا أن غسان ولميس قد مزقهما الانفجار أربا.

اندفع رجال الجبهة الشعبية شاهرين أسلحتهم نحو السيارة التي تحترق، وبدأوا بإخراج بقايا الشهيدين من السيارة المحطمة.

بقي في السيارة رأس غسان والجزء الأعلى من صدره وتطايرت يداه.

وعلى وجهه ارتســـمت ابتســـامة، ربما كانت أخر تعبير على وجهه قبل أن يدير المحرك وتنفجر السيارة، ربما كان يتحدث إلى لميس ويبتسم متفائلا بمستقبلها وبالحياة.

لميس هشمت اربا.

وطلـــب رجـــال الجبهة من رجال الإســـعاف، والأمن أن يبحثوا عن القطـــع المتناثرة من جســـدي الشـــهيدين. وصرخت آني من الشرفة تطلب خاتمها الذي كان غسان يضعه في أصبعه خاتم الزواج. وبقيت تهذي بخاتم الزواج، وكأنه خشبة الخلاص أو الإنقاذ أو كأنه

هو الذي سيعيد غسان لها.

جمعت بقايا الشـهيدين في صندوقين، ووجد من أصابع يد غسـان المعلقة على شجرة زيتـون في حقـل على بعـد مئتي متر من ألمـراب. وأعطى الخاتـم لآني، ووضع اليد في الصندوق.

لم التقي بغسـان حسب الموعد. وبعد ١٧ يوما تفجر كتاب بين يدي في مكتبي لكنني لم أمت.

اعتـبر الدكتور وديع حداد هاتـين العمليتين ضربه كبيرة موجهة له شـخصيا وللمجال والجبهة الشعبية عموما.

فأمـر بربط الأحزمة، وراح يتحـرك في كل مكان، وكل اتجـاه لتوجيه ضربات لإسرائيل وصالحها.

ولا شـك أن هـذا التحرك وهذه المعارك التي خاضها المجال مـع إسرائيل في تلك الفترة بالذات قد خدمت بشكل لا يوصف المصريين لتوجيه ضربات مفاجئة كان الإسرائيليون لا يتوقعونهـا، وكانوا منغمسـين لاهثين وراء وديع حداد الذي كان يترجم شـعار «وراء العدو في كل مكان».

كانت ضربة أكتوبر، وعبور قناة السـويس اكبر ضربة للإسرائيليين، ولخط بارليف الذي تهاوى بمياه قناة السـويس. وكانت فضيحة الاستخبارات والمخابرات الإسرائيلية اكبر من ذلـك. إذ أكدت تقاريرهما المرسـلة للقيادة الإسرائيلية ليلـة العبور أن كل شيء هادئ، ويمكن للأعياد أن تمر بسلام، وان المصريين لا ينوون اطلاقا ذلك.

وإذا بالجنود المصريين الإبطال يدخلون غرف نوم الجنود الإسرائيليين، ويدمرون دباباتهم قبل أن يفتحوا أعينهم، ويصحوا من احتفالات الأعياد.

ونمت العلاقة السرية بين أجهزة القاهرة ووديع حداد نموا مضطردا.

(الفصل الخامس عشر)

التحالف بين اندروبوف ووديع حداد

الأخبار المتفرقة التي نشرت، حول علاقة وديع حداد بموسكو لامست الموضوع، ولم تعط الحقيقة.

الحقيقة رغم أنها كبيرة وضخمة بقيت طي الكتمان حتى ألان.

هــذه هي المــرة الأولى التي ينشر فيها حقائــق تلك العلاقة التي ربطــت وديع حداد بموسكو، وموسكو بوديع حداد.

كان الســوفيت يعلمون بما تخطط له القاهرة. فعندما أمر الســادات بإجلاء كل الخبراء الســوفيت وتســلم الضباط المصريين الأســلحة والمعدات الصاروخية والالكترونية، لاذ السوفييت بالصمت.

لم تتوتر الأجواء.

ورغم محاولة الرئيس الســادات اســتغلال خطواته المعلنة هذه لدى الغرب، فان قادة السوفيت لم يبدوا ردود فعل، بل استمروا في مراقبة الوضع في الشرق الأوسط.

بالرغم من كل هذه الظروف، اســتمرت غولدا مئير في حربها المعلنة ضد الفلسطينيين، وضد كل ما هو فلسطيني.

فــكان عام ١٩٧٢ عامــا مليئا بالمعارك، والألم والحزن والفــرح لكن الشيء المؤكد هو أن حرب غولدا مئير ضد الفلســطينيين شــغلت إسرائيل وأجهزتها إلى ابعد الحدود لدرجة أن أي اهتــمام لأمــور أخرى لم يعر أطلاقا، ومن ضمن هــذه التحركات المصرية السرية والحرب الإعلامية السياسية العلنية.

فقد تركت الحبل للرئيس السادات على التهديد والوعيد متيقنة تماما انه لن يقدم على أي خطوة عملية.

ليس هذا فحسب، بل أن السادات تمكن من زرع الانطباع ذاته في واشنطن، بحيث استبعد البنتاغون أي تحرك عسكري مصري.

وأصبحت شيئا معتادا في أعلى هيئات البنتاغون الابتسام عندما تصلهم برقيات من الشرق الأوسط حول تهديد ووعيد أنور السادات.

هم أيضا، انشدوا لحرب غولدا مئير، وردود فعل الفلسطينيين عليها، وتمكنهم من متابعة اخذ زمام المبادرة لتوجيه ضربات مؤلمة لإسرائيل وحلفائها الغربيين.

كان ملفتا لانتباه حملة النجوم في البنتاغون أن وديع حداد "المعلم" والعقل المخطط للإرهاب كما كان يحلو لهم تسمية العمل الكفاحي التحرري، لم يمس الولايات المتحدة، ولم يستخدم أراضيها، وكأنه يريد أن يبقيها على الحياد.

كما قلنا أن انتباه إسرائيل الكلي كان منشدا إلى ملاحقة الثورة الفلسطينية والقيادة الفلسطينية، خاصة أن عملية ميونيخ، التي رفض وديع حداد المشاركة فيها وقعت أثناء الألعاب الاولمبية في ميونيخ عام ١٩٧٢.

وقد أرسل وديع حداد سالم الفينزويلي إلى لندن لتنفيذ عملية ردا على اغتيال غسان كنفاني وحملة غولدا مئير.

كانت مهمته إعدام لورد سيف، احد اكبر مناصري ومؤيدي إسرائيل. وكان اللورد سيف يتبرع بكامل دخل محلاته الفخمة والمتفرعة (ماركس أند سبنسر) كل يوم سبت.

وكان هذا يدر على إسرائيل أموالا طائلة تستخدمها في قتل الفلسطينيين. أي دعم الإرهاب الحقيقي ضد شعب بأكمله وحماية ما سرقه من ارض، والدفاع عن قتلة قاموا بمذابح في دير ياسين، كفر قاسم، السموع، الخليل ـ هذا ارهاب الاسرائيلين ـ

اما نضال وديع حداد كان دفاعا عن النفس في وجه الإرهاب الحقيقي والكبير. إرهاب دولة خلقها الغرب وسلحها لتقتل وترتكب جرائم جماعية، ضد شعب اعزل.

لم يكن الغرب يشير بأي أصبع اتهام لإسرائيل، ويعطل دائما قرارات إدانتها في مجلس الأمن.

قتل شعب كامل ليس جريمة، ولا إرهابا ـ هذا هو التعريف الامبريالي ـ أما دفاع الشعب عن نفسه، وقتل جندي معتد أو مستعمر مسلح انتزع بيتا من أصحابه، وسرق أرضا من مالكيها فهذا إرهاب يضج له الغرب.

ضباط إسرائيل، حسب تعريف اتفاق جنيف، ومعاهدة جنيف ولجنة حقوق الإنسان، جميعا مجرمون ضد الإنسانية، ولا يوجد في الغرب مسؤول يتجرأ على قول هذه الحقيقة، بل يدافع عن إرهاب إسرائيل غير المسبوق، ويتهم الضحايا بأنهم صرخوا من الألم.

وإذا أراد العالم أن يعرف، ومسئولو الأنظمة المضطهدة للشعوب المستعمرة سبب كره الشعوب لهم، ليسألوا أنفسهم السؤال.

من هو مصدر الإرهاب الدموي؟

جيوشهم التي احتلت الهند، وفيتنام، والصين، والجزائر، ومصر وفلسطين، والعراق وسوريا، والأردن والخليج العربي والسودان ودول أفريقيا وغيرها، أم شعوب تلك البلدان التي كانت تدافع عن نفسها، وعن حقها في الحياة، وحقها في ثروات بلادها المنهوبة وأسواقها التي يتحكمون بها.

لنتذكر هنا حرب الأفيون، وحرب ضريبة الشاي في أميركا.

أما أن يسود العالم مقياس واحد للجميع، أو لا مجال الا أن يحل هذا التناقض المصيري بحر من الدماء.

أن قتل طفل جريمة لا تغتفر، فكيف يغفر الغرب ويسكت ويؤيد حرب إسرائيل لقتل كل أطفال فلسطين. ان لم تصدقوا أحيلكم الى صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية التي نشرت مقابلة مع قناص إسرائيلي حيث شرح للصحيفة كيف كان يتلذذ حين يقتل الأطفال، وكان يراهن الجنود من يقتل الطفل في غزة أسرع من القناص الثاني.

اسألوا الصحافة الإسرائيلية عن ضابط الحاجز الذي يفصل القدس عن قرية حزما، الذي كان يغتصب الفتيات الفلسطينيات المتوجهات للعمل من اجل لقمة العيش، وكيف عاشت النساء تحت هذا رعبا من بطش الضابط لعائلاتهم، فسكتن. إلى أن برزت امرأة جريئة، وأبلغت أهل البلد الذين قدموا شكوى فنصب للضابط كمين واعتقل وهو يمزق

ثياب امرأة فلسطينية أراد اغتصابها.

هذا هو ما زرعه الغرب الاستعماري في بلادنا. عندما يدافع احد عن نفسه وأرضه وبيته وأطفاله يصرخون في وجهه: أنت إرهابي.

ألا يكفي ما رآه العالم من جرائم ترتكب ضد قافلة الحرية القافلة التي كونها ناشطين من أنحاء العالم لتزويد أطفال غزة المحاصرين بالغذاء والدواء.

هل سبق أن شاهد إنسان مثل هذه الجريمة وسكت عليها ؟

مـاذا يجـري في هذا العالم ؟ الولايات المتحدة ترفض إدانة هـذا الإرهاب. وفي الواقع لا تسـمه إرهابا، وتريد من المجرم الذي ارتكب هذه الجريمة البشعة أن يحقق في جريمة مع نفسه.

انه المضحك المبكي.

نذكـر هنا أيضا الوعد الـذي أطلقه لورد بلفور البريطاني: فمقابل حفنه من المال دفعها روتشـيلد، وغيره للحكومة البريطانية وعد اللورد بلفور (الذي لا يملك فلسطين) اليهود بإعطائهم دولة على ارض فلسطين ذلك في نوفمبر من العام ١٩١٧.

كل هـذا كان يتذكره وديع حداد كسياسـة اسـتعمارية كان لها حتـى وفاته ترجماتها واستمرت ترجماتها العملية بعد وفاته.

بمـا انه الطـرف الضعيف في الصراع، رسـم إسـتراتيجية وتكتيكا لـضرب العدو القوي والمدعوم بترسانة الغرب في نقاط ضعيفة ورفع شعار "وراء العدو في كل مكان" ليشتت قـواه ويوزعها وربط النضال التحرري الوطني، بنضـال الفصائل الثورية في المجتمعات الرأسـمالية لتـؤدي دورها الاممي بما يخـدم أهدافها في ضرب أنظمتها المسـتغلة لهم ولشعوب العالم الثالث.

قبل حرب أكتوبر التي عبر خلالها الجيش المصري قناة السويس إلى ضفتها الثانية، وطهر كافة المواقع، واندفع يطهر سـيناء، طلب كولونيل نوسـكوف وهو مسـؤول المخابرات السوفيتية في المشرق العربي، رؤية الدكتور وديع حداد لأمر هام وعاجل.

وأجريت الاتصالات اللازمة، فاهتم بالأمر القائد وديع حداد اهتماما كبيرا.

ورتب الموعد مع نوسكوف.

كان الاجتــماع قصيرا، ابلغ فيه نوســكوف وهو ينظر إلى الدكتــور وديع حداد من وراء نظارة غامقة اللون، أن الرفيق اندرويوف يرغب في لقاء الدكتور وديع حداد في موسكو.

رحب الدكتور وديع حداد على أن يتم ترتيب ذلك في وقت لاحق.

وتم ترتيب رحلته إلى موســكو. كانت الرحلة قد ألبســت غطاء إجازة عائلية. فتقرر أن يسافر الدكتور وديع، وزوجته سامية وابنه هاني، كان آنذاك في العاشرة من عمره.

كان الاستقبال مريحا.

فقد كانت السيارات تنتظر فأخذت العائلة مباشرة خارج المطار.

في الجنــاح الذي حجز له في فندق لا يؤمه الأجانب، خير وديع حداد بين الفندق، وفيلا في تلال لينين. فكان جوابه أن العائلة ســتتجول لتشــاهد موســكو بينما يفضل هو أن يباشر العمل.

كان اللقــاء الأول بين اندروبوف والقائد وديع في شــقة صغيرة، هادئة، لا يوجد فيها الا امرأة كبيرة في العمر، انيقه ببســاطتها تحاول أن تلبي بصمت واحترام طلبات الضيفين الكبيرين. ولم تكن طلباتهما كثيرة.

كانت الجلسة الأولى نوعا من التعارف.

كان اندروبوف يبتســم طوال الوقت، وكأنه مبتهج برؤية وديع حداد. كان وديع حداد مبتهجا أيضا كونه نجح في فتح باب علاقة لا شك ستكون مفيدة للعمل.

كان وديــع يتوقع أن يطرح معه اندروبوف وقف عملياتــه ذات الطابع الصدامي جدا كخطف الطائرات، الا أن اندروبوف لم يشر أطلاقا لهذا الموضوع.

في اللقــاء الثاني تحدث وديع عن طبيعة الصراع وطبيعة العــدو وعلاقته بالغرب، ومدّ الغرب له بالسلاح والذخيرة والمتقدم منها.

واختصر له ما ترتكبه إسرائيل من جرائم ضد شـعبنا وعن ضرورة التصدي والمواجهة. كان اندروبوف يهز رأسه موافقا طوال الوقت.

ولخص اندروبوف بكلام مقتضب موقفه المؤيد لحقوق الشـعب الفلسطيني، وحقه في الدفاع عن نفسه، ولم يعلق على استراتيجية وديع حداد لكنه قال:

«لا بد من أن يشعر المعتدي بألم العدوان»

وحذر وديع من المتطرفين المزاودين داخل في صفوف الفلسطينيين:

«من تجربتنا الطويلة في الأحزاب الشـيوعية وحركات التحرر. حيثما يبرز «سوبر يسار» لا بد من رفع علامة سؤال حول من يرفع تلك الشعارات «السوبر يسارية» وثبت لدينا أنهم في اغلب الحالات كانوا مرتبطين بجهات معادية».

لقاء اندرسون

في صيف عام ١٩٧٣ كانت سـخونة الصـدام الدامي بين الفلسـطينين والاسرائيليين قد ارتفعت الى حد كبير.

فقد اغتالت اسرائيل بقرار من غولدا مئير غسان كنفاني في العام ١٩٧٢ وفي نيسان ١٩٧٣ أغتالت القادة الثلاث كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار في عملية شارك فيها عملاء مزروعون في لبنان.

فقد تسـللوا من البحر مدعومين باعداد من العملاء على البر الى شارع فردان وهاجموا مسـاكن القادة الثلاث واغتالوهـم بالرصاص وهاجمت قوات خاصـة منطقة وحاولوا الوصول الى مكتب "١٧" اي مقر الرئيس ياسر عرفات: واستنفرت كل القوى.

واجرى رجال الـ كي جي بي. اتصالا لتسليم رسالة لوديع حداد.

وتم الاتفاق ان يقوم مندوبوهم في عدن بتسليم تلك الرسالة هناك.

وكانت الرسالة دعوة موجهة للدكتور وديع حداد للذهاب الى موسكو لملاقاة اندروبوف.

وبالفعـل تم تحديـد الزمان و رتب وديع حداد سـفره وكان على شـكل زيارة عائلية سياحية لموسكو.

(الفصل السادس عشر)

شخصيات البطل التي خلقها وديع حداد

وديع حداد والحركة الساندنتستيه (نيكارغوا)

باترك ارغويللو

استشـــهد باتريك ارغويللو برصاص رجال الأمن الإسرائيـــلي، الذين كانوا على متن طائرة العـــال بعد محاولة باترك وليلى خالد خطفها عام ١٩٧٠، وهي طائرة من عدة طائرات خطط لخطفها إلى مطار الثورة في صحراء منطقة الزرقاء في الأردن.

قام الطيـــار الإسرائيلي بعملية غطس جوية سريعة، مما افقـــد الطائرة توازنها واختلت نسبة الأوكسجين داخل الطائرة وازداد الضغط.

فيـــما الطاقم يضع كمامات، فقد باترك ارغويللو توازنه مما ســـهل على الأمن الإسرائيلي أصابته بالرصاص إصابات قاتلة، ومكن الطاقم والركاب من الإمساك بليلى خالد قبل أن تحاول فتح قنبلة كانت بحوزتها.

كان وديع حداد باســـتمرار يعطي التعليمات بعدم قتل أو جرح المدنيين. كان ضد هذا، وكان دائما يسعى إلى التلويح بالقوة للإفراج عن آلاف المعتقلين الذين يسامون العذاب في سجون إسرائيل دون الاضطرار إلى استخدامها.

لكن هذه السياسة لم تكن تعني عدم استخدام القوة عند الضرورة بل ضرورة استخدامها لإنجاح العملية.

مثلما حصل اثناء عملية الأوبك في قاعة الاجتماعات، بعد أن سيطر الفريق على القاعة، واعتقـــل وزراء نفط أوبك حاول احد حراس الوزيـــر العراقي تايه عبد الكريم أن يطلق النار، فما كان من المقاتلة الالومانية الا أن قتلته على الفور بطلقة واحدة من مسدسها.

باترك ارغويللو استشهد على طائرة العال عام ١٩٧٠ واعتقلت ليلى خالد.

واعتبر باترك شهيد الثورة الفلسطينية، وأقيم له نصب في بلده نيكاراغوا وربطت عائلته بالجبهة الشعبية علاقات حميمة حتى الان.

من هو باترك ارغويللو؟ وكيف انضم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؟

باترك ارغويللو نيكاراغوي الأصل، وأمريكي الجنسية، تخرج كطبيب من الولايات المتحدة الأمريكية.

ولد باترك في الولايات المتحدة في آذار عام ١٩٤٣ لوالد نيكاراغوي وام أمريكية.

عاد والده وعائلته إلى نيكاراغوا عندما كان عمره ثلاث سـنوات وحطت العائلة رحالها في مدينة (مومونومبو) (MOMOTOMBO)

ثم تنقلت العائلة بين لاباز (وسط) وماناغوا العاصمة.

كانت الحركة الثورية النيكاراغويه في أعلى درجاتها نضالا ضد الدكتاتور سوموزا.
(ANISTASIO SOMOZA GARCIA)

وقام الثوريون بنصب كمين له واغتالوه في العام ١٩٦٥.

لكن لويس وانستازيو (ابني سوموزا) شنا حملة بطش وإرهاب وقتل جماعي في جميع أنحاء نيكاراغوا لتصفية الحركات الثورية التي اعتبرت مسؤولة عن اغتيال سوموزا.

نتـج عن حملات البطش والانتقام هذه خروج واسـع النطاق لعائلات نيكاراغوا بكامل أفرادها خشيه انتقام لويس وانستازيو أبناء سوموزا.

فغـادرت العائلـة (عائلة ارغويللو) إلى لوس انجيلوس في الولايـات المتحدة، وكان عمر باترك آنذاك ثلاثة عشر عاما.

وقد حفرت في ذاكرة باترك مناظر الفظائع التي ارتكبها أولاد سوموزا ضد النيكاراغويين.

بعد الاسـتقرار في لوس انجيلوس (كاليفورنيا) التحق باترك بمدرسـة ذات مستوى رفيع هي الكلية العليا بلمونت. (BELMONT SENIOR HIG SCHOOL)

مع نموه في العمر ازداد باترك تعمقا في قضايا الحرية وحقوق الإنســان فقد شــاهد بأم عينــه طلابا يعذبون ويجرحون ويقتلون. وبقيت هذه الصورة تعصف بمخيلته، وتتجدد مع الاخبار التي ترد عن ازدياد البطش السوموزي في بلدة نيكاراغوا.

ككل الشــباب في الحركــة الطلابية الثورية امتلأ عقل باتــرك بالرغبة في مقاومة البطش والنضال من اجل الحرية والقيم.

ككل الشــباب في عمــره، أثارت الثورة الكوبيــة وانتصارها أحلاما جميلــة في أذهانهم، والتوق للحرية وكرامة الإنسان.

فقد كانت دول أميركا اللاتينية والوســطى مزارع للرأسمال الأميركي، وتحولت إلى مناطق مغلقــة لهم بفضل أنظمة مثل نظام ســوموزا تدعمها الولايــات المتحدة للحفاظ على مصالح الطبقة الغنية الحاكمة.

في تلك الفترة (أوائل السبعينات) افتتنت جميع الأجيال الشابة بشجاعة الثوار الكوبيين، وراقبــوا عــن كثب تعارض وجهتــي نظر فيدل كاســترو، وتشي غيفارا. وانحــاز اغلبية اللاتينيــين لأفكار تشي غيفارا التي كانــت تنقلهم نظريا من مقاعد المتفرجين والمعجبين بالثورة الكوبية إلى مواقع المهاجمين والمدافعين.

إلى ساحة المعركة لمواجهة الأنظمة الدكتاتورية في بلادهم

(أنظمة مزارع الموز والماروانا) لحساب أثرياء الولايات المتحدة.

بعــد تخرجه من جامعة لوس انجيلوس حصــل باترك على منحة من صندوق فولبرايت لدراسة الطب في تشيلي في العام ١٩٦٧.

كان ذلك في الوقت الذي بلغت فيه الحملة على أشدها ضد الطغاة في التشيلي، والتحضير للانتخابات التي خاضها القائد الاشتراكي الليندي في تشيلي.

تأثر باترك ارغويللو كثيرا في العام ١٩٦٧. فقد كان انسانا رقيقا وحضاريا، كما كان أبوه، وكانت أمه.

كان حضاريــا، ويرغــب بتغيير هذا العالم، من عالم تأكل فيه الحيتان الســمك والحيتان

الصغيرة، ولا يبقى الا الحوت الكبير.

ففي تشيلي كان الاشتراكيون يشنون حملة دعائية لسلفادور الاندي وعانوا الأمرين على أيدي الطغاة.

وفي نيكاراغوا ازداد اجرام أبناء سوموزا ضد الساندنيين. (SONDINISTANS)

واغتالت عصابات البطش تشي غيفارا في بوليفيا، واحتلت إسرائيل ما تبقى من فلسطين وسيناء والجولان.

كان العامل المشترك في كل هذه الأحداث التي هزت باترك، الولايات المتحدة التي كانت تدعـــم الطغاة في أميركا اللاتينيـــة وتآمرت لاغتيال غيفارا، ومـــدت إسرائيل بكل الدعم لترتكب الفظائع ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

في كاليفورنيا (لوس انجيليس) كان لباترك أصدقاء من الطلبة من أصل فلسطيني.

وفي تشـــيلي كان التشيليون من أصل فلسطيني من أكثر مؤيدي سيلفادور الليندي، وان ساعد بعض الأثرياء منهم أعداء الليندي.

زاده هذا إصرارا على العمل بجدية دفاعا عن الحرية وحقوق الإنســـان. فقرر ان يتوجه من تشيلي إلى بلده نيكاراغوا ليساعد الحركة الساندينيستية. هناك كانت تنتظره مأساة جديدة:

فمن ناحية كان نظام سوموزا يلاحقه لاعتقاله، ومن الناحية الأخرى كان الساندينستيون لا يثقون به ويشـــكون بســـبب خلفيته الأميركية بأنه حاول الاندساس لصالح المخابرات الأميركية.

كارلوس فونسيكا (CARLOS FONSECA)

رئيس الساندينيســـتيين آنذاك رفض التعاون معـــه، وأمر بإبقائه بعيدا عن التنظيم، وفي عام ١٩٦٩ طرد الســـوموزيون باترك من نيكاراغوا فتوجه إلى جنيف حيث لجأ عدد من النيكاراغويين الذين اضطهدهم نظام سوموزا.

في جنيف التقى باترك بمجموعات من النيكاراغويين الذين كانوا يناقشون السبل العملية للنضال. وكان معظمهم من المثقفين والمتعلمين.

كانوا على اتصال في جنيف ببعض الفلسطينيين، منهم المرحوم الدكتور منذر عنبتاوي.

قرروا أن يتدربوا عسكريا ليكونوا قادرين على المشاركة الفعلية. وفي الأردن (نهاية ١٩٦٩ بداية ١٩٧٠) بدأوا التدريب في معسكر أقيم خصيصا للأجانب. ذلك في مزرعة الكردي – على حافة نهر الزرقاء (حيث أقيم سد كبير الان).

ورغم عدم معرفتهم ببعضهم البعض مرّ في نفس المعسكر في نفس الوقت كارلوس وستة من أفراد الفيالق الحمر الايطالية (BRIGADA ROSSA)

وهولنديين ونمساويين، كانت حالة باترك ورفاقه مختلفة عن حالة القادمين من النظم الرأسمالية فهم حركة تحرر والتعاون معهم هو بانخراط التحالف الدولي في صراعهم التحرري ضد النظام الرأسمالي العالمي.

لكن باتريك ورفاقه قرروا أن ينالوا الخبرة العملية في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قبل التوجه لمشاركة رفاقهم في نيكاراغوا في النضال ضد النظام السوموزي.

في نهاية عام ١٩٧٠ توجه رفاق باتريك إلى نيكاراغوا، كان هو قد استشهد في أيلول عام ١٩٧٠ في عملية اختطاف طائرة العال في أجواء لندن.

كان من المفترض أن يصعد لطائرة العال أربعة من المقاتلين. ليلى خالد ومقاتلان فلسطينيان، وباتريك ارغويللو، لكن المقاتلين منعا من الصعود إلى الطائرة، بينما تمكن باتريك وليلى خالد من الصعود للطائرة كزوج وزوجة من هندوراس.

كان عليهما أن ينفذا تعليمات وديع حداد دون المساعدين الآخرين.

عندما تقدم باتريك (الأنيق) من مقصورة القيادة هبّ رجال الأمن وانذر الطيار الذي بدأ يضغط بالطائرة هبوطا اضطراريا عنيفا افقد الركاب التوازن وعانوا من نقص الأوكسجين. ساعد هذا الأمن الإسرائيلي الذي فتحوا نيران مسدساتهم على باتريك الذي قتل فيما كانت ليلى خالد قد امسك بها الركاب والأمن بعد أن انهالوا عليها ضربا ولكما.

لم يتمكن باتريك من اطلاق أكثر من خمس رصاصات على رجال الأمن، وأصاب احدهم كما أصاب مضيفا، كان رجل امن مسلح، تمكن من جرح اثنين من رجال الأمن وسقط قتيلا.

هبط الطيار في مطار هيثرو، وسلمت ليلى خالد للأمن البريطاني بعد مشادة بين الإسرائيليين والبريطانيين، ذلك بسبب إصرار إسرائيلين على اخذ ليلى خالد إلى تل أبيب كمعتقلة لدى إسرائيل. وأصر البريطانيون على تسليمهم ليلى خالد لان هيثرو ارض بريطانية، وتخضع للقانون والسلطة البريطانيتين.

رصاصات الأمن لم تقتل باتريك في بداية الأمر بل أصيب بجراح كانت تنزف.

وبعد أن توقفت الطائرة، وحسم الخلاف أطلق رجال الأمن أربع رصاصات أخرى على باتريك ارغويللو الذي أصبح في عداد الموتى.

الحقيقة هي أن سيارة الإسعاف التي نقلت باتريك وليلى خالد إلى المستشفى، هي التي شهدت موت باتريك، فقد أجهزت رصاصات الأمن التي أطلقت عليه بعد الإمساك به جريحا على ما بقي فيه من حياة.

باتريك ارغويللو، ذلك الإنسان الحساس والرقيق، حاول أن يخفف من آلام الإنسان كطبيب. لكنه اكتشف أن المرض الحقيقي والخطير الذي يهدد حياة البشر، هو الجرائم ضد الإنسانية، استغلال البشر واستعبادهم، تحويل الأحرار إلى عبيد.

اكتشف أن جشع الرأسماليين وشرائهم لطغاة يحكمون نيابة عنهم، يقتلون معهم ونيابة عنهم، يعذبون من هم على الأرض ويمتصون دماءهم ويسخرون جهدهم وعقلهم، هم المرض الحقيقي والخطير.

لذلك قرر باتريك ارغويللو أن يخوض المعركة الحقيقية ضد المرض الحقيقي.

معركة لا حياة دون حرية

لا حياة دون حقوق إنسانية

لا نهوض لشعب وانتصاره على الجوع والمرض والعطش دون عمل ذي قيمة تعطي

الإنسان قيمته الحقيقية.

وفي النهايــة كان باتريك مقاتلا مــن اجل الحرية، مقاتلا من نوع آخر، أفكاره ســامية، مشاعره شفافة.

لقد كان مقاتلا ذا مثل عليا ضد الإرهاب الحقيقي، إرهاب الدول والأنظمة للشــعوب، ومدافع عن نفسه وحقوقه وهي الدفاع عن النفس والحقوق البشرية.

لقد أســس باتريك هــو ومجموعته الثورية علاقــات وثيقة بين وديع حــداد والحركة الساندينيستية، وساهم وديع حداد في تدريب وتأهيل العشرات من كوادرهم استشهد في ساحة القتال في نيكاراغوا عدد كبير منهم أمثال:

JUAN JOSE QUEZADE (1973)

PEDRO ARAUZ PALACIOS (1977)

CARLO ALBINO (1976)

FREDERICO SANDOZ (1977)

وخوان خوسيه، استشهد عام ١٩٧٣ في نيكاراغوا

بيدرو بالاسيوس (١٩٧٧)

كارلو البينا (١٩٧٦)

فريديريكو ساندوز (١٩٧٧)

كرّم الفلســطينيون باتريك ارغويللو وعدوه شــهيدا وبطلا من أبطال فلسطين، ودعيت والدته وأقيم حفل التكريم أمامها وسلمت الشهادات التي يعتبر فيها الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية باتريك ارغويللو شهيدا وبطلا.

لم يكن لباتريك أبناء لتسلمهم تلك الشهادات فسلمت لوالدته.

باتريــك الطبيب الوســيم قاتل من اجل حرية الإنســان وســقط بيد إرهابيين ســاموا ويسومون الشــعوب عذابا ويسرقون قوت الفقراء وأرضهم وبيوتهم ويهجرونهم عرقيا من ديارهم.

(الفصل السابع عشر)

كارلوس أو سالم

في وصف ايليتش راميرز سانشيز

قال له الدكتور وديع حداد بلهجة القائد الكبير الذي يعاقب ضابطا من ضباطه فشـل في تنفيذ لأوامره في الميدان:

«اذا كنت تريد أن تنشـئ تنظيمك الخاص، فافعل وسوف أساعدك إذا أردت المساعدة، لكـن عليك أن تعلم أن المـال لا يصنع تنظيما ولا يخلق قائـدا ولا يزودك بعقل مدبر ومخطط».

كان صوت القائد وديع حداد مرتفعا ومشبعا بالغضب، لدرجه انه سمع خارج كوخه في ذلك المعسكر في محافظة آبين في اليمن.

كان كارلوس قد عاد بعد قضاء فترة طويلة اثر فشل عملية، أوبك التي خطط لها الدكتور وديع حداد وكلف كارلوس (ايليتش راميرز سانشيز) بقيادة المجموعة المكلفة بتنفيذها.

عاد كارلوس إلى عدن بعد أن غادر الجزائر حيث اسـتضافه الجزائريون ومروا بطرابلس ليبيا حيث التقى بهم الرئيس معمر القذافي.

اخضع كارلوس للتحقيق لعدم تنفيذه تعليمات المعلم وديع حداد.

لكن المبررات التي طرحها كارلوس لم تكن مقنعه للدكتور وديع حداد، وخرج باسـتنتاج يتيح المجال لاحتمالين:

الأول: هو أن كارلوس تراجع جبنا عن تنفيذ تعليماته الصارمة.

والثاني: هو انه تسلم مبلغ من المال مقابل التوقف عن تنفيذ تعليماته التي كانت تبدأ بإعدام الوزير الإيراني، ان لم تنفذ الشروط المعلنة.



کارلوس (ایلیتش رامیرز سانشیز)

-هـي الإفـراج عن الأسرى ودفع مبلغ كبـير من المال كتعويضـات لأسر الذين ارتكبت بحقهم إسرائيل جرائم يندى لها الجبين.

قلب الدكتور وديع الأمر وواجه كارلوس مباشرة. بدا على كارلوس نوع من الخجل، وراح يجيب على أسئلة الدكتور وديع بصوت منخفض وهو يحدق في الأرض.

كان من الممكن أن ينال كارلوس حكما بالإعدام رميا بالرصاص أو أن يحتجز.

فأمـر الدكتور وديع بإطلاق سراحه وفصله من المجال الخارجي أي من فرع العمليات الخاصة التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحت قيادة الدكتور وديع حداد.

كان مقدرا لعملية الأوبك أن تنجح في جمع تعويضات لأسر القتلى الفلسـطينيين بقيمة مليار دولار، وان يفرج عن الأسرى الفلسطينيين لكن المعلومات التي وصلت لقيادة فرع العمليـات الخاصة هي أن الأمر انهي بصفقة دفع فيها اثنين وخمسـون مليون دولار، جـزء منها كان لتغطية مصاريف وهي عشرة ملايين دولار، واثنين وأربعين مليون دولار دفعت لكارلوس الذي أصبح ساعده الأيمن الألماني كلاين، عضو الخلايا الثورية الألمانية.

واسـتخدم كارلوس عدة مصارف (بنوك) بعضها في أمريـكا اللاتينية وبعضها في بيروت وعمان وخزن كمية من النقد في برلين الشرقية، وبلغراد وبودابست.

واحتفـظ لاحقـا بكمية من المال تـوازي ثلاثة ملايين دولار مع فلسـطيني ترك المجال الخارجي والتحق بكارلوس وبقي يدير محطة العمل في عدن.

منـذ تلـك اللحظة بدأ كارلوس يتحـرك لبناء تنظيم. كان قد اسـتفاد إلى حد بعيد من تجربته العملية في فرع العمليات الخاصة، وأصبح قادرا على الإمسـاك بخيوط تساعده في صنع وثائق السفر والتخفي والتنقل بطرق يصعب تتبعها.

وأغدق كارلوس المال على عمله واتباعه.

لكنه فشـل في أقامة تنظيم في أمريكا اللاتينية، وفشـل في التخطيط لعمليات ذات أفق سـياسي أو بعد جماهيري. وأصبح همه الأسـاسي هو واتباعه أن يفلتوا من الدائرة التي أحيطوا بها ملاحقة من قبل كافة أجهزة مكافحة الإرهاب وتحالفاتها في المنطقة العربية

سواء أكانت تحالفات معلنة أم مكتومة.

كانت الأموال تصرف دون حســـاب، وأصبحت إجراءات الحماية وتفادي اكتمال الدائرة حــول أعناقهم مكلفه جدا. خاصــة عندما كان الأمر يتعلق بمآويهــم الأوروبية، كلندن وباريس وفينا وجنيف وزيورخ. لم يكن الأمر متعلق بكارلوس الذي كان يفضل المنطقة العربية، بل باتباعه (خاصة الأوربيين).

في فندق مترو بول ببرلين الشرقية التقيت به آخر مرة، وكان مصادفة، دون ترتيب. كنت خارجا من المستشــفى حيث أجريت لي عمليــة جراحيه في الأذن التي أعطبتها إسرائيل عام ١٩٧٢.

عانقته وعانقني فقد كانت تربطنا صداقه حميمة، بعيدا عن العمل والعمليات، وجلسنا مدة ساعتين تحدثنا فيها مطولا حول ما حصل وما سيحصل.

طلب مني في نهاية اللقاء أن أساعده، وان أتعاون معه.

فضحكت وعانقته، وأجبته بأدب رافضا:

«أنا الان تحت العلاج يا سالم»

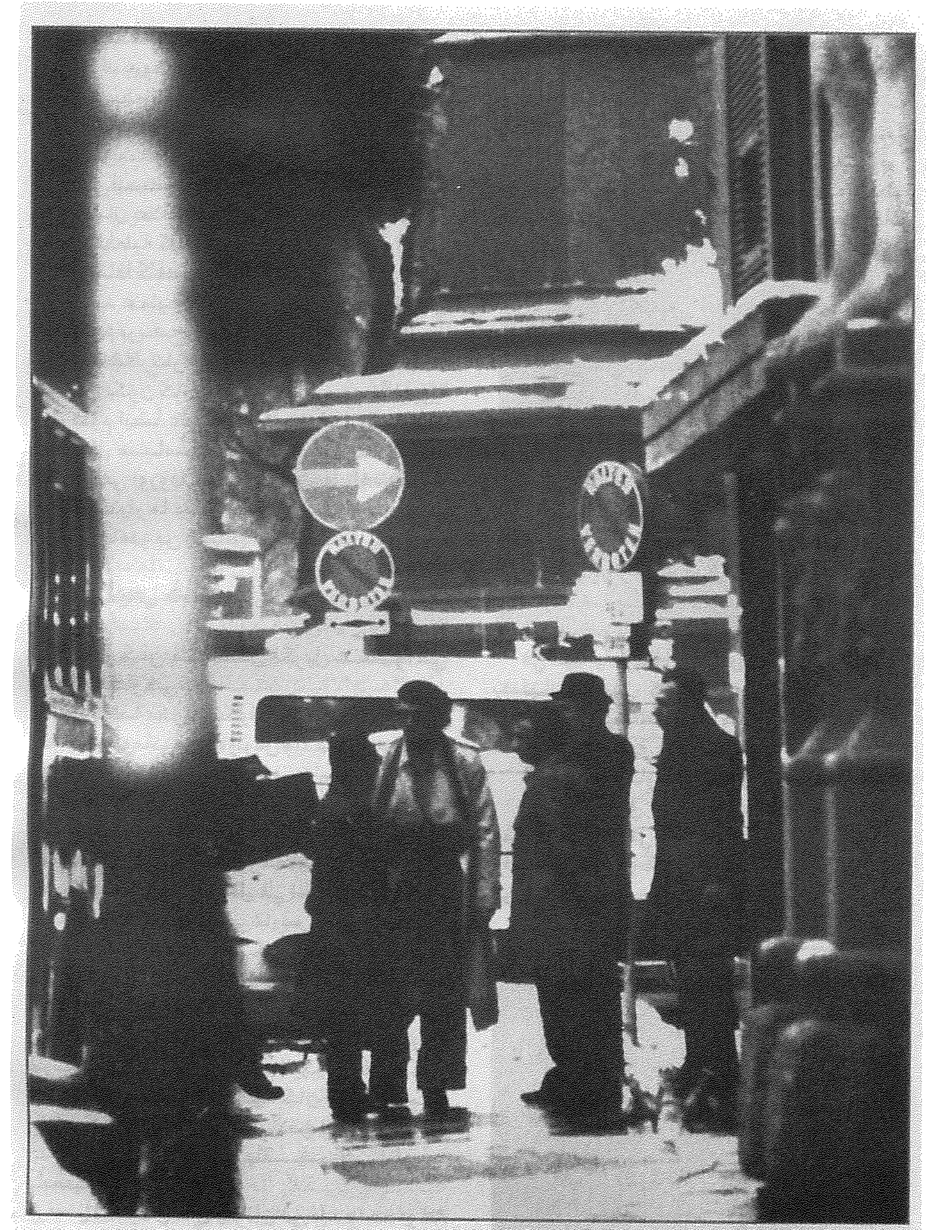
غــادرت برلين إلى بيروت، ولم أره منذ ذلــك الوقت رغم أنني كنت ملما بأخباره واعرف عن تحركاته ومغامراته المخملية أو القاسية.

في بدايــة عــام ١٩٧٠ التقيت بــه لأول مرة عندما وصل إلى مكتبــي الكائن في كورنيش المزرعة في بيروت الغربية.

بدا لي فتى صغير الســن، وجهه ابيض وخلا من الشــعر الا بعض هنا وهناك تركه على سجيته، ربما ليعرف عن نفسه بأنه شاب وليس فتى صغير السن.

بدا لي طويل القامة رياضي الجسم، وسلم سلام رجل يريد ان يقول بأنه مقاتل.

طلبت منه الجلوس. ابتسم وجلس وكان يلبس ثيابا تصلح لمقاتل متوجه للمعركة.



كارلوس في فيينا خلال عملية «أوبك».

ابتسمت قائلا:

أهلا وسهلا، أنت تزور مجلة الهدف فماذا تريد من مجلة الهدف؟

ابتسم ابتسامه ضمنها كل ما يستطيع من محبة وإعجاب ليكسب ود محدثه وقال:

«لا أريد أن أكون صحفيا، أريد أن أقاتل لتحرير فلسطين»

- من أين أنت؟ سألت.

- فنزويلا.

ـ لماذا اخترت أن تقاتل في فلسطين؟

رحنا ندردش بين سـؤال وجواب حول الصراع والقتال والمقاومة والصهيونية والاستعمار الاستيطاني.

قلت له: أنت شاب صغير السن.

- ولدت في عام ١٩٤٩ فأنت لست اكبر مني بكثير.

لم اعلق.

تابع:

كان ذلك في كاراكاس أسرتي أسرة مسيحية. وانفصلت والدتي عن والدي لخلاف بينهما.

والدي كان احد كوادر الحزب الشيوعي الفنزويلي ومعجب جدا بلينين. وأسماني اليتيش تيمنا بلنيين (فلاديمير ايلتيش لينين).

وأطلق على أخي اسم لينين.

وعندمـا انفصل أبي عن أمي غادرت أمـي كاراكاس إلى لندن ورافقتها أنا وأخي، وهناك دخلنا مدرسه لمتابعة الدراسة.

كانت أمي ترفض قرارات بانضمامي وأخي إلى الشبيبة الشيوعية الفنزويليه. كانت تصرّ



كارلوس (الثاني من اليمين) في مطار الجزائر التي انتقل إليها من فيينا مع الرهائن.

على إنهاء الدراسة حتى نتمكن من اختيار الطريق الذي نريده.

لكننا انضممنا الى منظمة الشبيبة الشيوعية (الكلاسيكية).

في لندن التحقنا بمدرســة متواضعة لاستكمال دراستنا. تلك كانت ستافورد هاوس تيوتو ريال كولدج. كلية بيت ستافورد للتعليم.

(STAFORD HOUSE TUTORIAL COLLEGE)

تلك المدرسة كانت في منطقة كنزنغتون بلندن.

تابــع: في عام ١٩٦٨ حاول أبي أن يقنع أمي وكانا مطلقين بالموافقة على ذهابي أنا وأخي لينــين إلى باريس للالتحاق بجامعة الســوربون. الا أنها رفضــت. ففي ذلك العام كانت باريس تحترق بانتفاضة شعبية عارمة، وكادت أن تتحول إلى كومونة جديدة.

في نهاية الأمر رسى القرار بينهما على إرسالي إلى جامعة لومومبا في موسكو، وهي جامعة أسســها الســوفيت لتعليم الوافدين مــن دول العالم الثالث وحــركات التحرر الوطنية والأحزاب الشيوعية في العالم.


زوجة كارلوس الالمانية كوب

وقال لي ايليتــش: تعرفت في جامعة لومومبا على عدد كبير من الشــباب القادمــين من حركات تحرر مختلفة، ومنهم فلسطينيين.

أنــا امقت الشــيوعية الكلاســيكية: قالها وهو يحــرك يديه كأنه يبعدها عن نفســه. ولا اعتقد أن الجيفارية أو التروتســكية تعطي حلا لمشــاكل الفقراء والمضطهدين في العالم.

لذلك لا بدّ من طريق آخر. أعجبني فكر الجبهة الشــعبية أو الاستراتيجية التي تطرحها لمواجهة معسكر الأعداء.

لذلــك قررت الانضمام لكم حتى لا أبقى في إطــار المثقفين. أريد أن أقاتل العدو: وتابع ايليتش:

جئــت مباشرة إلى بــيروت، ومجلة الهــدف لان رفاقكم في جامعــة لومومبا هم الذين أرشــدوني، لقد طردوني من الجامعة لأنني شــاركت في تحرك طلابي ضد أوضاع الجامعة السيئة.

ان السوفيت يتصرفون كما تتصرف الأنظمة المستغلة تماما. فضربوا وطردوا عددا منا.

أنا كنت ضمن من طردوا، لكن قراري بالالتحاق بكم لا علاقة له بطردي. كنت انوي أن افعل هذا حتى لو لم يطردوني.

لم أكن أريد العودة لعائلتي.

كنت أصغي بانتباه لكل كلمة، وأدون بعض الملاحظات.

كان حيويــا في حديثه. كما هي عادة الشرق كان يســتخدم كفيه وعينيه وتعابير وجهه كجزء من حديثه.

كان يهب واقفا أحيانا ليعبر عن حجم ما يقول، وأحيانا يضحك بالقهقهة، وأحيانا يبتسم أو ينظر بحيث ترافقه ابتسامته.

وبقيت صامتا.

توقف هو عن الكلام فجأة وقال لي وعيناه تضحكان:

أنا كثير الكلام أليس كذلك؟

ابتسمت وقلت: لا، شرحك كان ضروريا.

ونظرت اليه مليا:

اســمك ســالم، وانسى ايليتش، حفاظا على أمنك. فأنت في بيروت الان. اعتقد انك تدرك أن خطر القتال في هــذه المنطقة يتضمن الموت أو الإصابة البليغة. انه رصاص حقيقي، وليس رصاص مسارح كننزتغتون.

ابتســم وهز رأسه وأغلق قبضته اليمنى، وشد ثم أغلق قبضته اليسرى وشد. كأنه يريد أن يقول انه سيواجه هذا الوضع وسيتحمل المخاطر.

قلت له: لا بد أن الرفاق في جامعة لومومبا أعطوك شيئا مكتوبا أليس كذلك؟

ـ نعم أعطوني، ولكن هل هذا مهم؟

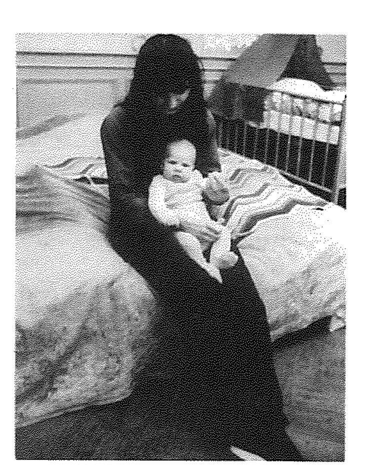
ونظر الي نظرة خبث وابتسم.

ـ قد تكون ضرورية عند الذين ستقابلهم.

فقــد انتهت مقابلتــك الصحفية في مقر مجلة الهدف وعليــك أن تقابل الذين يعرفون كيف يدلونك على ميدان القتال.

نحن هنا لا نعرف شيئا عن هذا.

صافحته متمنيا له النجاح وطلبت من سائق سيارة "الهدف" أن يأخذ الضيف إلى مخيم شاتيلا حيث مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.



مجدلينا كوب وبنتها من كارلوس

وقــف كارلــوس وقفــه اســتعداد كمصــارع ثــيران (الماتادور).

في ليل ذلك اليوم قرع باب بيتي قرب فندق الكمودور. نظرت من عين الباب فرأيت وجه ســامي وهو مدير إداري في مكتب الجبهة الشعبية العسكري.

فتحت الباب لأرى وراءه سالم.

ـ أهلا وسهلا. خير؟

قال ســامي: أصر الضيف عــلى زيارتك. ولا أخفيك لا يوجد احد لدينا قادر على الحديث معه فلا احد لدينا الان يتكلم الانكليزية أو الاسبانية أو الروسية.

فقررت أن أوصله لك. أنا أسف لأننا لم نتصل قبل مجيئنا.

ساد صمت كنت أفكر: لماذا ؟ هل هي اللغة؟

سألت: هل جلستم معه، وتحدثتم إليه قبل ذلك؟

قال: نعم. ويحمل رسالة من رفاقنا في موسكو. انه آمن.

طلبت منهما الدخول.

قال ســامي: هل يمكن له أن يبقى الليلة هنــا. لأننا لم نتخذ اي ترتيب بعد. نظرت إليه مستهجنا. دون أن أتكلم.

فأجاب بسرعة: هذا سؤال فقط اذا كان غير ممكن سآخذه إلى مكان آخر.

نظرت إلى سالم الذي كان يتابع الحديث محاولا استيعاب ما يدور.

وبكل كياســة وذكاء قال سالم لي بالانكليزية: اعتذر على هذا لكن لا يوجد احد استطيع أن أتكلم معه، أذا كنت غير راغب فسأذهب فورا.



زوجة كارلوس مجدلينا

خجلت وقلت له: على الرحب والسـعه، لكن لا تتوقع مني أن أغير برنامجي الذي قررته لنفسي.

فأجاب بفرح فوري: أبدا أبدا.

فأشرت لسـامي بالانصراف على أن يأتي صباحا لينقله إلى مقرهم.

نظرت اليه مبتسما وسألت:

أنها ليست مشكلة اللغة أليس كذلك؟

أجاب: طبعا لا.

ورفع يده فاتحا كفه ليحي يدي فمددت له كفي.

برنامجـي تلك الليلة كان مليئا، فقـد دعوت صديقات وأصدقاء لتناول البيتزا في مطعم قريب. توجهت أنا وسالم اليه سيرا على الإقدام لقربه من بيتي. خلالها أعطيته فكرة عن المدعوين وبعدهم عن الجبهة السياسية وأنهم زملاء.

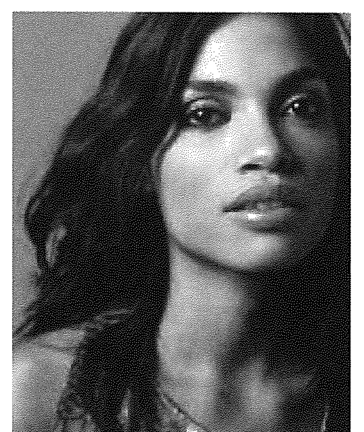
كان سالم مهذبا جدا.

لا شـك أن تلك الليلة أعطتني كافة المعلومات التي أريدها عن شـخصية سـالم، وطرق تصرفه ومزاجه، وما يحب وما لا يحب، وما يهمه، وما لا يهمه.

سـالم كما عرف عن نفسـه دون كلام تلك الليلة، كان يبذل كل ما يستطيع ليحصل على إعجاب من يعجب بهن.

ترى اللطف والكياسـه والذكاء وسرعة البديهة والحركات الأنيقة واللفتات الاستعراضية ولمسـة الفرسـان تتدفق منه عندما تعجبـه جميلة من الجميلات. لكنـه مع كل هذا الفيضـان الراقي لا يقدم على خطوة واحدة قـد تواجهه. فينتظر على جمر، نظرة منها ذات معنـى أو لمسـه خفيفـة أو ضغط يد بلطف على يده ليعـرف أن ما فاض به من تصرف ذكي ولبق قد لاقى هوى لديها.

يرقص كمن يريد أن يقول أنا الفارس المنتظر، ويبتسـم كمن يقول أنا العاشـق الدائم، ويرافـق شريكته في الرقص بخطى سريعة وثابتة وتضرب الأرض صارخة وكأنه يقول، أنا



زوجة كارلوس العربية لانا

الشريك الذي لن تندمي على مشاركته.

سالم يحب الجمال والجميلات، يحب الأناقة والأنيقات، يحب الذكاء والذكيات، ويعشق الجمال، سريع البديهة، والعيون السود والشعر الطويل والكعب الثابت.

يحب الجمال

يحب الحياة

يحب الحرية

ومستعد لبذل الغالي والنفيس للحصول عليها.

ولأنه يحب كل هذه الأمور، يحب أن يكون هو أيضا مصدرها.

كي يحبه الآخرون.

هنا قمة سالم أن يحبه الجميع، أن تحبه الجميلات لذلك كان جميلا أنيقا مهذبا رجلا فارسا وأميرا.

الوردة في يد، والسيف في اليد الأخرى.

هل قاتل من اجل المبدأ، أم قاتل من اجل نفسه لتوصف بالمبدأية.

لا ادري.

قد يكون قاتل من اجل أن يصبح ايليتش راميريز سانشيز - غيفارا جديدا بأسلوب ومدرسة جديدتين.

قد يكون قاتل على طريقة أبطال الحرية القدامى في أمريكا اللاتينية والمكسيك.

قد يكون قاتل ليخلق بطلا للفنزويليين ليخوضوا معاركهم من اجل الديمقراطية والحرية.

وقد يكون قاتل إيمانا حقيقيا بان معارك الإنسان من اجل الحرية والتقدم هي معارك

واحدة، حيثما يتعرض الإنسان للقمع والاضطهاد والإذلال والاستغلال.

وأخيرا أقول:

ارتكب كارلوس – (ســالم – ايليتش راميرز سانشيز) أخطاء كثيرة كان بعض تلك الأخطاء دموية، لكنها أخطاء، لو انها كانت غير مقبولة.

لكنه قد يقاتل ضد مجرمي الإرهاب وسياستهم الموجهة ضد شعوب وأمم ارتكبوا مجازر ضد الإنســانية، وجرائم جماعية واســتخدموا أســلحة محرمة، ليس لقتل الأطفال فقط بل لإحــداث أمراض مزمنة في جينات البشر. فإذا حكمنا الفيلســوف هيجل وغيره من الفلاسفة العلميين والإنسانيين واستخدمنا علم المنطق وعلم الديالكتيك وقوانين النسبية ونظرية الاحتمال واللانهاية نجد أن سالم كان في الجانب الحر للإنسان فيما كان الأعداء يجزرون وما زالوا البشرية.



(الفصل الثامن عشر)

في وصف فوساكو شيجانوبو (مريم زعيمة الجيش الأحمر الياباني)

في العــام ٢٠١٠ اتصــل بي مخرج أفلام وثائقية من خلال فتاة عربية جميلة اســمها لارا تعمل مســاعدة اخراج في الحقل نفسه أي حقل الأفلام الوثائقية، وطلب مني أن اجري مقابلة مصورة للفلم نفسه.

الفكرة كانت غريبة لكنها ساحرة.

فقد كان يعمل لإخراج فيلم حول فكرة الأمهات من خلال بناتهن.

أي فكر الأمهات الثوريات، وكيف ترى بناتهن هذا الفكر وما هو تقيمهن له.

بعــد جهد كبير واتصــالات معقدة تمكن الرجل مــن مقابلة، مي ابنة مريم (فوســاكو سيجانوبو) في اليابان، وتمكن من لقاء ابنة اولريكه ماينهوف التي نشأت في كنف أبيها.

أما مي شيجانوبو فقد تربت ونشأت في حضن أمها ورافقتها في رحلاتها ولازمتها باستمرار.

وسألت المخرج ومساعدته لارا عن مي وطلبت منهما أن يحضراها معهما عندما يجريان المقابلة معي.

عنــد وصول الفريق إلى المــكان المحدد لأجراء المقابلة معي، كانــت مي ترافق الفريق السينمائي. لم أتعرف عليها في بداية الأمر ظننت أنها إحدى العاملات في الفريق السينمائي. كانت شابه جميلة تبتسم بحياء، وتسير على مهل على طريقة اليابانيات القديمة.

لفتت انتباهي لارا وهي شــابه، ولدت في لبنان والدها فلســطيني وأمها لبنانيه. أشرت بإصبعي نحو مي وسألتها: "مي" ؟؟

ابتسمت وهزت رأسـها إيجابا. عانقتها وأمسكت بيدها، وعادت بي الذاكرة. نفس اليد التي امتدت لتصافحني قبل أربعين عاما في مكتبي ببيروت: يد فوساكو شيجانوبو. فقد كانت يد مي نسخه من يد أمها.

لم يطل اللقاء فقد انتهى بانتهاء المقابلة المصورة.

رفيعة - قصيرة القامة - طويلة الشـعر - وعينان تضحكان وتلمعان باسـتمرار. دائمة الحركة وتلتفت بانتباه كلي للمتحدث كائنا من كان وأيا كان موضوع حديثه.

فيشـعر المتحدث باهتمامها بحديثه، وتركيزها لتفهم كل ما يقول مما يسـعده ويقرب فوساكو منه.

عندما التقينا أول مرة لم يطل الوقت قبل أن اشـعر ويشـعر زملائي أن فوساكو وفريقها قريبان من قلوبنا.

التقيت بفوساكو أكثر من مرة وجلسنا في حلقات لمدة طويلة.

وتحدثـت معها مطولا، مما يجعلني قادرا على وصفهـا، والى حد كبير قادر على معرفة طريقة تفكيرها وبرنامجها والأهداف التي تطمح إلى تحقيقها.

لاشك لدي أن مريم، فوساكو، كانت ذكية وأنها امتلكت خلال تجربتها في اليابان وثقافتها نوعا ذكيا من الدهاء.

لهـا عينان قـد تعبران عن حزن عميـق، أو تواضع، أو خضوع واع، أو قسـوة لا مكان للرحمة بين مطرقته وسندانه.

عيناها فاضحتان لمشـاعرها لمن يعرفها جيدا، فقد تهتـزان طربا أو تصرخان آمرتين، أو تبكيان دون دموع.

لكن دائما كانتا مرتبطتين بعمق مريم (فوساكو) بطموحاتها وأحلامها وأهدافها. لذلك لم تكن تخشى عليها أو منها مهما كان تعبيرهما فاضحا أو كاشفا أو مسربا لما هو في الباطن والعقل وربما أيضا، القلب.



أوكاموتو و «مريم».

لطيفة ومهذبه إلى حد أنها تجعلك تشعر بالخجل من شدة احترامها لك، أو ما تصرح به من اجل الإعجاب بك، وقد لا يكون الإعجاب موجودا.

وانحناءاتها تزيدها تواضعا وتزيدك خجلا "فوساكو" أجادت استخدام الحركات والتعابير اليابانيـــة بمبالغـــة مقصودة حتى توقع الآخرين في الحـــرج أو تجعلهم يمتنعون عن أي حركة لا تعبر عن احترامهم الشديد لها.

هذه الشخصية التي تتمتع بها فوساكو كانت تتطور بتطور العلاقة الرفاقية مع المحيطين بها من غير اليابانيين.

فمع اليابانيين لم أر سوى علاقة "الخضوع للرئيس" تحكمهم. أما مع غير اليابانيين كانت علاقة فوساكو تتحول إلى علاقة "حسن صبي" بعد أن تألف وتثق.

كانت تظهر عندها شخصية "القبضاي" وتتصرف كأنها مقاتل ذكر، وليست أنثى. كانت تضحك ملء شدقيها ولا تكتفي بابتسامة اليابانية الخجولة.

أما الرسم على وجهها، فكان دائما رسما دقيقا إلى درجة إظهار نفسه بوضوح، ودقيقا إلى

حد الصراخ في وجهك. الكحل استخدمته بتواضع القوي، والقرمزي رسمت به شفتيها الدقيقتين، ولا احمر على الخدين، بل ربما ظهر الأحمر أحيانا في شريط أنيق يربط شعرها الطويل.

جسدها مشدود بعيد عن أي ترهل، حتى عندما حملت، كانت مي في بطن أمها خفيفة الظل تخجل أن تظهر للعلن حتى هي في أحشاء أمها.

لماحة، سريعة البديهة، لا تفصل بين الفكرة والحركة عندها مسافة بعيده، جريئة، وواثقة من نفسها.

أما أمام المعلم وديع حداد (THE MASTER) فكانت تلميذة تخشى أن تطيل النظر إليه فيكتشف ما بداخلها، وما يدور بعقلها.

له فقط كانت مطيعة طاعة الجندي للجنرال، والتلميذ للمعلم. وفي دائرة المعلم الضيقة كانت تحترم بنفس مقدار القادة والميدانيين.

كانت تتقن التخفي، وسهّل عليها هذا عدم قدرة غير اليابانيين على التمييز بين ياباني وآخر لا تفرقهما عن بعض علامات فارقة صارخة.

فكان بمكان "مريم" فوساكو شيجانوبو أن تخفي نفسها كيابانية أخرى. كأنثى يابانية تقليدية أو لاعبة "بنغ بونغ" تماما كما كان بإمكانها أن تظهر نفسها كشاب ياباني يهوى الموسيقى ويضع على أذنيه سماعتين ويهتز طربا لموسيقى أو أغنية.

وندما كانت تلبس بدلة الرجال والباقة بيضاء وربطه العنق ذات لون واحد، وتحمل حقيبة اليد كرجل الأعمال كانت تبدو كموظف ياباني جدي، يشغل منصبا في دائرة سوني للتخطيط أو في دائرة التسويق في شركة توشيبا.

قد تحضر حفلا موسيقيا أو غنائيا فتظهر بفستان سهرة جميل فتبدو كورده. فتسمع بشغف للمغنية اليابانية الرائعة الصوت والأداء « توكيكو كاتو» وأصبحت توكيكو كاتو من صديقاتها العزيزات وغنت بتأثير من فوساكو أغنيتها الشهيرة (آه يا شهر أيار الجميل في باريس) وهي أغنيه تمجد الذين انتفضوا في باريس في أيار من العام ١٩٦٨.

عندمـا جاءت توكيكو كاتو بدعوة من "مريم" الى بيروت قضت أول سـهرة لها في بيت غسـان كنفاني في الحازميه (مار نقلا)، وكان هنـاك في تلك الليلة الدكتور جورج حبش، وغسـان كنفاني وبالطبع كنت أنا. كانت المغنيه توكيكو هناك برفقة، فوسـاكو واداتشي المخرج السينمائي الكبير الذي اعتقل بلبنان فترة طويلة وتزوج بالسجن من فتاة لبنانية من بلدة القرعون البقاعية.

غنت توكيكو على أنغام غيتارها بنعومة وسلاسـة لباريـس وللانتفاضة الأوروبية لثورة الفقراء والمظلومين.

طلب غسـان كنفاني بعد ذلك أن تسـمعنا أغنيه يابانيه بكلماتها وموسـيقاها. فغنت بعذوبة نبع ماء صغير يترقرق ماؤه بخجل حفاظا على طهارته، وإخفاء لنفسـه ليتمكن من العيش بعيدا عن انتهاك الأيدي.

راقبـت فوسـاكو لارى التعابير على وجهها. وفوجئت ان التعبير كسـا وجهها لأول مرة. فعادة لا تظهر على وجه فوساكو تعبيرا عن مفاجأة أو دهشة أو خوف أو فرح أو حزن. وأسميت وجهها ألا تعبيري.

قرأت على وجهها السـعادة، والحب، حتى الحب قرأته عـلى وجهها وفي عينيها. كانت تلك فوساكو الحقيقية.

عندما شـاهدتها آخر مرة سألتها عن ابنتها فقالت لي مبتسمة بدفء ورضا: أنها مقاتلة تتحدث العربية واليابانية والانكليزية والفرنسية انها دولية.

وضحكت قائلة: اعتقد انه حان الوقت لأعود لليابان فالكل ينتظرني هناك. لكنها لم تعد بعدها.

حتـى العام ١٩٨٢ بقي بابي يطـرق بإياد صغيره ذات أصابع ناعمـة وعندما افتح أرى انحناءة مهذبه وعيون خجله متواضعة ودفء واحترام.

(فصل التاسع عشر)

سالم كارلوس

ايليش سانشيز راميريز

في أواخر العام ١٩٦٩ حضر إلى مكتب مجلة الهدف زائر أجنبي.

- كانت الهدف التي أسســها غسان كنفاني في أب من العام ١٩٦٨ قد استأجرت مكاتب لها في بناية متواضعة على كورنيش المزرعة قريبا من ثكنة مار الياس ومخيم مار الياس -

مع الأيام أصبحت عنوان مجلة "الهدف" التي كانت تصدر اســبوعيا هو عنوان الجبهة الشعبية المفتوح للجميع، صندوق لكل من يريد ان يخاطب خطيا قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

فأصبحت مجلة الهدف، وصندوق بريدها عنوانا للدكتور جورج حبش. وكذلك للدكتور وديع حداد، وبطبيعة الحال غسان كنفاني وأبو علي مصطفى وبسام أبو شريف وغيرهم ممن يهتم المواطنون في الوطن أو خارجه بمخاطبتهم.

من ناحية أخرى أصبحــت "الهدف" مكتب يؤمه الصحفيون الذين يريدون طلب لقاء صحفي مع احد القادة أو القيام بزيارة لمعسكر تدريب أو تصوير فلم في قواعد المقاتلين أو تغطية تلفزيونية لعملية قتالية.

كان يتسلم استفسارات، ويرد عليها ويصدر بيانات توضيحية.

وفي الوقت ذاته أصبحت مجلة الهدف عنوانا لمن يريد أن ينظم للجبهة الشعبية، أو أن يقدم لها تبرعا أو خدمة خاصة.

لهذا المكتب وصل في أواخر العام ١٩٦٩ شخص أجنبي طلب رؤيتي.

أبلغتني السكرتيرة "آمنة" بالموضوع، سألتها عن اسمه فقالت: لم يعطيني اسما.

- ما هو شكله؟

قالت: يحمل حقائب كثيرة وشنطة يحملها على ظهره، ويبدو كعضو في الكشافة، متوجه في رحلة إلى مكان بعيد.

طلبت منها أن تبلغ رجال الأمن احتياطا، وان تدخله بعد ذلك.

دخل غرفتي بعد أن قرعت آمنة الباب.

رفعت رأسي لأرى فتى جميل الطلعه صغير الســن لم تكتمل ذقنه بعد، أو ربما كان هو غير مشعراني.

انحنى بكل تهذيب وقال بعربية رقيقة: السلام عليكم.

ـ وعليكم السلام، تفضل. وأشرت له بالجلوس.

جلس، وجالت عيناه في الحائط خلف مكتب غسان كنفاني.

كان غسان قد اخترع هذه الفكرة.

لقد غطي الحائط الكبير خلف المكتب بملصقات، وصلتنا من جميع أنحاء العالم، وبعض ملصقاتنا وعلقت شعارات وصور كبيره لتشي غيفارا وماوتسي تونغ. وصورة لفلاح ياباني كبير الســن يتمســك بأرضه رافضا أخذها منه لإقامة مطار جديد في طوكيو، على أراضي صغار الفلاحين.

انتظرته ليفرغ من ذلك.

عاد ببصره من تلك الرحلة في حائط غسان كنفاني.

نظرت اليه: هات ما عندك.

قال بالانكليزية: أريد أن انضم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وفوجئ بأنني لم أفاجأ بل أجبته بهدوء: لماذا ؟

ـ أريد أن أقاتل العدو.

سألت: من هو العدو ؟

ـ"الامبرياليون الرأسماليون الإسرائيليون" أجاب بنفس طريقة الاقتضاب التي استخدمها.

سألت: كيف تريد أن تقاتل هؤلاء ؟

أجاب: بالسلاح.

ـ من أين أنت؟

ـ فنزويلا.

ـ من أين أتيت ؟

كنـت طالبا بجامعـة لومومبا وتعرفـت هناك على شـباب الجبهة الشـعبية، وقرأت إستراتيجية الجبهة، أريد أن أقاتل معكم.

ـ أشيوعي أنت؟

ـ والدي كان، وكنت لفترة قصيرة، وتركت، أنهم كلاسيكيون عديمو الفائدة هناك.

سألت: "هل ذهبت إلى جامعة لومومبا بمنحة"

ـ "نعم من الحزب".

ـ اسـمك "سـالم"، من الان فصاعدا اسمك هو سـالم. انسى هويتك السابقة حفاظا على أمنك.

ـ اسم لطيف وسهل "سالم" ردد اليتش راميرز سانشيز.

وأمرت بإرساله إلى شاتيلا حيث المكتب العسكري.

قلت له سوف نرسلك للجهة المختصة فهذا المكتب هو مجلة الهدف ولا نتعاطى بالأمور العسكرية.

فقال مبتسما: العنوان.

كنـا في تلـك الفترة نهيئ المـكان، والعدة والمدربين والحراسـات لمعسـكر أولي يعطي تدريبا عسكريا بسيطا ورياضة وتدريب سياسي مكثف يتضمن تاريخ الصراع بين ثورتنا والامبرياليين.

الغزوة الامبريالية بعد الاسـتعمار التقليدي واستراتيجية المواجهة. كان البرنامج يتضمن ندوات سياسية للدكتور جورج حبش وغسان كنفاني. وطلبت أن يكون مسؤول التدريب ضابط من خيرة الضباط وأكثرهم جديه هو الضابط "باسـم" الذي كان زوج ليلى خالد التي تلقت تدريبها على يديه في معسكر للمقاتلين الفلسطينيين.

وتقرر إرسال سالم إلى هذا المعسكر.

وتقرر إرسال مجموعات أخرى، سويديه تقودها امرأة اسمها (آن شار لوت) ومجموعة سويدية أخرى يقودها شاب اسمه أرنيه.

ومجموعـة يابانية (ثلاثة أفـراد) ومجموعـة نيكاراغوية يقودها (باتريـك ارغويللو) ومجموعة من الفيالق الحمر الايطالية، ونمسـاويين، وسـويسريين، وهولنديين، واسباني واحد من شمال اسبانيا (باسك).

المعسكر أدى دوره على أكمل وجه.

فحولت سـالم إلى معسـكر المقاتلين المحترفـين، وبعض الآخريـين إلى التنظيم الخارجي (وديع حداد - مجال العمليات الخاصة).

البقية عادوا إلى بلادهم لإنشاء لجان أنصار، وإمداد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

تكفل السويديون والسويديات بإرسال أربعة أطباء وستة ممرضات كل عام للعمل عاما، أو ستة أشهر في مخيمات اللاجئين ومعسكرات المقاتلين.

آخر أيام ذلك المعسـكر كان يوما مشهودا بالنسبة لهم جميعا. فقد انصب التدريب في نهاية الأمر على الهجوم والدفاع.

كان تدريب الدفاع هو تدريبهم للدفاع عن المعسـكر في حال تعرض المعسكر للهجوم. عند فجر آخر أيام المعسكر بدأنا التدريب بالهجوم على المعسكر فيم الجميع نائمين.

اســتخدمنا في الهجوم الذخيرة الحية، وقصفنا أطراف المعسكر بقذائف المورتر (هاون) ودمرنا مطابخ المعســكر ليبدو الهجوم جديا وأمطرنا المعســكر (من فوق شجرة) بوابل من الرصاص من رشاشات من مختلف العيارات.

فهب الجميع مذعورين، وحملوا أســلحتهم وراحوا ينفذون، ما تعلموه من خطة دفاع عن المعسكر.

عبر الجميع النهر إلى ضفته الأخرى، واحتموا بالصخور وداخل "المغر" وراحوا يتأهبون.

دخلت المعسكر لأرى الوضع فوجدت سالم يجلس في فراشه ويفكر.

فسألته: ماذا تفعل هنا؟

أجاب بسرعة: بسام أنها تمثيلية. لو كنت المهاجم لحرصت أن تكون القذيفة التالية على الأقل محددة الإصابة المعسكر.

ابتسمت وقلت له هذا تطعيم، للمعركة.

وأمرت بنقل سالم فورا إلى معسكر المقاتلين المحترفين.

كان المعســكر هذا يقع على قمة تلة بعيدة عن نهر الزرقاء، وخضع سالم لدورة شديدة وصارمة وتخرج منها والتحق بقوات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المقاتلة والمحمولة.

بقي سالم في تلك المناطق إلى أن حوصرت في تموز من العام ١٩٧١ وخرج سالم من الأردن مع من خرج من قوات الثورة الفلسطينية بعد أن أطبق الجيش الأردني على المواقع التي أقرتهــا قمــة القاهرة. فخرج من خرج واعتقل من اعتقل. وخرج ســالم من هناك، وأمر بالتوجه إلى بيروت حيث بدأت حياته من جديد كمناضل من اجل الحرية، كمقاتل ضد الامبريالية وكثوري له طموحاته وأفكاره.

خرج من الأردن وهو يحتفظ بوجهه الطولي وابتسامته الآسرة وتهذيبه الكازتنوفي.

والتقيــت به مرة أخرى في بيروت وهو على أعتاب المرحلة الجديدة مرحلة البطل الذي سيقرر الدكتور وديع حداد خلقه.

فقد كان "المعلم" يرى دائما أن شـخصية البطل هي شخصية هامة لجميع الناس وتأسر الألباب وتشد الناس لمتابعة ما يدور.

فرتب خلال عقود من الزمن عمليات خلق متتابعة لأبطال ألهبوا مخيلة الناس وشدوهم لمتابعـة ما يقومون به (سـواء أيـدوا أو أدانوا) واسـتخدم هذا لطرح قضية الشـعب الفلسـطيني، القضية العادلة قضية الحق والحرية وان كانت بعض العمليات في حينها قد أثارت غضبا بعضا وسـخطا وادانة، لكنها في الوقت ذاته طرحت السـؤال: من هم ؟ لماذا يقوم الفلسطينيون بهذه الأعمال ؟ لماذا يزجون بالأبرياء في عملياتهم الإرهابية.

كان وديع حداد يدفع من خلال عملياته (رغم الإدانة) الرأي العام العالمي لطرح السؤال الجوهري والأساسي: من هو الإرهابي وما هو الإرهاب؟

قتل شـعب آمـن بأطفاله ونسـائه وهدم بيوته وسرقـة أرضه هو عمـل مقبول عند الامبرياليـين. أما دفاع أب عن نفسـه وعن أطفاله وعن أرضـه وبيته وبلده فهو إرهابي بذهن الامبرياليين.

أن نقـول كلمة الحق يعني للغرب انك إرهـابي، أن تتهم المجرم بالقتل أنت إرهابي، أن تكشـف أن الغرب يسـلح الإسرائيليين بذخائر محرمة يسـتخدم أطفال فلسطين حقل تجارب عليها أنت إرهابي... أن تتظاهر ضد الجرائم الجماعية أنت إرهابي.

أما من يرتكب الجرائم ومن يستخدم الفسفور الأبيض ضد الأطفال والقنابل العنقودية فهو ليس إرهابيا.

طالما أن القتل عملية امبريالية فهي مقبولة. أما أن تقاوم الضحية إجرامهم، فهذا إرهاب.

لذلك لم يكترث وديع حداد لما سـيطلقون عليه من أوصاف أو ما سـيصفون به مقاتلو الحرية، فمهما عملوا سيبقون إرهابيين طالما أنهم يثيرون قضايا الحق والعدالة والحرية.

لذلـك طور وديع حـداد كما طورنا نحن معه نظرة جديـدة وتعريف جديد للألم، الألم الأكبر يجعلك تحس اقل ايلاما من الم الجرح الأصغر.

أن أصبت في معركة برصاصة في قدمك فان الألم سينهشـك وينهكك. لكن هذا الألم ذاته

يكاد يصبح نسيا منسيا أن تابعت المعركة واصابتك رصاصة في الرأس.

فألم رصاصة في الرأس اكبر، لذا فان الم جرح القدم يتلاشى أو ينسى أو يطمس تحت وطأة الألم الأكبر.

ألم الفلسطينيين الأكبر هو ذلك الألم النابع من الظلم الذي انزل بهم، الم تشريدهم بالقوة خارج بلدهم، الم نهب أراضيهم وقراهم ومدنهم، الم جريمة الاستعماريين والامبرياليين في إعطاء أرضهم لمن لا علاقة لهم بها.

وجع نفي الوجود

وجع نفي الهوية

وجع نفي الإنسانية الفلسطينية، وسلب كرامته وحريته وحقوقه.

هـــذا هو الألم الأكبر. فمهما كان الجرح كبيرا يبقى الم فقدان الحرية والأرض اكبر، ومهما كانت الصفات التي تطلق وســتطلق علينا فهي أهون من الاستعباد، وسيأتي اليوم الذي يقــول فيها التاريخ الحقيقة أن الشريعة التي فرضها الامبرياليون على العالم هي شريعة الغاب "القوة هي على حق" "القوي له الحق أن يأكل الضعيف".

وإذا كانت هذه هي شريعتهم، علينا أن نواجههم بالقوة الذكية وبالبقاء أحياء.

فبقاؤنــا أحياء، في ذاكرة البشرية هو انتصار على من يريد افناء الشــعب الفلســطيني، ومحو هويته وإذابة من تبقى منه في ارض عرضها عرض الكرة وشــعاعها شــعاع الكرة الأرضية، وطولها قطر تلك الكرة الأرضية.

وديع حداد صاحب الرؤية بان البقاء أحياء، وقادرين على الحركة هو إعلان حرية ستأتي لشعبنا. ورغم ذلك، رغم الوجعين الكبير والصغير، كان وديع حداد يحرص باستمرار على تحذير المقاتلين من الإساءة لرهينة أو إيذاء مدني أو أطلاق النار الا دفاعا عن النفس.

سالم. دخل البوابة الكبيرة على مهل.

بوابــة العمــل الذي يولد هزات في المجتمع الدولي، العمــل الذي يحتاج لأعلى قدر من

الدقه والانضباطية والقدرة على التحكم والاحتفاظ بهدوء العقل والصعب.

العمل الذي قد يفاجئك بان عليك أن تتخذ قرار دون العودة للمعلم.

العمل الذي يحمل لك في طياته الموت بأشكال متعددة.

والعمـــل الذي يحولك في لحظات إلى بطل، والبطولة تســـكر أو تزغزغ النظر، أو تجعل ثقة الإنسان بنفسه فوق الحدود الآمنة.

البطولة طريق لمزيد من التواضع البطولي أو لمزيد من الشعور بالطاووسيه والتعالي.

والطاووسيه تحمل مقتلا دائما بينما التواضع يحمل العقلانية دائما.

كان مطلوب من كل بطل أن يحافظ على عقله وتماسكه، وان يتذكر انه بطل لان وديع حداد أراده بطلا، ليس العكس، وهنا اخطأ سالم لاحقا.

سالم... والعمل الخاص

ايليش راميريز مانشيز

هو اسمه الحقيقي ووالده كان شيوعيا، ينتمي للحزب الشيوعي الفنزويلي.

ورغم العواصف التي هبطت داخل صفوف الحزب كما كانت الحال في معظم الأحزاب الشـــيوعية التي كانت تدور في فلك الاتحاد الســـوفيتي، اســـتمر والده على انضباطه في الحزب «الكلاسيكي» فلم ينضم للمنشقين عن الحزب.

إلا أن الامر عند اليتش كان مختلفا. لم يكن اليتش رافضا للحزب الشـــيوعي الكلاســـيكي وبرامجه فقط بل رافضا لبرامج ومواقف الذين انشقوا.

ورغم ميوله المبكر لأفكار تشي غيفارا ألا انه لم يتبناها كتوجه وإستراتيجية.

وجاءته فرصة الحرية، حرية التجربة، والممارسة والبحث عن الحقيقية والطريقة عندما أرسله الحزب (من خلال موقع أبيه) للدراسة الجامعية في موسكو.

التحـــق بجامعـــة لومومبا، التي أقيمت لأبنـــاء العالم الثالث من أفريقيا واســـيا وأمريكا اللاتينية.

تحولــت جامعة لومومبــا الى ملتقى لأبناء العالم الثالث تحت مظلة الحزب الشــيوعي الســوفيتي. فيها نوقشــت أوضاع دول، ومنها تخــرج قادة من قادة حــركات التحرر، وإبطال وطنيون، ومنها تخرج قادة عســكريون وسياسيون لعبوا دورا تاريخيا في صناعة حرية بلادهم واستقلالها.

كارلوس، شاب وسيم، عيناه المدورتين كنقطتين لا تتوقفان عن الحركة.

عندما يبتسم تبتسم الحدقتان السوداوان، ويبدو بياض العينين اقل. وعندما يغضب أو يكون غير راض تضيق الحدقتان فيبدو بياض العينين أوسع.

في عينيه رسائل دائمة جاهزة للانطلاق، قد تكون رسالة حب، أو بغض أو تحد أو مسكنة أو فرعنة.

لكنهما كانتا دائما تذوبان بمخملية جميلة، عندما تريان امرأة جميلة.

فتجدهما اثقبا احتراما للجمال وحبا فيه، واستعدادا لتلبية ما يتطلبه ذلك الجمال.

كان مهذبا، ويحســن استخدام ذلك التهذيب المســتمد من تهذيب فرسان الكنيسة أو النبلاء الفرسان الذين جاؤوا من اسبانيا.

كنت أتصوره يلبس ذلك القميص الأبيض المزركش وأطرافه من الدانتيل الأبيض، ويحمل على جانبه سيف طويل.

وأحيانــا أرى فيه فتى يذهب للكنيســة لابســا ياقته البيضاء وبدلته الســوداء في أول شــعنينة له، كطفل يكافأ في الكنيسة، بالوقوف على المنبر قرب المذبح ليقرأ من الإنجيل آيات لمن يعتبر.

أو شاب يلبس بدلة قرمزية اللون وياقته البيضاء تطير في الهواء فوق القرمزي، يمسك بيد فتاة جميلة تلبس تنوره أندلســية، ويركضان معا نحو حصان ابيض يقف عند السحب، ويغنيان بصوت عال للبورتو فينو.

وفــارس قوي العقل، تقرع أقدامه الأرض على إيقاع طبل عربي سريع الخطوات، ويزهو من الــرأس، فيرتفع كأنما يريد أن ينشــق مزيدا من رائحة الياســمين، والفل، والقرنفل

والريحان وبخور الزمان. وتتوقف كل المشاهد، ولا ترى أمام عينيك سوى قسمات وجه تختلج بهدوء لتخفي قسوة القرار.

لتخفي تناقضه مع العطر، وان تجانسه في الهدف.

بعد نهاية عام ١٩٧١ أي بعد أن انتهى الوجود العسكري الفلسطيني في الأردن توجه كارلوس (سالم) إلى بيروت، كان عام ١٩٧٢ عاما مليئا بالعمل، والحرب الإرهابية الإسرائيلية، والحرب المضادة، زاد من سخونة هذه الحرب هو انضمام فصائل أخرى لهذا الميدان. وعقد هذا الدخول ساحة العمل الخارجي بعض الشيء.

فقد دخلت فتح على سبيل المثال من خلال جهاز أمنها هذا الميدان وراح أبو أياد (صلاح خلف) يعد الخطط لتوجيه ضربات انتقامية ضد الإسرائيليين. فقاموا بعملية ميونخ التي لم يكن هدفها قتل الرياضيين الإسرائيليين بل احتجازهم لتشكيل ضاغط كبير على إسرائيل للإفراج عمن يبطشون بهم من المعتقلين في سجونهم.

فقد اكتظت سجون إسرائيل بآلاف من أسرى الحرب الذين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب.

الحقيقة التي نسجلها هنا حول عملية ميونخ وعملية خطف الرياضيين الإسرائيليين هي التالي: وهي مدعمه بوثائق وتسجيلات يمكن وضعها تحت تصرف أية محكمة دولية عادلة.

لم يكن المسئولون الألمان يرغبون بإطلاق النار. وحذروا المسئول الإسرائيلي الذي كان يشرف على الموضوع في المطار أكثر من مرة من ذلك.

وان أطلاق النار سوف يؤدي لإطلاق مقابل، وان عددا كبيرا من الضحايا سيسقطون، منهم الرياضيين الإسرائيليين.

وأمر المسؤولون الألمان عدم اطلاق النار، ومتابعة الحوار مع الخاطفين الذين كانوا سيتوجهون إلى جهة تمكنهم من التفاوض بأمان لإخراج عدد من أسرى الحرب الفلسطينيين.

ألا أن المسـئول الإسرائيـلي ـ اكرر المسـؤول الإسرائيلي ـ أعطـى التعليمات بإطلاق نار القناصـة. كان مندوب الجامعـة العربية حاضرا (وهو تونسي على مـا اذكر) وكتب في تقريره تأكيدا لما أقوله هنا من أن الأمر بإطلاق النار جاء من المسئول الإسرائيلي. أي أن إسرائيل أرادت أن تحصل مجزرة لأسباب إعلاميه غير آبهة بحياة الرياضيين الإسرائيليين.

عمليا، منذ وصوله بيروت، شهد كارلوس تلك الحرب أثناء وجوده في بيروت، وكانت هذه الحرب مدخله للعمل الخاص الذي كان يقوده الدكتور وديع حداد.

في عـام ١٩٧٢ الذي عقد فيه الدكتور وديع حداد أول مؤتمـر للتحالف الدولي الثوري، الذي شـهد بدايـة حربين على الدكتور وديـع حداد، حرب خارجية تشـنها غولدا مئير واسرائيل والمخابرات الغربية، وحرب داخليه يشنها أعداء «السوبر يسار»

والذين تبين أن قيادتهم تقوم بهذا (عملت أم لم تعمل) لحساب مخابرات خارجية. ومن هـؤلاء ـ كما اذكرـ وليد قدورة، ويونس البجيرمي. في ذلك العام خاض سـالم تدريبات خاصة وحساسة في لبنان وعدن.

جاء إلى منزلي في الكمودور ليودعني قبل سفره.

كما هي قواعد العمل لم أساله إلى أين وماذا سيفعل وبم كلف.

بل ابتسمت وسألته ليكن الوداع اسبانيا.

أجريت بعض الاتصالات ودعوت بعض الأصحاب الذين لا يعرفون سـالم، وتوجهت إلى مـكان اللقاء، مطعم تصدح فيه الألحان الاسـبانية ذات الإيقاع القوي والعربي الأصيل. وموسيقى الرقص المليء بالكبرياء والأدب والتهذيب والرسائل.

تعرف سـالم على الأصدقاء على انه صحفي اسـباني، ورقص وأقدامه هزت ارض المطعم الخشبية وتناولنا اللحم المشوي والنبيذ الأحمر، وعدنا بعد منتصف الليل.

ودعنـا الجميع، وسرنا الهوينا إلى حيث تقف سـيارتي. أوصله إلى مكان اقامته المؤقت. ودعته مرة أخرى وقال: استالوبجو أي إلى اللقاء.

كان في كل مرة يعود فيها من سفر يأتي ليزورني حاملا لي وردة حمراء أو بيضاء.

وزارني أخر مرة قبل محاولة غولدا مئير اغتيالي بعد أن اغتالت غسان كنفاني.

أولى المهمات التي ذاع خبرها ونفذها كارلوس كانت أطلاق الرصاص على لورد يوسف سيف، وكان نائب رئيس المنظمة الصهيونية البريطانية وصاحب المحلات الشهيرة ماركس أند سبنسر. كان ذلك في ديسمبر من العام ١٩٧٣ وبعد أشهر حافلة بالمعارك والاغتيال والاغتيال المضاد. أي بعد عملية الفردان والفاكهاني الكبيرة جدا والتي حصلت في نيسان.

كان لورد يوسف سيف قد درج على دفع مدخول سلسلة مجمعات ماركس أند سبنسر التجارية كل يوم سبت تبرعا لإسرائيل.

فدخل يوم السبت، عطلة اليهود، كان تبرعا من اللورد سيف لإسرائيل، وكان الدخل الأسبوعي كل سبت، يصل إلى مئتى مليون دولارا حسب ما جاء في احد التقارير.

كان اختياره كهدف، جزء من رد وديع حداد على اغتيالات غولدا مئير التي ارتكبتها ومدير الموساد الذي ائتمر بأوامرها الجنرال زامير.

عندما عاد كارلوس إلى بيروت جاء كالعادة إلى شقتي وخرجنا لتناول العشاء. وروى لي كيف قام بتلك العملية.

فقد توجه بكامل أناقته ووسامته إلى منزل اللورد سيف، وقرع الباب ففتح له مدير المنزل الذي سأله عما يريد.

فنظر اليه كارلوس بدهشة واضحة قائلا:

هنالك موعد بيني وبين سعادة اللورد سيف، ترى هل نسي أن يبلغك؟

ابتسم كارلوس ابتسامه الواثق من نفسه ناظرا إلى مدير المنزل. بحنان رأفة به لعدم أبلاغه بالموعد.

ـ تفضل سيدي إلى الصالون. وأفسح المجال له. أشار مدير المنزل له بان يجلس وقال:

اللورد في غرفته واعتقد انه في الحمام. ماذا تود أن تشرب سيدي؟

فأجاب كارلوس: القهوة أذا سمحت.

وما أن اختفى مدير المنزل خلف الباب المؤدي للمطبخ حتى اندفع كارلوس مسرعا نحو الطابق العلوي. ودخل غرفة نوم اللورد وتوجه مباشرة نحو الحمام حيث كان اللورد يرتاح في المغطس.

لم يفه بكلمه، أطلق من مسدسه الصغير ثلاثة رصاصات تركت اللورد في بحيرة دماء. وهرول هابطا، نحو الباب الخارجي ومباشرة نحو المطار واختفى في السحب نحو الشرق الأوسط.

لم يمت اللورد سيف، بل أصيب إصابات بالغه نقل على أثرها للمستشفى.

دخل كارلوس المعركة ضد جيوش غولدا مئير السرية التي أرسلت إلى كل مكان لاغتيال الفلسطينيين ومن يساعدهم.

فاغتيل محمد بوضيا في باريس، مما هرب بعض الذين كانوا على صلة به إلى الشرق الأوسط، كان معظمهم من الجزائر والمغرب.

ومضت فترة قبل أن يعد وديع حداد كارلوس للمسرح العملي.

أمضى فترة عام تقريبا بين التدريب الخاص على أمور حساسة. لكن ظل الأساس الحفاظ وزيادة دقته في إصابة الهدف بالمسدس.

وفي كل من عدن وبغداد وبيروت كان يجري تلك التدريبات.

في نيسان من العام ١٩٧٣ شنت غولدا مئير أضخم عملية اغتيال إرهابية في احد أهم شوارع بيروت الفيردان.

وأشركت غولدا مئير في هذه العملية الكبيرة، البحرية ومشاة البحرية، والطيران، والقوات الخاصة وضباط «وسيارات متعال» وهي أهم فرق الكوماندوز ورجال الموساد من خارج لبنان ورجال الموساد (إسرائيليين ولبنانيين) من داخل لبنان.

وقام عملاء الموساد من اللبنانيين، وبينهم ضباط امن، وضباط جيش لبناني، باستطلاع كامل للمنطقة الممتدة بين شاطئ البحر الأبيض عند الرملة البيضاء «وبيجون» صعودا من قرب فندق الكارلتون إلى ساحة «ساقية الخنزير» ومنها إلى شارع سكني هادئ يقود

نحو شارع الفردان الرئيسي.

واســتطلع شارع الفردان حيث كان للأمن اللبناني ثكنة كاملة قرب نصب الدروز «ثكنة السيار».

واســتطلعوا تفرع شارع الفردان نحو قريطم في منطقة فندق بريستول وصولا إلى قصر صالحه (الان هو مقر أقامة سعد الحريري بعد أن أصبح مقر وسكن والده رفيق، الذي اغتالته إسرائيل، بعد أن اشتراه من أبناء صالحة).

واســتطلع عملاء الموساد من اللبنانيين تحت وأشراف مدير الموساد الإسرائيلي الذي كان يقيــم في لبنان وله عدة بيوت تمتد من الاشرفية إلى بعبدا إلى الحازميه إلى الحمرا، وكان يســتخدم كثيرا الفنادق للتغيير، أمضى مدير الموســاد هذا في لبنــان عشرون عاما نظم خلالها مئات اللبنانيين لخدمة الموســاد حســب برنامج إسرائيل، التي كانت تشعر أنها قادرة على التحكم بلبنان من رأسه حتى قدميه.

عندما اتهمنا إسرائيل باغتيال غســان كنفاني ومحاولة اغتيال د. أنيس الصايغ، ومحاولة اغتيال بسام أبو شريف، طمس الموضوع من قبل أجهزة الأمن اللبنانية.

وعندما أرسل لي شخص لا اعرفه صورا لسيارة غسان كنفاني لحظة تفجيرها استلم الأمن اللبناني الصورة ولجنه التحقيق المشــتركة كانت، حســب رأيي، تضم عملاء للموســاد ولمخابرات غربية متحالفة مع الموساد، لذلك بيع الأمر.

لقد سلمت باليد صور الانفجار في لحظته لابي احمد يونس مسئول امن الجبهة الشعبية لتحرير فلســطين، وهو ممثل الجبهــة في لجنة التحقيق المقترحــة. كانت الصور مليئة بالمعلومات المفيدة.

فمن الصورة يستطيع الخبراء أن يعرفوا من أي مكان صورت وعلى أي بعد ليكشفوا (أن أرادوا) مكان كمن فيه المنفذون أو مساعديهم لرؤية النتائج. لكن لم يحرك الأمن اللبناني ساكنا ولا أبو احمد يونس.

بعد ســبعة عشر يوما حاولوا اغتيالي، وشكلت لجنة تحقيق لكشف ملابسات استخدام ختــم وزير الاتصالات حينها،جميل كبي، وإرســال الكتاب لمكتبي بعد أن شــهد خاتم

الوزير انه مدقق وخال من المتفجرات. لا بد أن الموســاد كان هناك في البريد، وفي قسم الطرود في المكتب الذي يختم خاتم الوزير وتعهده بخلو الطرد من المتفجرات.

لكن المتابعة لم تحصل، لماذا ؟

اسألوا الموساد اللبناني.

مدير الموساد في لبنان اشرف على كل التحضيرات والاستطلاعات لشارع الفردان، ومحيطه وشاطئ البحر. وكان يحب أن يجلس في بار فندق الكمودور، وبار فندق ألسان جورج. ومن هناك ابلغ مسئوله الجنرال زامير أن كل شيء جاهز.

حضّر الســيارات، والفرق المحلية المســاعدة، وفي ليلة الاغتيالات الكبيرة تحركت قوات البحر الإسرائيلية. فأنزلت مشــاتها وســياراتهم المصفحة قــرب "خلده" جنوب بيروت، وتوجهــوا بسرعة نحو منطقة جامعة بــيروت الغربية "الفاكهاني" حيث مقرات قيادات فصائل المقاومة، وحيث مقر قوات (آل ١٧) أي مقر قيادة ياسر عرفات.

طوقت القوه بنايتين فيها مقر احمد جبريل، ومقر الجبهة الديمقراطية، ودمر مقر احمد جبريل نســفا. وبقي حيا احد أعضاء القيادة الذي كان حين هاجم الجنود الإسرائيليون المقــر، يقف قرب مراب الســيارات، هــو "أبو احمد حلب" الذي انشــق لاحقا مع أبو العباس تاركا التنظيم (جبهة التحرير الفلسطينية) الذي يقوده احمد جبريل.

وتحركت سرية من مشاة البحرية الإسرائيلية، نحو الشارع الذي يؤدي لمقر ياسر عرفات، ودارت معركة شديدة لا ينير ليلها صوت بريق الرصاص ولمعان القنابل.

واخرج ياسر عرفات من مقره تحت جنح الظلام، ومر هو وشــاب اســمه "خليل" يتقن العبرية بالقرب من مجموعة كانت تقف تحت جنح الظلام قرب مقر ياسر عرفات.

همــس خليل في أذن ياسر عرفات: أنهم إسرائيليون، وهرولا شرقا خارجين من إطار تلك المنطقة.

في تلــك الأثناء كانــت مجموعات البحــر بقيادة بــاراك تتوجه بالســيارات من طلعة الكارلتون "نحو ســاقية الخنزيــر" وكانت زوارق مطاطية أنزلت مــن بارجة إسرائيلية



كارلوس يدافع عن نضاله الثوري في المحكمة الفرنسية

(حاملة للهيلوكبتر) تقف في عرض البحر.

قد حملت المجموعات المسلحة بقيادة باراك نحو الشاطئ بين الرملة البيضاء والجروت أو بيجون.

استدار الموكب عند طرف ساحة ساقية الخنزير ودلف إلى شارع سكني يؤدي في نهايته إلى شارع الفردان حيث ثكنة السيار.

وعندما وصل الركب قرب البناية (التي استهدفوها) هبط الإسرائيليون باليويا السوداء، وتوجهوا إلى بناية تسكنها عائلات كل من القادة: كمال عدوان، والقائد أبو يوسف النجار، والشاعر الكبير القائد كمال ناصر وهو مسيحي من مدينة بيرزيت، ولم يحمل مسدسا في حياته. بل كان عازبا ينظم الشعر، وأديبا وكاتبا مبرزا.

البواب كان غائبا. لا جرس كالعادة، وثكنة السيار «مؤمن عليها» فلا يتوقع احد من

الإسرائيليين مفاجآت من هذه الجهة، فقد ضمن الموقف مدير الموساد من خلال ضباط عمــلاء له، كان أهمهم ضابــط في قوة «١٦» وهي قوة امن كانت مســلطة على رقاب المدنيين وقوة فاســدة أفســدتها السرقات والاعتداءات الجنســية، وبعض قادتها كانوا عملاء للموساد وغيرهم من المخابرات الأجنبية.

صعدت المجموعات الإسرائيلية، واغتالت القادة الثلاثة. اثنان أمام عيني زوجتهما، وكمال ناصر صلب بالرصاص لأنه مسيحي والشاهد كانت أوراقه وقلمه المضرجين بدمائه.

تمكــن كمال عدوان من أطلاق بعض الطلقات من رشاشــه فأصاب عدد من المهاجمين، ودمرت يد احد المهاجمين وهو الان يضع يدا صناعية مكان يده التي بترت. وانســحب الجميع بسرعة، وفي توقيت محدد.

الجميع نحو الزوارق البحرية، والى المدمرة حاملة طائرات الهيلوكبتر.

والعملاء إلى مخابئهم ببيروت.

في تلك الفترة، كنت اسكن في بناية قريبة، هي بناية بركات، كذلك كان يسكن هناك هاني الحســن، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وأيضا كان يســكن في البناية نايف حواتمة، أمين عام الجبهة الديمقراطية.

ومع سماعنا اطلاق النار، هرولنا وأسرعنا نحو المكان. قرب مفرق بريستول أوقفتنا سيارة القوة (١٦) ومنعتنا من الاقتراب وقد رفع أفرادها أسلحتهم في وجوهنا لمنعنا من المرور، والوصول لمبنى كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار.

كان كارلوس بعد أن نفذ عملية ســيف في ديسمبر ١٩٧٣ كضربه من ضربات الرد الذي خطط له وديع حداد على حرب غولدا مئير.

وقد قام كارلوس بعمليات صغيرة أخرى، الهدف منها كانت زعزعة ثقة الموساد، وإحداث ارباك في صفوف غولدا مئير. ومن هذه العمليات اســتهدف مصالح إسرائيلية: كالبنوك وخطــوط زيم البحرية ومقاه ومطاعم كان يســتخدمها الموســاد كمطعم دو ماجو في باريس.

أصبـح ميدان عملــه المؤقت لندن وباريس. لم يكن وجـوده بلندن واختلاطه بالمجتمع المخملي مثيرا للشك.

فقد كان رجلا وسيما سهل عليه التسلل إلى حفلات هذا المجتمع المخملي اللندني برفقة امرأة جميلة أعجبت به وبفروسيته.

لكن حدقتي عينيه بقيتا كما هما تراقبان وتحســبان وتخططان وتذوبان عاطفة عندما يتطلب الأمر.

الجاكيــت المخملي قرمــزي اللون، والقميص المذيــل بالدانتيل الأبيــض ووردة في اليد، وقبضه اليد الأخرى على السيف.

(الفصل العشرون)

عملية الاوبك, وفصل كارلوس من العمليات الخاصة

ايلييش سانشيز من باريس إلى فينا

علاقة القوميين الاجتماعيين بالنضال ضد الاســتعمار والاستعمار الاستيطاني علاقة وثيقة، فلها أساس فكري وإيديولوجي.

فالزعيــم أنطون ســعادة كان مــن أوائل الذي تنبهــوا إلى خطورة الغــزوة الصهيونية، وارتفقت ندواته للتوعية حول ذلك مع انتفاضة الشعب الفلسطيني عام ١٩٢٩.

كانت زياراته لفلسطين كثيرة ومديدة.

وفي شمال فلسطين، والجليل كان له شعبيه واسعة.

كان أبنــاء القرى يســيرون على الأقــدام يومين لســماع محاضرة للزعيم حــول الغزوة الصهيونية، وحول الســبيل الوحيد لمواجهتها: المقاومة من خلال تنظيم مسـلح اسـماه "الزوبعة".

فكــرة الكفاح المســلح ضد الغــزاة، وتوجيه الضربــات لهم كانت فكــرة متجذرة لدى القوميين الاجتماعيين، وموجودة في عقلهم ومبادئهم.

لذلك اجتذب وديع حداد "المعلم" قوميين اجتماعيين ذوي قيمة كبرى.

تماما. كما اجتذب الزعيم انطون سعادة فلسطينيين ذوي قيمة كبيرة فكريا أمثال: هشام الــشرابي وفايــز الصايغ وغيرهم، فان المعلم وديع حداد اجتذب لســاحة القتال قوميين ذوي قيمة أمثال: بشــير عبيد وكمال خير بيك، وميتشــل مكربــل وكوادر عديدة أخرى ساهمت عمليا في ساحة المعركة في النضال ضد عدو الأمة الامبريالي الصهيوني.

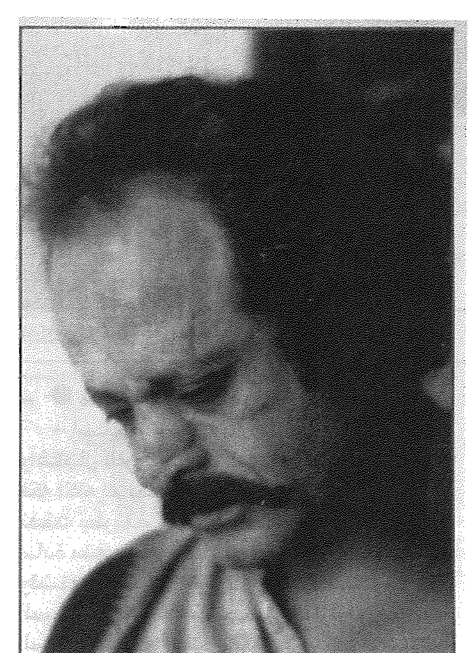
ميشيل مكربل كان مناضلا يعمل بصمت ضد العدو الصهيوني. كان حلقة وصل بين وديع حداد ومجموعاته في أوروبا.

كانت باريس بالذات مدينة أليفة للبنانيين درسـوا فيهـا أو زاروها مـرارا أو تعاملوا معها فنيا واقتصاديا وعلميا.

وشـاءت الأقدار أن تكون تجربه كارلوس الكبيرة الثانية في باريس فقد فتح له وديع حداد مرة أخرى البـاب ليتحول إلى بطل ويسجل أهدافا في مرمى العدو.

فقد أرسـله إلى باريـس ليتأقلم فترة من الوقت مع أجـواء باريـس. وكعادته قام كارلوس بكل ما يلزم العمل ويلزمه ليتابع العمل بهمة اكبر.

فالأمـر كان بان يـدرس الأوضاع ويحافظ على أمنه، ويتأقلـم ويأقلم من هم حوله إلى أن تصله التعليمات والأوامر.



الشـهيد كمال خير بك، قيادي في الحزب السوري القومـي الاجتماعي مـن بلدة قرداحة بسـوريا، استشـهد في بيروت هو وزميله بشير عبيد على يد مجموعة يعتقد بعمالتها للمخابرات الاسرائيلية.

فأقام في شقه على سطح إحدى البنايات القديمة من بيوت للرهبان ومنهم بعض رهبان أميركا اللاتينية، الذي كانوا يشـنون ثورة داخل الكنيسـة للتخلص مـن التقاليد البالية والتعامل مع الناس بأسـلوب جديد لإرشادهم لطريق الصلاح. فقد كان الإصلاح داخل الكنيسة طريقهم لصلاح البشر.

الغرفة كانت واسـعة ومريحة. فيها سرير واحد ومقعد طويل يصلح ليكون فراشا ثانيا، وطاولة صغيرة، وكرسيان، ولها شباك واسع اشبه بالباب يؤدي إلى السطح حيث وضعت بعض قوارير الزهور.

كانـت أرضية الغرفـة والممر المؤدي لها من الخشـب القديم الذي فشـلت محاولات التنظيف، والتلميع إصلاح حاله أو تجديده، فبدا كأنه قطعة أثرية أكل الدهر عليها ثم توقف.

خلال شـهر أيار، وبعد أن قضى قرابة الشهر في التأقلم والتأمل والتجول، وصله طرد مع رفيق مبعوث من «المعلم وديع» وبعد أن أعطاه كلمة السر تسلم منه كارلوس الطرد.

غادره الرسول دون أن يعرف بنفسه أو يدعي انه يعرف لمن يسلم الطرد.

كان الطرد يحتوي على السـلاح والذخيرة مع ورقة صغيرة قدت من صفحة دفتر طلاب المدارس.

القصاصة كانت تطلب منه «همة وانتظار» التعليمات، والتوقيع كان «وعد» وهو الاسم الذي كان يستخدمه المعلم وديع في رسائله.

تفحص السلاح، شحنه بالذخيرة، وتركه ينام في حقيبة يده الجلدية السوداء.

خلال تلك الفترة الطويلة أقام كارلوس كما هو متوقع علاقات متشـعبة اغلبها مع نساء جميلات، وبعض الرهبان اللاتينيين.

في شـهر حزيران من ذلك العام ١٩٧٥ اسـتدعى وديع حداد ميشيل مكربل في بيروت، وأعطاه تعليمات محدده ليحملها إلى كارلوس.

كانت تلك المعلومات تتضمن المهمات الموكلة له لتنفيذها والعودة بعدها إلى بيروت.

وجهز ميشيل نفسه للسفر إلى باريس.

اثناء مغادرته مطار بيروت في السابع والعشرين من حزيران، استدعاه رجال المكتب الثاني بطريقة شبيهة بالاعتقال وسألوه عن رحلته لباريس وعلاقاته بالتنظيمات الفلسطينية.

كان رجـال المخابـرات اللبنانيين سـواء ارتبطوا بالموسـاد أم لا مرتبطـين باتفاقات مع الفرنسيين للتعاون الأمني.

وابلغ اللبنانيون جهاز مكافحة الإرهاب الفرنسي بمشـيل مكربل وشكوكهم حول رحلته

لباريس. وترك ليسافر.

مـا أن وصل باريس حتـى تلقفه رجال المكافحة، أخذوه إلى مـكان بعيد خارج المطار، وأمطروه بالأسئلة، وخضع لتحقيق مؤلم حول مهمته.

لاذ بالصمت حول طبيعة المهمات لكنه اعترف بأنه قادم ليرى شخصا ليبحث معه أمورا سياسيه تتعلق بالشرق الأوسط.

طلب رجال المكافحة من ميشيل مكربل أن يقودهم لهذا الشخص.

حسبما روى له كارلوس فيما بعد، كانت التعليمات الصادرة من وديع حداد ألا يذهب لرؤيته أكثر من شخص واحد.

وفي تلك الليلة كان كارلوس يستضيف فتاة جميلة أصلها من الأرجنتين.

بينما هما يشربان كأسا من النبيذ الأحمر ويتحدثان مستلقين على الأريكة سمع كارلوس خطوات ترتطم بخشب الأرضية الممر القديم.

كان ارتطام عدة أقـدام ليس ارتطام قدمين اثنتين فقط. وقدر أن يكون القادمون ثلاثة ليس واحدا.

والحقيقة أن القادمين كانوا ميشـيل مكربل وثلاثة ضبـاط من جهاز المكافحة (DST) نهض كارلوس بسرعة مرتديا سرواله وهيأ مسدسه بعد أن لبس حذاءه.

جلس إلى حافة الأريكة مواجها الباب مواربة.

ومـا أن توقفت الخطوات أمام بابه، حتى قال بصوت ضاحك وعذب ادخل يا ميشـيل فالباب مفتوح.

ودخل ميشيل والضباط.

أربعة رصاصات انطلقت بسرعة البرق وتحول الواقفون بالباب إلى أربعة جثث.

نظر كارلوس إلى الجميلة التي كانت ترتجف.

ابتسم وتقدم منها وقدم لها وردة.

انحنى أمامها قائلا: سنتابع في المرة القادمة، وأسرع نحو الشباك فالسطح فطريق الهروب إلى مطار اورلي وتوجه إلى بيروت قبل أن يعي جهاز المكافحة ماذا جرى؟

لماذا قتلت ميشيل ؟ سأل المعلم وديع كارلوس بعد وصوله بيروت.

أجابه كارلوس: لقد خاننا والخائن يعدم. هذا كان جواب كارلوس.

أجابه وديع. كنا استفسرنا منه عن أسئلة الأمن اللبناني وأسئلة الأمن الفرنسي فهذا مهم.

كان المعلم وديع حداد يركز دائما على عمل كبير له نتائج سياسية كبيرة لخدمة قضية فلسطين والأمة العربية وحركات التحرر إجمالا والقوى الثورية الحليفة في البلدان الرأسمالية.

وفي الوقت الذي ينكب فيه هو على التخطيط والاستطلاع ودراسة العقبات وإيجاد الحلول لها كانت البرامج الأخرى مستمرة وهي برامج لإشغال العدو طوال الوقت، وعدم ترك فرصه له ليرتاح. كان يرفع شعار وراء العدو في كل مكان، لكن الحقيقة كشفت ان العدو يلهث وراءه في كل مكان.

دعا أنور السادات في شهر آب من العام ١٩٧٣ الرئيس ياسر عرفات للقاهرة، وطلب ان يكون وفده (أن أراد وفدا) أن يكون مختصرا جدا، ومن قيادة فتح فقط، وليس من التنظيمات الأخرى.

فتوجه ياسر عرفات للقاهرة، وعندما عاد عقد اجتماعا للقيادتين الأعلى لكل من فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي كانت تربطها بفتح في تلك الفترة علاقات تحالف داخلي استراتيجية.

وعندما التأم الطرفان سأل أبو عمار بعد أن جال بعينيه بين الحاضرين: أين الدكتور وديع ؟

أجاب الحكيم جورج حبش: انه مسافر في مهمة، ولم يتمكن من الحضور.

علق أبو عمار: كان ضروريا أن يحضر هذا الاجتماع التاريخي.

دخل أبو عمار في الموضوع، بسرعة واختصار "الحرب آتيه".

ومطلوب منا أن نشارك بفعالية ليكون لنا حصة من عائدات الانتصار.

وأمامنا ثلاثة محاور.

المحور الأول: محور الجبهة السورية، الجولان من خلال جيش التحرير الفلسطيني.

المحور الثاني: الجبهة اللبنانية من خلال قوات الثورة.

المحور الثالث: العمليات الخاصة لإرباك العدو، وإنزال الخسائر بصفوفه.

تم الاتفاق، وبدأ التحرك.

منذ تلك الأيام نقل أبو عمار مقر قيادته للبقاع الغربي وراح يشرف بنفسه على توزيع وإعادة موضعة القوات، وتشكيلات الأسلحة والمدفعية والصواريخ.

عقد اجتماع مع قائد جيش التحرير الفلسطيني لتنسيق الدور على جبهة الجولان.

وتم الاتفاق أن يكون دور جيش التحرير دور تطهير تلال الجولان: تل أبو الذهب، وتل الفرس، وغيرها من الإسرائيليين قبل تقدم الجيش السوري، وذلك من خلال القوات الفلسطينية الخاصة المحمولة بالهيلوكبتر.

وتم هذا وسقط ٢٢٨ شهيدا من جيش التحرير الفلسطيني. ولقد استمعت بنفسي، وكنت بمقر قائد جيش التحرير لما كان يدور في كل طائرة بين قائد القوة وأفراد قوته.

لم اسمع بحياتي كلاما يشد ويرفع المعنويات ويدل على أعلى مستوى من الجاهزية للتضحية كما سمعت ذلك اليوم.

على الجبهة اللبنانية تقدمت القوات، وسيطرت على سفوح جبل الشيخ.

أما العمل الخاص: الخارجي فقد استمر على وتيرته. وكان أهم ما أنجزه المجال الخارجي في هذا الإطار هو لفت كل الاهتمام الإسرائيلي عن الجبهة المصرية، وشده نحو شوارع

باريس ولندن وبيروت.

كانت هذه اكبر نكسة منيت بها مخابرات اسرائيل على مر السنين.

وشـكل ذلك هزيمة كبيرة بكل الأعراف لجيـش كان يتباهى بأنه أقوى جيوش المنطقة، والجيش الثالث في العالم.

اسـتمر وديع حداد في التحضـير للعملية الكبيرة هذه المرة كانـت العملية ذات أبعاد عميقة وبعيدة.

فهي تصوب السهام لعصب الحياة في البلدان الرأسمالية: النفط.

وهي تكشف تحالف أنظمة معروفه بقهر شعوبها مع الامبرياليين.

وهي عملية تشـير إلى أن المسـاعدات التي تنهال على إسرائيل من العالم الامبريالي هي جزء من أرباحه الطائلة التي من خلال أنظمة ترتهن للامبرياليين.

وانطلاقا من هذا كانت الأهداف أيضا عميقة البعد:

فقـد كان المعلم وديع يريد من كل دولة من هذه الدول أن تدفع المال لتمويل الحركة الثورية التي تقاتل للتحرر من قيود وأصفاد الامبرياليين والصهاينة.

كان وديع حداد يريد من هذه الدول أن تعترف بحقوق الشـعب الفلسـطيني وعدالة نضاله.

كان وديـع حـداد يريد من هذه الدول أن تفرج بما لديهـا من ثروات ونفوذ عن أسرى الحرب من الفلسطينيين وحلفائه الدوليين.

كانـت هـذه العملية، كما كان غيرها مدخـلا للحلفاء، واعلانا عن مشـاركتهم العملية الثوريـة في القتال مع حركات التحرر ضـد الامبريالية والصهيونية، كانت مدخل اللجان الثورية الألمانية الذي أتاحه لهم المعلم وديع حداد.

بعد عودة كارلوس من باريس جلس ينتظر مهمة جديدة.

إذ حتـى ألان لم يتمكن كارلوس من دخول عالم "البطل" التي رسـمه له الدكتور وديع حداد. والسبب عدم إتمام العملية الكبيرة التي كان من المفترض أن يقوم بها بعد استلام التعليمات من ميشيل مكربل.

كان المعلم وديع حداد قد أنهى كافة التحضيرات اللازمة لشن عمليته الضخمة الجديدة، فقــرر وديع حداد أن يمضي قدما ويعطي كارلوس الفرصة مرة أخرى، وان يفتح له باب الشــهرة العالمية، في الوقت ذاته أن يفتح للخلايا الثوريــة الألمانية التي اثبت أعضاؤها جدارة وقدرة ورغبة في النزول إلى ساحة المعركة.

المجموعة التي كلفت تكونت من ســتة أشخاص، ايليش سانشيز بالقيادة بعد أن خضع لتدريب خاص وافهم كافة مداخل ومخارج العملية وسلم كافة الوثائق اللازمة.

كانــت فرق "العقل المدبر" قد جهزت الأســلحة اللازمة، ووضعــت في حقائب رياضية يســتخدمها لاعبــو التنس مع مضارب التنــس المختلفة في كل حقيبــة، وثياب الرياضة (شورت، وقميص رياضي ابيض، وقبعات رياضية، وأحذية التنس البيضاء).

وحددت مواعيد الإقلاع، ومواعيد الوصول، وســاعات اللقــاء، ودقيقة التوجه معا لمقر الأوبــك في فينا/ النمســا، حيث يعقد الاجتماع الوزاري مجلــس الأوبك/ الدول المنتجة والمصدرة للنفط.

تحركت المجموعة يوم ٢٠ ديسمبر باتجاه المقر - بعد أن التأم شملهم وعقدوا اجتماعا قصيرا جدا.

وراحت المجموعة تسير الهوينا، تحمل حقائب التنس. وبعضهم حمل المضرب بيده فيما الحقيبة على كتفه. وكانوا يضحكون ويلعبون أثناء سيرهم نحو الهدف.

ضمت المجموعة: جابربيلي كورخر تيدمان Gabriele krocher tidemann

التي بدأت الهجوم بشجاعة وجرأة نادرين.

جمعت الوزراء وأخذتهم كرهائن.

قــام كارلوس بعد ذلك بالرد على الســلطات النمســاوية التي راح أمنها يســتفسر عما يريدون.

أثناء ذلك حاول احد حراس وزير النفط العراقي، تايه عبد الكريم (آنذاك) أن يسحب مسدسه من حافظته، فأطلق غابريلي عليه رصاصة أصابته في الرأس، فارتعب الجميع، وطالب بعضهم البعض بالهدوء، وعدم الإتيان بحركة.

طلب كارلوس من النمساويين، بث بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول القضية الفلسطينية وما يتعرض له الشعب الفلسطيني، وعن حق الشعب الفلسطيني في الكفاح لتحرير وطنه وعن عداء الدول التي تدعم إسرائيل للإنسان والحرية وحق تقرير المصير. وشدد الطلب على أن يتم البث كل ساعة من الإذاعة والتلفزيون النمساوي على كافة الموجات والقنوات.

وتم ذلك.

واستمرت المفاوضات. فقد طلب مقاتلو الجبهة الشعبية طائرة ومسلكا أمنا للإقلاع.

طالت المفاوضات مع الحكومة النمساوية عبر ضابط أمنها وذلك لصعوبة قبول قبطان طائرة، يوافق على أن يضع نفسه تحت رحمة مسلحين يختطفون عشرات الأشخاص ويحتجزونهم كرهائن.

إلا أن هذه المشكلة حلت عندما وافق ضابط البحرية (كان في البحرية الملكية سابقا كطيار حربي) واسمه نيفيل اكينسون NEVILLE AKINSON على قبول المهمة.

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الضابط السابق القبطان نيفيل اكينسون كان آنذاك واستمر لفترة من الوقت الطيار الخاص للرئيس معمر القذافي، الذي لا شك ساهم بإقناعه سواء اكان بالضمانات حول سلامته أم بالا كرامية السخية.

طار اكينسون من فينا للجزائر حيث حطت الطائرة، وبدأت مفاوضات من نمط جديد.

كارلوس قاد المجموعة التي ضمت صديقه الجديد كلاين.

كان هانس يواخيم كلاين ينتمي للخلايا الثورية الألمانية، وكان قبلها من اشد المتحمسين لأندرياس بادر واولريكه ماينهوف الذي سجنا وقتلا لاحقا في السجن على أيدي جلاديهما.

كما ضمت المجموعة غابرييلي تيديمان، وبعض مقاتلين فلسطينيين.

لكــن القيادة والعمل منحهــما الدكتور وديع حداد لكارلوس والخلايــا الثورية الألمانية ليفتح لهم أبواب العمل الثوري وعالم البطولة على مصراعيه.

(الفصل الواحد والعشرون)

المعلم وديع حداد رفض إعدام كارلوس وتوقع له الفشل

(المال لا يصنع الثورة، الثورة تصنع المال)

قاد المفاوضات مع كارلوس وزير الخارجية الجزائري بوتفليقة (رئيس الجزائر الان) وكان من امهر المفاوضين، وله شخصيه محببة، ومنفتح العقل، وواسع الثقافة.

كان متوقعـا، انـه في حال هبوط الطائـرة في مطار الجزائر، وإبـداء رغبة الخاطفين في التفـاوض فيـما هم جاثمون على ارض مطار هواري بو مدين ـ أطلق عليه هذا الاسـم لاحقـا ـ فان اتصالات الدول التي يحتجز الخاطفون وزراءها سـوف تتركز على الجزائر، وعلى بوتفليقة بالذات.

لا يوجد لدي أدنى شـك، بان الاتفاقات التي عقدهـا بوتفليقة مع الدول لا يعرف عنها كارلـوس الا القليل. وان المبالغ التي حصـل عليها كارلوس هي القليل القليل من الكثير الكثير الذي دفع.

أمـام عروض بوتفليقة تـراضى كارلوس، ولم يعد يفكر بتنفيـذ تعليمات «المعلم» هذه كانت بداية نهايته. فقد خلقه وديع ليكون بطلا، لا ليكون خاضعا للإغراء.

عدم تنفيذه للتعليمات أجهض التأثير الزلزالي للعملية، كما خطط له وديع حداد.

فقـد كان بإمكان القائد وديـع أن يجبر الدول، دولة بعد دولة عـلى الرضوخ لطلباته، ومع كل طلب كان مخططا لموجة إعلامية لا تترك مجالا لأحد في العالم للحديث الا عن الفلسطينيين وحقوقهم.

عرض على كارلوس مليون دولار فداء كل وزير من الموجودين واللجوء السياسي، والإفراج

عنه وعن فريقه لاحقا. وحمايتهم من أي طلب تسليم لدولة من الدول.

- هــذا مــا نمي ألي من بعض أصدقــائي الجزائريين ومنهم رجال امــن كبار. وطلب من الدول عشرين مليون دولار عن كل وزير ؟

وراحــت أفكار كارلوس تحوم في عالم مــا قبل التحاقه بالجبهة. الثورة في فنزويلا وأميركا اللاتينية. المبلغ الضخم المعروض.

(٤٠ مليون دولار وقد تصل إلى ٥٠ مليون دولار) سوف تكون المفجر للثورة في فنزويلا، ولاحقا أميركا اللاتينية.

شــعر خطأ بأنه قوي وقادر على اخذ القرار، والتحكم لأنه وحده المســئول، فقد سلمه وديع حداد قيادة العملية.

لكنه تناسى أن «المعلم» حدد له الهوامش، وحدد له أن نجاح العملية يبدأ بحسم تردد وتلكــؤ الدول بإعدام أول وزير نفــط حتى يعرف الآخرون جديــة «المجال الخارجي» وجدية وديع حداد.

وكان الاختيار الأول هو إعدام الوزير الإيراني.

كان الوزراء يرتعدون خوفا حتى قبل تنفيذ الإعدام الذي لمح له في الطائرة.

احمد زكي اليماني حاول أكثر من مرة الحديث مع كارلوس حول هذا العمل وانه يستطيع أن يدبر له المال أن كان الهدف من العملية اخذ فديه.

لكن بوتفليقة كان أسرع، وأكثر تأثيرا على كارلوس، إذ كان يملك ضمان سلامته وخروجه من هذا المأزق حاملا أموال طائلة ليس فقط الحصول على المال.

تــم الاتفاق مبدئيا، وأفرج كارلوس عن جزء كبير من الرهائن وطارت الطائرة لطرابلس، على أن تعود للجزائر.

طرابلس دفعت نيابة عن الدول، كقرض (للكاش) وبعد عودة الطائرة للجزائر أفرج عن البقية، وسلم كارلوس والفريق انفسهم للجزائريين الذين أنزلوهم تحت حراسة مشددة

في منطقة نادي CLUB DES PINS على ساحل البحر، وهي منطقة تضم قصر الثقافة ومجموعة من الفيلات الفخمة المعدة لضيافة رؤساء الدول.

وتحت حجة انتظار شـفاء هانس كلاين الذي مرض وأرسـل للمستشـفى بقي كارلوس والمجموعة فترة طويلة في الجزائر كان خلالها موقع تكريم وحماية.

(كتب بعض الصحفيين أن كارلوس عاد من ليبيا بتعهد ليبي بدفع مليون دولار شـهريا لـه، وهذا ما لا علم لي به، لكنني اعلم أن ليبيا كانت، وربما ما زالت تدفع مليون دولار لمركز أبحاث عربي أسسه الدكتور وديع حداد في بيروت قبل ذلك.

وأخيرا غـادر كارلوس الجزائر وصدرت له الأوامر بالتوجـه إلى عدن. فتوجه لها لمقابلة الدكتور وديع حداد بعد أن هبط في طرابلس الغرب لعدة أيام.

في عـدن عقدت قيادة العمليات الخاصة اجتماعا لبحث ما جرى والكارثة التي سـببها كارلوس. تراوحت آراء القيادة بين حكم الإعدام رميا بالرصاص أو السجن أو الطرد.

وجـرى لقاء بين المعلـم وديع وكارلوس، كان خلاله كارلـوس يخاطب الدكتور وديع بـ: MASTER أي المعلم أو السيد أو العقل. وعلا صوت الدكتور وديع وهو يوبخ كارلوس:

«أنت منفذ ولسـت نجما سـينمائيا، لا مكان لدي لممثلي السينما ونجوم السينما، لدي مكان للأبطال الذين يضحون في سبيل قضايا التحرر والحرية، ليس الذين يغريهم المال.

لقد خربت علينا عملية تاريخية.

شرح كارلوس الظروف، وعن القدرة على تحصيل مال للعمل.

أجابه الدكتور وديع حداد:

المال لا يصنع ثورة، الثورة التي يقودها رجال أبطال هي التي تصنع المال وتنتزع الحرية.

كانت القيادة قد تركت للقائد وديع حرية اخذ القرار بالنسبة لمصير كارلوس، ووضعت بين يديه كافة الخيارات.

أخيرا قال وديع حداد:

لا مكان لـك بين صفوفنا أيها "النجم" اذهب وابحث عن طريق الثورة. وعندما تحتاج

مساعدتي سوف أساعدك أذا كان هدفك ضرب العدو وانتزاع الحرية.

أصدرت تعليماتي بعدم التعرض لك واحترامك فأرجوك أن تغادر. ولا أريد أن أراك مطلقا الا اذا احتجت لمساعدتي.

هكذا أسدل وديع حداد الستار على "مشروع بطل" لم يتم.

كان كلاين (هانس يواخيم كلاين) يلازم كارلوس الذي شعر فجأة انه ضعيف دون "المعلم". فقد كان دائما يشكل له إسنادا ومرجعا ويشعره بالأمن والطمأنينة. والان عليه هو أن يشعر من يعمل معه بالأمن والأمان، وبأنه مرجعية ذكية، وان له عقلا مدبرا.

وبرهنت التجارب أن كارلوس كان بحاجه للمعلم وديع، وانه لم ينجح أبدا في أن يكون عقلا مدبرا. فلم يعد منفذا جيدا لأنه أصبح صاحب مشروع تنظيم، ولم ينجح في أن يكون عقلا مخططا.

حزنت حزنا شديدا لما جرى لصديقي. لكنني كنت اعرفه وافهمه. فقد طغت الذات عنده في لحظات الأوبك. وفقد الحكمة والرأس فضاع.

فقدت صديقي الفارس المبتسم، الوسيم الذي يحمل وردة حمراء ويرتدي قميصا ابيض أطرافه من الدانتيل وسترة مخملية قرمزية اللون.

كفه التي تحمل الوردة، كانت توازي كفه الأخرى الممسكة بقبضة السيف العربي الذي استعارته اسبانيا من العرب والفنزويلين من الأسبان. وودعت كارلوس غيابيا.

ابتسم لي. حدقتا عينيه المدورتين كانت مليئتين بالحزن والتحدي والخوف من المستقبل.

كان يسير خارجا من الباب الذي فتح له على مصراعيه ليواجه عالما جديدا مليئا بالدسائس والاندساس والتجسس والملاحقة والرغبة في الانجاز والرغبة ببناء تنظيم.

عالم من الحلم الثوري الذي اكتشف كارلوس لاحقا ان ما قاله له المعلم عن هذا العالم كان صحيحا:

«المال لا يصنع ثورة، الثورة تصنع المال».

كم أتمنى أن أراه. فله مكانة في قلبي كبيرة.

(الفصل الثاني والعشرون)

عملية عنتيبة: إسرائيل نجحت بفضل عيدي أمين ليس بمهارتها

الطاووس الأوغندي قدم لإسرائيل الانتصار على صحن من فضة.

في الليلة التي هاجمت فيها القوات الإسرائيلية المكونة من مئتي عنصر وضابط ينتمي معظمهم للقوات الخاصة التي يطلق عليها في إسرائيل «سـيارات متكال» كان الدكتور وديع حداد يجلس إلى طاولة العشاء مع رئيس يوغندا عيدي أمين.

لم يأكل وديع حداد- فقد سـدّت نفسـه عن الأكل، وكلّ لسانه وهو يطالب عيدي أمين بتوزيع الرهائن على فنادق كمبالا.

كان عيدي أمين يضحك بين السمكة والأخرى ويقول سوف ألقنهم درس.

لا تقلق لقد وزعت كتيبتين من القوات اليوغندية حول مبنى المطار.

وكان يقصد مبنى مطار كمبالا القديم المهجور التي قامت ببنائه شركة مقاولات إسرائيلية قبل فترة طويلة.

كرر وديع حداد الطلب قائلا:

«نحـن نعرفهم جيدا، لا يوجد لدي أدنى شـك بأنهم سـيهاجمون المطـار، فلماذا تأخذ المجازفـة. اذا وزعت الرهائن على فنادق كمبالا سـيعجز الإسرائيليون عن توجيه ضربة أو شن هجوم.

أكمل عيدي أمين التهام السـمك واحدة تلو الأخرى، فيما يتحرق وديع شـوقا لسـماع موافقته.

تحرك الجسـد الضخم أخيرا وقال: سوف أعطي تعليمات استثنائية بالحذر واليقظة، ولا

داعي لتوزيعهم على الفنادق.

كان كلامه هذا هو الرد النهائي.

خرج وديع حداد من القصر، وتوجه فورا للمطار، واجتمع بالمجموعة المسئولة.

كان الحـــاج فايز، وأبو الدرداء وجايل العرجا، والألمــان التابعين للخلايا الثورية الألمانية، وهو فصيل ثوري ألماني يؤمن باستراتيجية الانخراط في قتال الامبرياليين من خلال حركات التحرر.

كانت الألمانية بريجيتا كوهمان، وكان الألماني ولفرد بويزي ضمن مجموعة عنتيبي.

رغـــم أن وديع حداد طلب منهم الانســحاب والســفر بعد نجــاح الاختطاف الا أنهما رفضا، وقررا البقاء مع المجموعة الفلســطينية وقاتلا جنبا إلى جنب معهم، عندما شـــن الإسرائيليون هجومهم، وســقطا شــهيدين جنبا إلى جنب مع الفلسطينيين، الحاج فايز جابر وجايل العرجا، والعراقي أبو الدرداء الذين سقطوا شهداء في مطار عنتيبي بيوغندا.

ولفرد بويزي WILFRED BOESE كان رئيس الخلايا الثورية وتســلم بعده المســئوليه يوهانس واينريتش. YOHENNS WEINRICH

الذي كانت مجادلينا كوب عشــيقته، وهـــي ثورية ألمانية جميلة الوجــه والقوام التي تزوجت لاحقا من كارلوس، ايليش راميريز سانشز.

ابلغ وديع حداد المجموعة بأنه على يقين بان إسرائيل ســتهاجم وســيكون ذلك بإنزال قوات على ارض المطار محمولة جوا.

وسيكون معها معداتها الثقيلة والخفيفة "كان الله معكم".

غادرهم وديع، ويده على قلبه، وعقله يعرف أن عناد عيدي أمين سوف يفشل العملية، وينزل خســائر فادحــه. لكنه لم يكن قادرا عــلى اجبار عيدي أمين الــذي كان يتصرف "كالطاووس" على توزيع الرهائن لإفشال عملية إسرائيل.

اســتنفرت إسرائيــل منذ لحظــة الخطف أجهزتهــا، وعندما حطت الطائــرة في عنبتي،

استنفرت محطتها الموساد المركزية الموجودة أصلا في نيروبي ـ كينيا.

اختطف الطائرة فريق مكون من اثنين من أعضاء الخلايا الثورية الألمانية، وثلاثة فلسطينيين ذوي مرتبة قيادية عليا.

فقد كان أبو الدرداء العراقي وهو احد المخلصين الخلص للدكتور وديع حداد وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ورجل مشهود له بالجرأة والشجاعة.

والحاج فايز جابر من الخليل، كان مناضلا عنيدا لا تعرف الابتسامة طريقها إلى وجهه، يقاتل كالأبطال، وهو بطل شجاع قاد تنظيم حركة القوميين العرب الفلسطيني تحت لواء جيش التحرير الفلسطيني اسم التنظيم ـ أبطال العودة ـ وقاد في عام ١٩٧٠ قوات صلاح الدين المحمولة ثم التحق بالمجال الخارجي العمليات الخاصة تحت قيادة المعلم وديع حداد.

وجايل العرجا القيادي المسئول عن الجاليات الفلسطينية في أمريكا اللاتينية، وعن العلاقات مع الفصائل الثورية اللاتينية. وهو مسيحي من بيت جالا ـ مناضل شجاع لا يعرف الخوف سبيلا إلى قلبه.

كانوا مسلحين برشاشات من نوع كلاشنكوف، وعدد محدود من القنابل اليدوية، ستة قنابل. فقد رفض عيدي أمين تزويدهم بمزيد من الأسلحة لان "قواته جاهزة ومستنفرة".

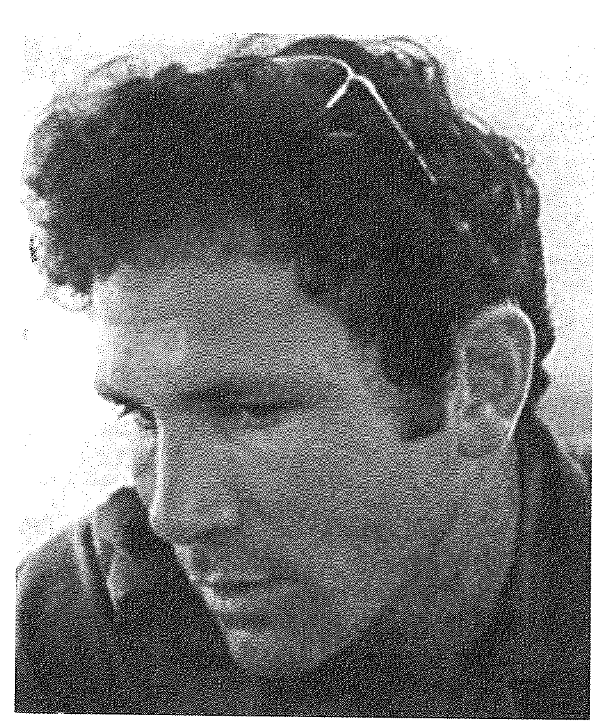
تعليمات ومخططات المطار كانت بيد إسرائيل فشركة المقاولات الإسرائيلية التي بنته زودت الجيش بها.

وسلمت قيادة القوة الإسرائيلية، مجموعة جوا وأرضا، لجوناثان ناتنياهو، شقيق رئيس وزراء إسرائيل الحالي بنيامين ناتنياهو. كان بنيامين ناتنياهو اثناءها يعمل في شركة تسويق أميركية، وكان يحمل الجنسية الأميركية.

شقيقه جوناثان كان ضابطا متقدما في القوات الخاصة سياريت متكال. قاد قوة من مئتي رجل يرافقهم، طواقم طبية واتصالات وغرفة عمليات كاملة.

حملتهم طائرة C-32 إلى نيروبي، هناك وضعت اللمسات الأخيرة، وأقلعت الطائرة بهم

عند ساعة الصفر إلى كمبالا والى مطار عنتيبي.



جوناثن نتنياهو

أثناء طيرانها نحو عنتيبي حصل أمر غريب على ارض مطار عنتيبي القديم، فقد اصدر الضابط المسؤول الأمر لثلثي القوة المنتشرة، بالانسحاب من المطار، وأبقى الثلث وهو قرابة مئتي جندي.

فقد تسلم هذا الضابط اتصالا من صديق له في نيروبي، طلب منه إصدار ذلك الأمر ففعل، وغادر هو الآخر موقعه، وبقي الجنود المستائين وحدهم.

لمس الحاج فايز والألمان هذا التحرك. وترجم لهم جايل ما قاله الحاج فايز من أن هنالك ـ كما يبدوـ تآمرا ما. وعلينا أن نواجه وحدنا، لذلك علينا اخذ مواقع مناسبة.

اقترح بويزة أن يستخدم الرهائن دروعا لمنع الإسرائيليين من الوصول أليهم، الا أن كلامه قوطع بطلقات من رشاش بريجيت التي صرخت بأعلى صوتها "أنهم يطوقوننا".

كانت الطائرة قد هبطت على مدرج بعيد قرب المبنى الجديد وسارت سيارات الجيب المحملة بالقوات دون إضاءة المصابيح.

وتوزع الجميع وبدأت المعركة.

افرغ الحاج فايز مخزنا من الرصاص في قائد الحملة من رأسه لاخمص قدميه لأنه يعرف أنهم يلبسون دروعا واقية.

وأفرغت بريجيت مخزنها، وتمكن أبو الدرداء وجايل من أطلاق بعض الطلقات، وكذلك فعل بويزه.

لكن الجميع سقطوا شهداء.

في السابع والعشرين من حزيران من العام ١٩٧٦ اختطفت طائرة ايرفرنس (الرحلة رقم ١٣٩) وكانت من طراز ايرباص A300

وتحمل رقم التســجيل (F-VGG) في الأجواء اليونانيــة وهي متوجه إلى باريس. كانت الطائــرة قــد وصلت إلى مطار أثينا من مطار بن غوريــون في توقف قصير تكمل بعده رحلتها إلى باريس.

كان على متن الطائرة ٢٤٨ راكبا، وطاقمها مكون من ١٢ شخصا.

تم اختطاف الطائرة في الســاعة الواحدة بعد الظهــر بتوقيت أثينا كانت قد أقلعت في الثانية عشر والنصف.

وأمر القبطان بالتوجه إلى بنغازي فيى ليبيا للتزود بالوقود.

وفي مطار بنغازي، أخرت الســلطات الليبية تزويد الطائرة بالوقود ريثما تجري اتصالات مع فرنســا والولايات المتحدة لتستشــير حول الموقف، وعما اذا كان من الأفضل تزويد الطائرة بالوقود أم تركها دون وقود مهما حصل، ومهما كان رد فعل الخاطفين.

في بنغازي بدأ الهدف من الاختطاف يتضح، فقد طالبت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الإفراج عن أربعين أسير حرب فلسطيني يرزحون في سجون إسرائيل، وثلاثة عشر معتقلا آخر موجودين في سجون كينيا وفرنسا وسويسرا وألمانيا الغربية.

وأعلــن الخاطفان وهما ألمانيان باســم العمليــات الخارجية للجبهة الشــعبية لتحرير فلسطين أن ابتداء من الأول تموز سيبدأون بإعدام الرهائن في حال عدم تلبية مطالبهم.

طلبت فرنسا من السلطات الليبية أن تزود الطائرة بالوقود فتم ذلك.

طلب الخاطفون امدادهــم بالدرج درج الطائرة اللازم لإنزال رهينة من الرهائن تواجه

صعوبات في وضع طفلها التي تحمله في شهرها السابع، وإنها ربما تضطر للإجهاض.

فاقترب السلم، أنزلت الرهينة.

ما أن ابعد السلم حتى بدأت المحركات تدور وتتهيأ الطائرة للإقلاع. من بنغازي أقلعت الايرفرانـــس إلى يوغندا، والى مطـــار عنتيني حيث حطت الطائرة، وأعلمت الســلطات اليوغنديه بأمر الاختطاف ومطالب الخاطفين.

في تلك الأثناء وصل إلى يوغندا وفد من الجبهة الشـعبية، العمليات الخارجية برئاســة الدكتـــور وديع حداد. واجتمع فورا باليوغنديين وطلب الرئيس عيدي أمين رؤيتهم. فتم ذلك.

طلب حينها وديع حداد الســماح لهم بالتفاوض، عــلى ارض يوغندا فوافق عيدي أمين، ونبــه وديع حداد من أن إسرائيل شرعت في الأعداد لهجوم، وان معلومات الجبهة تفيد بان التنســيق يتم على أعلى مســتوى مــع كينيا، وان هنالك ضبــاط يعملون مع جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" ولهم صداقات في يوغندا.

طلب أن يوزع الرهائن على أكثر من فندق في العاصمة كمبالا. ألا انه رفض قائلا: قواتي ستحمي الموقع.

صــدرت الأوامر بالإفراج عن كل الرهائن باســتثناء الإسرائيليين ليتم التبادل بينهم وبين الأسرى المطلوبين.

اســتعانت إسرائيل بالكينيين، واســتخدمت خيوطها المخابراتية وانسحبت معظم قوات عيدي أمين، وتم الهجوم كما ذكرنا.

واستمرت المعركة قرابة الساعتين.

قــاد العملية الإسرائيلية دان شــامرون، وكان قائد القوة جوناثـــان ناتنياهو وقد قتل في المعركة، قتل ســبعة من الثوار بينهم بريجيت الشــجاعة وبويــزه رئيس الخلايا الثورية الألمانية، والقائد الحاج فايز جابر وأبو الدرداء وجايل العرجا.

كما قتل وجرح أربعون من العسكريين اليوغنديين.

وقتل خمسة من الرهائن الإسرائيليين، وجرح عشرون منهم برصاص الإسرائيليين.

اضافة لجوناثان ناتنياهو، قتل اثنان من كوماندوز سياريت متكال وجرح عشرة منهم.

كان ذلك في الرابع من تموز عام ١٩٧٦ أي يوم الاستقلال الأميركي.

كانــت إسرائيل قد طلبــت التفاوض مع الخاطفين قبل الأول من تموز لكســب الوقت، ولمنع وقوع أي إعدامات.

ضغط آنذاك عيدي أمين على الفلســطينيين ليوافقوا، رغــم أن الدكتور وديع اعلمه أن هذه خدعة إسرائيلية، وأنهم يريدون كسب الوقت للتحضير لهجومهم على عنتيبي.

لكــن وديــع لم يكن صاحب القــرار على ارض يوغنــدا، كان عيدي أمــين الذي تصرف كالطاووس الذي لا يرى بندقية الصياد.

عيدي أمين طلب اعطاء الإسرائيليين مهلة، حتى الرابع من تموز ذلك ليتمكن من الذهاب إلى بورت لويس، ليسلم رسميا رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية للرئيس رانغولام.

في الثالــث من تموز اجتمعت الــوزارة المصغرة لإسرائيل، وقررت الســير قدما بالعملية العسكرية، التي أطلقت عليها اسم عملية الرعد. OPERATION THUNDERBOLT

بعد مقتل جوناثان ناتانياهو غير الاسم إلى عملية جوناثان، وكلف بالأشراف على العملية كلها الجنرال يكوتيل أدام YEKUTIEL ADAM

والملقــب بـ KUTI مــع ماثان فلناي كنائب له وكلف البريجادير دان شــومرون بقيادة العملية. وبعد عملية تجميع للمعلومات قام بها موشــيه نائب جوناثان نتنياهو، صدر الأمر لأربعة طائرات من طراز C-130 بالطيران إلى عنتيبي.

كانــت الطائرات تحمل ســيارات جيــب، ومدافع، ومئتي ضابط وجنــدي وفرق طبية، وأجهــزة طبيــة، وأجهزة اتصال، وأجهــزة كومبيوتــر وأجهزة حديثــة بإمكانها تعطيل الاتصالات في دائرة كبيرة وقطع التيار الكهربائي في دائرة اكبر.

هكذا أصبحت خريطة المسؤولين واضحة، رئيس الوزراء، وزير الدفاع، الجنرال يكوتييل،

ونائبه فلناي، البريجادير دان شومرون، جوناثان نتنياهو، ونائبه موشيه بتسر (موكي).

وتبعت الطائرات خط سير، يمكنها من الطيران على علو منخفض كي لا يكشف وجودها، فمن ايلات فوق البحر مرت بجانب شرم الشيخ والشواطئ السعودية والسودانية والصومالية، واتجهت جنوبا نحو كينيا عبر اوغادين الإثيوبية. وحطت هناك لأجراء آخر اللمسات، ولتسلم آخر تقارير محطة الموساد المركزية في كينيا. كانت تلك المحطة هي المكلفة بالمتابعة والرحلة.

أكدت لهم محطة كينيا أن الأصدقاء ابلغوهم أن الرهائن بقوا في المطار، ولم يوزعوا.

وان جزء من قوات عيدي أمين انسحب، وان الضابط المسؤول ذهب إلى بيته.

وصدر الأمر بالهجوم.

وهبطت الطائرات الأربع العملاقة في مطار عنتيبي.

كان بإمكان الطائرات الأربع شنّ حرب حقيقية لحمولتها الضخمة وقدراتها على الطيران دون توقف مسافات بعيدة.

دمرت القوة طائرات من نوع ميغ كانت مركونة لأنها لا تصلح للطيران، وهي من طراز ميغ ١٥ استغنى عنها السوفيت بعد الحرب العالمية الثانية.

قاد الهجوم الأرضي الكولونيل جوناثان ناتنياهو، ساعده في ذلك بستر فلناي.

كان الإسرائيليون قد زودوا الطائرات الأربعة، شحنات كاملة من الوقود بحيث تمكنهم من الاعتماد على أنفسهم. وهكذا طارت الطائرات الأربع عائدة إلى نيروبي في كينيا دون أن تضطر لإعادة التزود بالوقود، وقد عادت حاملة من أنقذ من الرهائن والجرحى والقتلى.

كانت النتائج متوقعة منذ أن رفض عيدي أمين توزيع الرهائن. وأصبحت مؤكدة أكثر عندما ضغط على وديع حداد لتأجيل الموعد النهائي لتنفيذ المطالب، وهو الأول من تموز إلى الرابع من تموز معطيا الإسرائيليين مزيدا من الوقت للتحضير.



طائرة 130 c الضخمة التي حملت السيارات العسكرية والقوة العسكرية الاسرائيلية الخاصة والتي هاجمت بقيادة جوناثان نتنياهو مبنى مطار عنتيبة القديم.

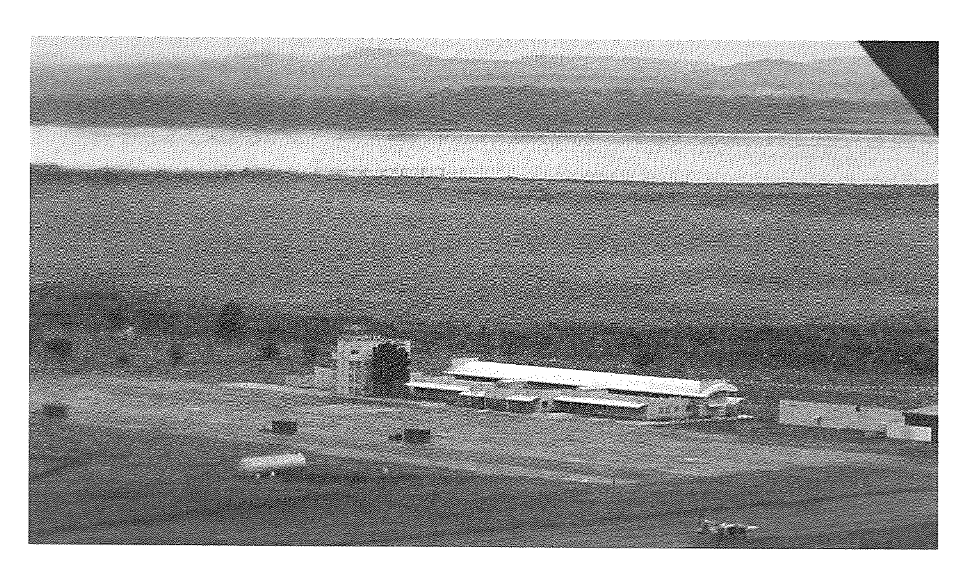
أذا وضعنا العوامل جميعها بالترتيب نجد التالي:

أولا: لعب عيدي أمين دورا أساسيا في فشل عملية التبادل، برفضه أهم خطوة كان وديع حـداد يرغب باتخاذها ليضمـن الانتصار ولإنجاح العملية، وهـي توزيع الرهائن على أكثر من فندق في العاصمة ليجعل مسـتحيلا على الإسرائيليين مهاجمة المقرات لتحرير الرهائن.

ثانيا: لعب مركز الموساد الرئيسي في أفريقيا، الذي اتخذ من نيروبي (كينيا) مركزا له دورا رئيسـيا بتزويد إسرائيـل بالمعلومات خاصة أن لهذا المركز عمـلاء في الجيش الأوغندي بينهم ضباط كبار.

ثالثا: مبنى المطار القديم في عنتيبي بنته شركات إسرائيلية لذلك فان معرفة الإسرائيليين بمداخلة ومخارجه كانت تامة.

رابعا: السلاح الخفيف الذي يحمله المقاتلون لم يكن كافيا للمواجهة مع السلاح الإسرائيلي



صورة لمطار عنتيبة من الجو حيث وقعت المعركة

الذي تضمن مدافع غير مرتدة وسيارات مصفحة حاملة للجنود ومدافع مورتار (هاون) وأجهزة تحكم عن بعد بالمتفجرات، وأجهزة تعطيل الاتصالات والكهرباء.

ويمكنني القول هنا أن سؤالا هاما يطرح حول تصرفات الرئيس عيدي أمين.

لماذا اتخذ القرارات التي من شأنها إنجاح مهمة الإسرائيليين؟

من أقنعه بذلك، أو من ضغط عليه ؟ أو من دفع له؟

يتبقى أن نقول حول ما جرى في عنتيبي أن إسرائيل والأجهزة المؤيدة لها حاولت خلق صورة بطولية خرافية لما قام به جوناثان نتنياهو والمجرمين الذين كانوا تحت أمرته. هؤلاء الذين كانوا يفتكون بأطفال فلسطين ويعذبون الآلاف في سجونهم ويحتلون أرضهم وبيوتهم ويحكمونهم بالحديد والنار ويرتكبون المجازر ضدهم، الجرائم الجماعية وهي قوتهم اليومي والعالم لا يرى أو لا يريد أن يرى خشية من اتهامه باللاسامية. لقد ارتكبت الصهيونية المسلحة الاستيطانية في فلسطين جرائم فاقت جرائم النازيين ومازالت.

الحقيقة أن تزييف الحقائق لا يمكن أن يستمر، كما فعلت ناشيونال جيوغرافيك، في

فيلمها الوثائقي حول عنتيبي.

الحقيقــة هــي أن الجريمة دبرت، فيما منــع وديع حداد من اتخــاذ الخطوات اللازمة لحماية مقاتلي الجبهة الشعبية والإفراج عن أسراها.

لقد تعاون عيدي أمين وضباطه مع الكينيين والفرنسيين لتحويل المجرمين الإسرائيليين الى سوبر مان، هذا ليس حقيقيا اطلاقا.

عندما ســاعد الثوريين اليونانيين المجال الخارجي بتمرير الســلاح للطائرة في أثينا كانوا يقومون بعمل ثوري لا يستهدف القتل بل الإفراج عن المعذبين في سجون إسرائيل، وهذا ما كان يريده وديع حداد، كذلك فعل الألمان من أعضاء الخلايا الثورية.

أما حلفاء إسرائيل فقد ساعد الأشرار على ارتكاب الجرائم، وإبقاء شعب بأكمله في سجن كبير، هو سجن الاحتلال والترحيل.

(الفصل الثالث والعشرون)

أندرياس بادر، واورليكه ماينهوف

تحالف المجال الخارجي مع الفصائل الثورية الألمانية

كما سبق أن ذكرنا، كانت عملية اختطاف طائرة الايرفرانس

"AF" مـن اليونان إلى عنتيبـي هي الباب الكبير الذي فتحه القائد وديع حداد للحلفاء الألمـان لإعلان مشـاركتهم الفعليـة في المعركة في ميـدان ضد الامبرياليـين وحلفائهم الاسـتعماريين المستوطنين لارض الشعوب الأخرى، ويمتصون ثرواتها ودماءها. أي القتال ضد الامبريالية من خلال حركات التحرر الوطني.

لقـد روجت إسرائيل أثناء، وبعد عملية اختطاف طائرة الايرفرانس إلى عنتيبي أن بويزا الألماني، كان رئيس الخلايا الثورية الألمانية قد فرز الركاب إلى يهودي، وغير يهودي.

وادعـوا، دون اثبات، أن احد الركاب اليهود كشـف عن ذراعـه ليظهر رقما نقش على ذراعه في معسكر اعتقال للنازيين. وان بويزه صرخ: أنا لست نازيا بل ثوريا.

الحقيقـة أن هذه الحكايات دعائية، وغـير صحيحة، فقد طلب فرز الإسرائيليين ليجري تبادلهم مع أسرى الحرب الموجودين في سجون الاحتلال الإسرائيلي إذ لا تهتم إسرائيل الا بمواطنيها، وهذا هو العامل الوحيد الذي يجبرها على الموافقة على التبادل.

ولم يفرز أي يهودي أوروبي لا يحمل جواز سفر إسرائيلي.

وما روي عن راهبه رفضت الفرز دعاية بحتة، ولا أساس لها من الصحة.

القصـة الصحيحة الوحيدة هـي أن الكابتن أعلمهم انه يرفض كونه مسـؤول عن كافة الركاب.

قام بعمليـة الاختطاف ألمانيان مـن الخلايا الثورية الألمانيـة (RZ) وهما ولفرد بويزه

(WILFRED BOSE)

وبريجيتا كوهلمان (BRIGTTE KUHLMANN)

واستشهد الاثنان أثناء المعركة التي دارت بين القوات الخاصة الإسرائيلية بقيادة جوناثان نتنياهو، وستة من مقاتلي الحرية، أربعة فلسطينيين وألمانيان، في مبنى مطار عنتيبي القديم حيث احتفظ بالرهائن.

كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، العمليات الخاصة او الفرع الخارجي أو المجال كما كان يطلق عليها، قد نسج علاقات تعاون وتحالف مع الفصائل الثورية الألمانية منذ السبعينات، ففي ألمانيا تناثرت المجموعات الثورية التي تبحث عن طريق للنضال من اجل رفع قبضة الرأسمالية عن رقاب الشعوب. وكان اليسار الألماني منقسما على نفسه. وزاده انقساما الفشل الذي أصاب باريس.

(الكومونه الجديدة) في أيار عام ١٩٦٨ وهزيمة الحركة الطلابية الثورية التي تزعمها وقادها من ألمانيا "كوهين".

ومع نهاية عام ١٩٦٩ بدأت الأمور تهدأ باتجاه محور ما تبقى من الفصائل الثورية، أو بقايا الفصائل الثورية.

فتشعبت التنظيمات: بعضها اهتم بقضايا المرأة، وبعضها بقضايا الشرطة، وبعضها بمهاجمة الأغنياء.

وبرز من بين مفكري الفصائل الثورية أندرياس بادر و اولريكا ماينهوف، وكلاهما انتمى وساهم في قيادة الجيش الأحمر الألماني (RAF).

كان السؤال الذي طرحته فصائل يساريه أوروبية، خاصة فرنسية، هو ذات السؤال الذي طرحته الفصائل اليسارية الثورية الألمانية والاسكندنافيه والسويدية والهولندية والنمساوية.

ما العمل ؟ كيف يواجهون أنظمتهم المستغلة لهم، والمحكمة بقوتهم وقوة عملهم، تجني الثروات من تعبهم، وهم فقراء؟

تماما كما شـــدت الثورة الفلســطينية اليابانيين واللاتينيين وغيرهم شدت الألمان ولفتت أنظارهم.

فبدأوا يتوجهون للشرق الأوسط لدراسة الوضع عن قرب وللتعرف على الأفكار الجديدة التي طرحها وديع حداد.

فبعــد عمليات ١٩٦٨ و ١٩٦٩ وصمــود الكرامة أمام الغزو الإسرائيــلي الجديد للضفة الشرقية من نهر الأردن، انشدّت هذه القوى للشرق الأوسط، ورأت فيما يدور فيه ميدانا من الممكن لهم أن يخوضوه.

في بداية العام ١٩٧٠ بدأت تتوافد للأردن مجموعات أوروبية تبحث عن طريق النضال، وتحاول أن تستكشف عن السبل والفصائل الفلسطينية التي يمكن لها أن تتعاون معها، أو أن تعاوِنها في ممارسة أفكارها الثورية.

بما أن حركة فتح، الحركة ذات الوجود الأوســع في أوســاط اتحاد ألطلبة الفلســطينيين، واتحاد العمال الفلســطيني في ألمانيــا، فرعا الاتحاد في ألمانيا الغربيــة، فقد كان اتصال الثوريين الألمان، في اغلب الحالات، داخل ألمانيا مع فتح.

عادة تحال هذه الاتصالات الى مســؤول الأمن الذي كان في فتح مسؤول الأمن الداخلي والخارجي، وعن العمليــات الوقائية والهجومية خارج الوطن المحتل، صلاح خلف (أبو أياد) كان المسؤول الأول عن الأمن، وكان يساعده أبو حسن سلامة،علي حسن سلامة.

لقاء أندرياس بادر، واولريكا ماينهوف مع أبو حسن سلامة لم يكن مؤثرا أو مقنعا، من النواحي الفكرية والعملية. كذلك مع مسؤول الجبهة الشعبية "محمد كتموتو".

أما الجبهة الشــعبية فقد ســاد الغموض النواحي العملية باســتثناء الاستعداد لتدريب كوادر وأعضاء الجيش الأحمر الألماني.

أما الشــؤون الإســتراتيجية والتكتيكية فقد طرقت في إطارها العام المناهض للامبريالية والصهيونية والاستيطانية حليفتها.

منــذ ذلك اللقاء أرســل الجيش الأحمر الألماني عددا من الأعضــاء والكوادر للتدريب في

بداية نيسان ١٩٧٠ في الأردن ثم احتلت الأمكنة بعد معارك أيلول ١٩٧٠، وخروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن.

الأمكنــة تعددت: بعض التدريب كان يتم في لبنان، والآخر في عدن، وبعضه كان يتم في العراق والجزائر.

التدريــب تحــت اشراف الدكتور وديع حــداد كان تدريبا خاصــا في معظم الحالات، لا يحتاج إلى ميادين. بل في كثير الحالات كان يتم في غرف مغلقة أو في طائرة أو في مختبر.

في تلك الفترة مرت الفصائل الألمانية في ظروف صعبة، بعضهم ينتقد الاخر، والآخر يزايد على الثاني، وهكذا دواليك.

فكان مهما جدا لأي فصيل يريد أثبات يساريته ألمانيا أن يمارس العمل الثوري في ميدان المعركة من خلال حركات التحرر.

ولد أندرياس بادر عام ١٩٣٨ وكان له من العمر ٢٧ عاما عندما اتصل بالثورة الفلسطينية. وهو من مواليد ميونخ في ألمانيا الغربية. وقد توفي في العام ١٩٧٧ (١٨ أكتوبر) في مدينة شتوتغارت بألمانيا الغربية، وكان من مؤسسي الجيش الأحمر الألماني.

لم يذهب قط إلى جامعة، كان عاطلا عن العمل، ورجل شــوارع قبل أن ينضم ويساهم في بناء الجيش الأحمر الألماني.

صديقته أيضا كانت عاطلة عن العمل، وناقمة على المجتمع الرأســمالي، وهي غودرون انسلين (GUDRUN ENSSLIN) كانا ناقمان على الوضع، ربما فشلهما الدراسي وبيئتهما هي الأسباب، مما دفعهما للعنف والتطرف ضد نظام يولّد هذه البيئة.

حكم بالســجن لسرقة محلا تجاريا. لكنه هرب من الســجن ثم أعيد للســجن. وسمح لأندريــاس بــادر بان يتعلــم في مكتبة قريبة من الســجن. من هناك هرب بمســاعدة الصحفية اولريكا ماينهوف وفنانين آخرين. أطلق رجل ملثم النار تخويف ليتمكن بادر من الهرب. فخرج أمين المكتبة. وتمكن الجميع من الفرار.

في هذه الفترة زارا الأردن، واجتمعا بفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. بعد عودتهم

من الأردن قامت المجموعة التي أطلق عليها اسم "بادر- ماينهوف" بعمليات سطو على المصارف وهجمات في المدن بهدف سرقة محلات.

كان بادر مولعا بسيارات الأغنياء، واشتهر بحبه لسرقتها وقيادتها واعتقل وهو يقود سيارة، واعتقلت المجموعة وتحديدا ماينهوف وآخرون، واستمرت محاكمتهم تحت حراسه مشددة عامين تقريبا (من ١٩٧٥ وحتى ١٩٧٧) خلال تلك الفترة أعلن المعتقلون إضرابا عن الطعام.

فجأة توفي مينز- وقيل انه بفعل الاضراب ـ بعدها قام الفيلسوف جان بول سارتر بزيارة المجموعة في السجن، وعلق بالقول: أن ظروف سجنهم لا يحتملها البشر فهي قاسية وغير إنسانية.

وجدت اولريكه ماينهوف مشنوقة في زنزانتها فيم اتهم أعضاء الجيش الأحمر الألماني السلطات الألمانية بقتلها.

نجريد مولر

بعد عام من معتقلهم تقريبا طلب الجيش الأحمر والخلايا الثورية مساعدة القائد وديع حداد للقيام بعملية للإفراج عن زملائهم في السجون الألمانية، كان عددهم احد عشر شخصا.

فتم التخطيط لعملية اختطاف اللوفتهنزا إلى مقاديشوا. وهي عملية فشلت في تحقيق الهدف الذي خططت ونفذت من اجله، لكنها كشفت أمورا كبيرة غير معلنة بين دول عربية وأجهزة المخابرات الغربية للعمل المشترك ضد القائد وديع حداد.

أما اولريكا ماينهوف فلها قصة مختلفة، هي ذات خلفية مختلفة وثقافة مختلفة. فهي امرأة متعلمةـ وتقرأ كثيرا وتكتب ايضا. فهي صحفية محترفة، كانت ترأس وتحرر نشرة كانت تعبر إلى حد بعيد عن الآم ومظالم الفقراء، والعمال، والعاطلين عن العمل.

ولدت ماينهوف في اولدنبرغ ـ ألمانيا الغربية ـ عام ١٩٣٤ وهي بذلك اكبر من بادر بتسعة سنوات. وقتلت في زنزانتها في التاسع من أيار عام ١٩٧٦، من اعتقلها شنقها.

وادعت السلطات الألمانية أنها انتحرت، كما ادعت أن بادر انتحر.

الادعاءان مثيران للشـــفقة والاســـتهجان، فكيف يمكن لاورليكه أن تشنق نفسها انتحارا، وبادر أن يطلق على نفســه الرصاص وان تبدو حروق البارود على يده اليمنى بينما هو عسراوي، أي يستخدم يده اليسرى!

كيف يمكن لمانيهوف أن تجد ما تشـــنق نفســها به، والحصار كان غاية في الشـــدة على زنزانتها وزنزانة بادر على اللقاءات مع المحامين!

كيف يمكن لهذا أن يحصل بعد قرار الحصار الشامل الذي فرضته السلطات الألمانية على السجناء اليساريين! ومنه:

١. منع الاتصال.

٢. منع الصحف والراديو والتلفزيون.

٣. منع زيارات الأهل والأصحاب والمحامين.

٤. منع التحدث مع بعضهم البعض.

٥. منع الرسائل منهم واليهم.

٦. منع الأكل المرسل، والهدايا والسجائر وأي شيء أخر.

مع مثل هذا الحصار الشـــامل، كيف يمكن لبادر أن يحصل على مســـدس واولريكا على حبل مشنقه!!!!

معلوماتي المؤكدة تشـــير إلى أن قرار قتلهم اتخذ في قيادة الأمن والمخابرات الألمانية، وان كثير من الأوراق قد اختفت من ملف التحقيق، وان التحقيق أكد أن الرصاص أطلق على بادر، ولم يطلقه هو، ثلاث رصاصات، اثنتان منهم في ارض وحائط الزنزانة.

وان اولريـــكا ماينهـــوف شـــنقت، وان أثار الضرب كانـــت ظاهرة على كتفهـــا وذراعها وجوانبها!!!

ليـــس هذا الكتاب هو للتحقيق في هذه الجريمة، لكن أحيلكم على الوحيدة التي بقيت حية رغم أن صدرها طعن خمس مرات.

كيف ينتحر شخص بطعن صدره خمسة مرات!!!

انجمار مولر، تمّ تهديدها من البوليس والأمن بإنهاء حياتها ان تكلمت عن الموضوع.

شـــاركت الخلايا الألمانية في عمليات أخرى كعملية نيروبي، التي فشـــلت بســـبب نجاح الشرطة السرية الألمانية في استغلال علاقة الحب والزواج التي ربطت زكي هيللو بإحدى الفتيات الألمانيات ـ كانت متزوجة ســـابقا ولها من زوجها الســـابق طفل ـ فقد أبلغت البوليـــس الألمـــاني بنية الجبهة الشـــعبية القيـــام بعملية تقصف فيها طائـــرة إسرائيلية بصواريخ ارض جو.

نجحت الجبهـــة في توصيل كافة المعدات اللازمة والمجموعـــة المنفذة إلى منطقة مطار نيروبي.

في ســـاعات التنفيذ، غادرت الألمانية نيروبي، وهاجم الكينيون الموقع، وخدرت المجموعة من قبل إسرائيليين، ونقلت إلى إسرائيل بتمويه داخل توابيت، كان على رأس المخطوفين المخدرين العقيد «أبو حنفي» قائد المجموعة، وهو الذي قام بضرب ناقلة النفط كورال سي (CORAL SEA) عند باب المندب قبل ذلك.

رغم الشكوك التي طرحت حول الألمانية كان زكي المتيم يدافع عنها فلم تعتقل.

ظلـــت قادرة على زيارة زكي والعودة لألمانيا، لكن الدكتور وديع حداد أمر بإبعادها كليا عن المعلومات، بإبعاد زكي عن المعلومات حتى لا يسربها دون قصد.

نســـتطيع القول بشكل أكيد أن علاقة الخلايا الثورية مع المجال الخارجي أعطت الخلايا الثوريـــة بعدا فكريا جديدا مما جعلها قادرة على التوجه لليســـار في ألمانيا بقوة منطق تحليلي سليم.

بذلك لم تعد الصفة الغالبة في الشارع الألماني لهذه المجموعة صفة اللصوص أو المشردين الذين يستخدمون العنف.

راحـــت المجموعة تقيم اتصـــالات مع رجال فكر وسياســـة ذوي وزن وتأثير في المجتمع الألماني.

عندما قامت الخلايا باختطاف هانس مارتن شـــلاير رجل الأعمال الألماني الشهير مطالبين بالإفراج عن أسراهم في السجون الألمانية كاد الأمر ينجح لولا تشابك عدة عوامل جعلت من هانس مارتن شلاير ضحية دون مبرر.

قـــام الجيش الأحمر باختطـــاف هانس في الخامس من أيلول عـــام ١٩٧٧، ذلك لمبادلته بأسراهم وتلقي فدية. كان هانس شـــلاير شخصية بارزة جدا في عالم الأعمال، كان رئيس اتحادين هامين من اتحادات رجال الأعمال الألمان " اتحاد المشغلين الألمان:

(GERMAN EMP LOYERS ASSOCIATION) (B D A)

وفدرالية الصناعيين الألمان:

(FEDERATION OF GERMAN IN DUSTRIALISTS) (B D I)

جاء في بيان الجيش الأحمر، أنهم يريدون الإفراج عن زملائهم القابعين في سجون ألمانيا. ارتقى شلاير حتى كاد يرأس مجلس إدارة ديلمر - بنز، وبقي عضو مجلس إدارتها.

في عام ١٩٦٨ مع ثورة كوهين الطلابية، اظهر موقفا متشددا جعله يبدو كالعدو الرئيسي للعمال والفقراء.

نصب لشلاير كمينا، واختطف من سيارته، وقاده أعضاء الجيش الأحمر إلى جهة مجهولة. كان شـــلاير المحافـــظ المتطرف واليميني الذي لا يلين، قد عـــبر أكثر من مرة عن ضرورة تنظيف المجتمع الألماني من هذه القذارة التي تطلق على نفسها الجيش الأحمر.

قضى شـــلاير في الاعتقال شـــهرا ونصف الشـــهر، لان الشرطة الألمانية كانت تتخذ موقفا رافضا لأي تفاوض.

لكن ـ ما هو غير معروف ـ هو أن من شجع الشرطة، والسلطة على اتخاذ هذا الموقف من اعتقال شـــلاير، هم زمـــلاءه في مجلس الإدارة، كانوا يريـــدون التخلص منه، وبعض الذين يريدون إزالته من ديلمر- بنز.

فقد أبلغت الجبهة الشــعبية لتحرير فلســطين، وهي قيادة التحالف الدولي أن بإمكان الجبهــة منع إراقة الدماء مقابل حل وســط وافق شــلاير عليه. لكنهــم كانوا يريدون التخلص منه، فكان لهم ما أرادوا تحت ستار، رفض الرضوخ لطلبات الإرهابيين.

لكن الأمر لم ينته مع الجيش الأحمر، والخلايا الثورية حتى ألان. فهذه التنظيمات تولد مثيلاتهــا طالما أن الظروف التي ولدت التنظيمات الأولى في أوائل الســبعينات ما زالت قائمة. هذا ما سيفاجئ الكثيرون عندما يقرأون عنه في هذا الكتاب.

ذلك أن اســتراتيجية وديع حداد صالحة مادام استغلال الأغنياء للشعوب الفقيرة قائما. ومادامت الامبريالية في الشرق الأوسط قائمة، وتعاون الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي.

وطالما أن الإسرائيليين يرتكبون المجازر ضد الفلســطينيين، ويحتلون أرضا سورية، وأرضا لبنانية، إضافة إلى كامل الأرض الفلسطينية، فان استراتيجيه وديع حداد هي الأقدر على زعزعة مواقعهم.

لا شك أن موجة جديدة من العنف الثوري ستبدأ. فابن لادن وغيره ليسوا ثوريين انطلاقا من تحليل وديع حداد العلمي. والعمل المدمر دون هدف ســياسي ملموس هو تشويه لسمعة الثوريين ـ كما جرى في ١١ أيلول في نيويورك ـ

ان ملاحقــة العدو القوي وتوجيه ضربات قوية لمفاصله الضعيفة والضرب على مفاصل مصالحه هي الطريقه لإنهاكه.



(الفصل الرابع والعشرون)

وديع حداد احدث النقلة

النوعية في الحركة الشيوعية الاسكندينافية

عاشت المجتمعات الاسكندينافية (نروج والسويد والدانمارك) نفس الظروف التي عاشتها المجتمعات الأوروبية في الستينات. لم تخفف وطأة الأزمة الاقتصادية في تلك الدول كما في دول أوروبية أخرى (كفرنسا وألمانيا وايطاليا) من تأثير الأزمة على الأحزاب السياسية والاستقرار الجماعي فيها.

كان هذا مثيرا لاهتمام الدكتور وديع حداد.

اثر اصطدام التناقض الايدولوجي بين الصين والاتحاد السوفيتي.

كانت هذه الأزمة العميقة بين الجبارين تنشر آثارها في العالم اجمع، بشكل خاص، في الأحزاب الشيوعية.

لكن الأكثر تأثيرا كانت الأحزاب الشيوعية الأوروبية التي ترافقت أزمتها الداخلية مع الأزمة الايدولوجية الصينية السوفيتية، والهبوط الاقتصادي في العالم الرأسمالي.

أقول متأكدا أن الدكتور وديع حداد كان يتابع هذه التطورات باهتمام شديد، هذا قد يفاجئ الكثيرين، ربما يفاجئ عددا من الذين عملوا مع "أبو هاني" بعد عام ١٩٦٧ عندما صدر قرار اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب بإحلال نظام اللامركزية في الحركة بدلا من المركزية، وقرر الأعضاء بحيث يقوم كل عضو في حركة القوميين العرب بمهامه النضالية في ساحته الوطنية ارتباطا بالتوجه المركزي لحركة القوميين العرب، وهو التحرير من القبضة الامبريالية، ودعم الوحدة العربية، وطرد الغزاة من فلسطين وتحرير أي جزء من الأرض العربية يحتله الاستعمار.

فازدادت الثورة الجزائرية اشتعالا ضد الاستعمار الفرنسي، وانخرط القوميون العرب

مساهمة ومشاركة ودعما، ثم انضم الأعضاء الجزائريين كليا لجبهة التحرير.

انطلقــت ثورة اليمن، وكلل كفاح القوميين العرب فيهـا الجبهة القومية بطرد الانجليز من عدن والاستقلال.

في تلك الأعوام، بينما كانت تنشـق الأحزاب الشـيوعية بين موسكو وبكين، وتتناثر من أجســاد الأحزاب الشــيوعية تنظيمات وتشــكيلات ثورية ضائعة الهوية فكريا وعمليا وحائرة، إلى أين تتوجه؟

كانت حركة التحرر العربي تتصاعد باستمرار لدرجة أرعبت الامبريالية والصهاينة الذين انهمكــوا بالتأمر على القوميين العــرب وقائدهم الروحي جمال عبــد الناصر وقادتهم الفعليين، حركة القوميين العرب، وحزب البعث الاشتراكي.

في تلك الســنوات كان الدكتــور وديع حداد منهمكا في تفاعلات لا تتوقف لتســعير نار الثورة على الاســتعمار في كل بقعة من العالم العربي. كان يخوض نضالا لعسكرة الحركة، أي لتحويــل حركة القوميين العرب لحركة نضالية مســلحة تقاتل على كل الجبهات ضد الرأسمالية الامبريالية والصهيونية الاستيطانية التوسعية.

بــدأ يتلمس تدريجيا، من خلال تدرج تأثير أعضاء قياديــين في حركة القومين العرب في الوقوع تحت تأثير المخاضات اليســارية العميقة التي هزت كيانات الأحزاب الشيوعية الأوروبية.

إذ أن عددا من الكوادر القيادية لحركة القوميين العرب، الذين كانوا يتابعون دراساتهم العليــا في الدول الأوروبية، بدأوا يتأثرون بمخاضات أوروبا، ويحاولون التأثير في المواقف الفكرية والتوجهات الايدولوجيا لحركة القوميين العرب.

بمــا أن هؤلاء يعدون من المثقفــين، فقد ارتبطوا بعلاقة خاصة بأســبوعية الحركة التي كانت تصدر في بيروت وهي مجلة «الحرية».

اذكر من هؤلاء، فايز مغلي، وأســامة العندبي في باريس، وســفيان عبد الرزاق (ألمانيا)، ووليد الحســيني (بيركلي الولايات المتحدة) والدكتور شهاب الدين (بيركلي- كاليفورنيا)، والدكتور يوســف ســلام (بيركلي – كاليفورنيا)، لكن الأنشــط في محــاولات نقد الفكر

القومي والدعوة لاستبداله بالفكر الماركسي اللينيني كانوا الشباب الذين يدرسون في باريس متأثرين بما يجري في فرنسا داخل الأحزاب الشيوعية، والهبات الثورية، وحركة ثورية حنينية كان يقودها شاب لبناني اسمه "الكي بيضا" واتخذ له مركزا في وسط تجمع الطلبة اللبنانيين في المدينة الجامعية في منزل لبنان. MAISON DE LIBAN CITE UNIVERSITAIRE

دون بحث مركزي أو قرار مركزي أرسل وديع حداد عددا من الشباب للدراسة في عام ١٩٦٤ إلى باريس، وسكن معظمهم في بيوت للرهبان، وعملوا في مساكن الطلبة الداخلية التابعة لجمعيات رهبان أو راهبات كان معظمهم ينتمون للجيل الثائر في الكنيسة.

كان الهدف رصد ما يدور، وإرسال تقارير عنه للمركز.

كان يقود مجموعة الشباب طالب من جنوب لبنان، قضاء صور الرشيدية، يدعى علي حسني فرج.

فيما كانت تقود الفتيات طالبة شجاعة جدا من آل بيضون، اسمها سمر بيضون.

أصبح وديع حداد ملما بكل ما يدور، وراح يبحث عن خيوط على من يقف وراء تفتيت الحركة القومية العربية، وضرب حركة التحرر الوطني وتمزيقها في جدل لا طائل من ورائه في ظل الاستعمار العسكري والاستعمار الاستيطاني، وفي ظل ظروف اجتماعية قيد النمو، وغياب الصناعة، والطبقة العاملة، وغياب نظام زراعي، وغياب الفلاحين المنظمين، وفي ظل خناجر وحراب المستعمرين والمستوطنين والتوسعيين مسلطة على رقاب الشعب بهدف استعبادة وامتصاص ثرواته.

وتعميق فيما كتبه زفيغنيو بريجيسكي:

«تدمير الأمة عبر خلق دول الطوائف وتأجيج الصراع الطائفي والفئوي».

رغم ذلك بدأت العدوى تنتشر في الشرق الأوسط، كانت الحرية منبرا من منابر حرية الرأي بصدد هذا الخلاف، وما العمل؟

كان محسن إبراهيم المشرف على الحرية، ميالا للسير فيما يطرحه الدارسون في الغرب، كذلك محمد كشلي.

تتبع وديع حداد بدقة ومثابرة ما دار ويدور على الساحات الأوروبية.

فأرسلني عام ١٩٦٨ (ابريل) لأراقب ما يدور في باريس، ولألتقي بأكبر عدد من المجموعات الثورية، ولازور الدول الاسكندينافية وايطاليا، وان أتوجه للولايات المتحدة بعدها لنفس الأهداف.

في باريس عشت أيام انتفاضة أيار ١٩٦٨، كان علي فرج إلى جانبي طوال الوقت، نمت في الأديرة وسكن الرهبان والراهبات كذلك فعلت في الدول الأخرى، وعدت بتقرير معمق، وكبير للدكتور وديع حداد الذي انكب على قراءته.

عندما التقيت به بعد عدة أيام قال لي: "ما عدت به هام جدا واستنادا له علينا أن نضع خطة عمل لندل الثوريين الأوروبيين على الطريق السليم، ولنخلق منهم تحالفا دوليا للقتال ضد معسكر الأعداء".

يجب أن ندلهم نحن لا أن يدلونا هم، فهم ضائعون، أما نحن فأقدامنا ثابتة تعرف طريقها.

تتبع وديع حداد مخاضات الأحزاب الشيوعية واليسارية منذ اندلاع تناقض الصين والاتحاد السوفيتي علنا، واستخلص من كل الدروس تميزا ساهمت في تمكينه من المساهمة على صعيد عالمي في صناعة ايدولوجيا المحرومين والمستضعفين والمستعمَرين الذين سلبوا حريتهم وأرضهم وثرواتهم.

هذا هو الأساس الذي كان يقف عليه وديع حداد، والتنظيم القتالي الخاص لمواجهة أعداء الشعوب.

يحلو لجلادي الشعوب أن يسموا هذه الايدولوجيا وهذا الكفاح من اجل الإنسان وحريته وقوته "إرهابا" لكنه للشعوب المستضعفة هذا هو نضالها لانتزاع حريتها وحقوقها ممن سلبها.

الجلادون هم الذين استعبدوا البشر، وجروهم بسلاسل لعمل السخرة الجلادون هم الذين نهبوا ثروات الشعوب في أفريقيا واسيا وأميركا اللاتينية. ومن يدافع عن نفسه من هذه الشعوب يمارس حقه لتحقيق العدالة،وهو ابسط حقوق الإنسان، وليس إرهابا.

ووضع وديع حداد خطته العملية لترجمة الفكر السياسي وراء عمله الثوري.

ووضع خطته لبناء أول تحالف دولي يكون فيه اليسار الثوري الدولي شريكا في القتال مع رجال الثورة في العالم الثالث ضد الرأسـمالية الظالمة والصهيونية التوسعية الاستيطانية. كان تكتيكه سـليما. فمن خلال توجيه الجبهة الشعبية لضربات قوية لمفاصل العدو في جزء أخر من العالم، في الدانمارك. كانت الفصائل اليسـارية والحزب الشيوعي الدانماركي تمر بأزمات داخلية لها أسباب ذاتية وأسباب موضوعية.

فقـد عاش اليسـاريون الدانماركيون ظروفا شـبيهة بالظروف التي مرّ بها اليسـاريون الأوروبيون.

أصاب الحزب الشيوعي الدانماركي ما أصاب الأحزاب الشيوعية الأوروبية.

اختار الحزب الشيوعي الدانماركي جانب موسكو في الغزو العالمي بين موسكو وبكين. ونتج عـن ذلك خروج عدد كبير من الكوادر من صفـوف الحزب، ومحاولات من مجموعات متعددة انشاء أحزاب جديدة.

«غوتفرد ابل» كان احد نشـطاء الحزب الشيوعي الدانماركي كان نقديا للحزب وهيمنة البيروقراطية عليه وتحوله إلى مؤسسة شبيهة بشركة رأسمالية.

كان غوتفـرد ابل مسـؤولا عن الأمور الإعلامية في الحزب وهـو الذي توصل لاتفاق مع الصين لنـشر مطبوعاتها باللغة الدانماركية من خلال الـدار التي تصدر صحيفة الحزب الشيوعي الدانماركي.

في أيلول، عام ١٩٦٤ أسس ابل شركة نشر وطباعة سمّاها المستقبل، انتزعت هذه الشركة مـن دار صحيفة الأرض والشـعب، التابعة للحزب الشـيوعي الدانمـاركي، عقد طباعة المنشـورات الصينية، وأصبحت هي الدليل بعد أن اختار الحزب التقليدي موسـكو ولم يختر بكين.

وأسس غوتفرد ابل تنظيما، واصدر دورية شهرية سمّاها الشيوعي.

KOMUNISTISK ORIENTERING

وسمّى التنظيم KAK (ك ا ك) حيث كان الإعلان الرسمي عن تأسيس هذا الحزب في ديسمبر من عام ١٩٦٣.

لكن العمل الهام الذي قام به غوتفرد ابل (كاك) في تلك الفترة حدث في شباط من عام ١٩٦٥ حينما نظم أول مظاهرة دانماركية تأييدا للقتال الفيتنامي، ومقاومة الأميركيين، ورفع شعارا ذكيا لف حوله مئات الآلاف "لا للحرب".

أي مطالبة بوقف العدوان على الشعب الفيتنامي.

بإمكاننا القول أن تفكير غوتفرد ابل بإنشاء لجنة فيتنام، ورفع شعار وقف الحرب، أبرزته إبرازا كبيرا وجعلت منه قائدا للتيار اليساري عامة، والليبرالي أيضا.

هذا ما جعل الإقبال على حزبه إقبالا اكبر من قبل.

ساهمت دار النشر "فوتورا" التي أنشأها في نشر الفكر الماوي في أوساط الرافضين لسياسة الحزب الشيوعي الدانماركي التقليدي. طبعت هذه الدار عشرات الآلاف من نسخ الكتاب الأهم لماوتس تونغ وغيرها من خطابات القادة الصينيين.

بالرغم من النجاحات الكبيرة التي حققها غوتفرد ابل على الصعيد الشعبي، وتوعية الأجيال لما تخطط له أنظمتها الرأسمالية الجشعة بقي غوتفرد ابل في إطار التحليل الصحيح، والتحديد الصحيح لهوية أعداء الشعوب، لكنه لم يتمكن من الخروج من دائرة سؤال «ما العمل» إلى دائرة الجواب بتحديد برنامج العمل.

بذلك انضم إلى مجموعة الفصائل الثورية الأوروبية المنشقة أو التاركة للأحزاب الشيوعية التقليدية سواء أعلنت ولاءها لموسكو أو لبكين.

كان علينا أن نعطي غوتفرد ابل حقه. فهو أول من طرح نظرية «برطلة» الأنظمة الرأسمالية لفقراء مجتمعاتها بتزويدهم بجزء من الإرباح الضخمة التي تتبعها الرأسمالية الظالمة من الشعوب في العالم الثالث.

فقال: أن جشع أنظمته الرأسمالية الامبريالية دفعها لاستخدام كل ما لديها من قوة لامتصاص دماء شعوب العالم الثالث.

وجنت أرباحا طائلة لا يمكن تخيلها لتعيش بحبوحه، بينما شعوب العالم الثالث المنهوبة تتضور جوعا بعد أن سرق الرأسماليون ثروات بلادهم.

وأضاف: «حتى فقراء المجتمعات الرأسمالية عاشوا ويعيشون عيشة مريحة مستفيدين من «برطلة» الرأسمالية لهم على حساب شعوب العالم الثالث».

هذا الشـق الأسـاسي من التحليل كان بالفعل جزءا من تحليل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي وضعته بشكل اشمل، وأكثر واقعية بحكم نضالها في العالم الثالث.

ففي العام ١٩٦٣ ظهرت بوادر انشـقاقات عميقة في الأحزاب الشيوعية في العالم اجمع، والجبهة الشـعبية هي التي طرحت التحليل متكاملا، فربطت بين الرأسـمالية الجشعة التي تنهب الشعوب، والاستيطان و لعبت وتلعب دور شركات الرأسمالية التي استعبدت الهند والباكسـتان وجنوب أفريقيا والصين وغيرها من الدول والشـعوب وهي إسرائيل الاستيطانية التوسعية.

كما ربطت الجبهة الشعبية بين ممارسات النهب الامبريالي وبعض حكام هذه الشعوب الذين سهلوا، وما زال بعضهم يسهل، عمليات النهب من اجل فتات من بقايا المائدة.

برزت هنا عبقرية وديع حداد، فقد وصل إلى قناعات لا تتزعزع، إن مواجهة هذه الجبهة من أعداء الشعوب تتطلب مواجهة من جبهة تتشكل من حركات التحرر الوطني ومن الفصائل الثورية في العالم الرأسمالي الجشع.

أي أن مواجهة جبهة عالمية من الرأسمالية الجشعين وأتباعهم من المستعمرين التوسعيين وعملائهـم في العالم الثالث، يجـب أن تتم من خلال جبهة متراصة من المقاومين مكونة من حركات التحرر الوطني، وقوى ثورية إقليمية ودولية.

كانت الجبهة الشـعبية لتحرير فلسطين تخوض الكفاح المسلح على ارض المعركة داخل فلسطين المحتلة، ومن خارجها ضد القوات الإسرائيلية.

جاء وديع حداد بنظريته ليطبقها من خلال الجبهة الشـعبية ودائرة العمليات الخاصة الخارجية التي كان يشرف عليها ويقودها الدكتور وديع حداد.

كان لدى الدكتور وديع حداد جوابا على سؤال الثوريين الأوروبيين الغاضبين انطلاقا من أساس موضوعي لعمل ثوري عالمي مشترك.

لذلك هلل غوتفرد ابل ورفاقه وتنظيمات يساريه كبيرة ترحيبا ببرنامج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتحديدا صفة التحالف الأممي وأهدافه.

هذه الرؤية الفكرية السياسية التي تفتق عنها ذهن وديع حداد كانت نابعة من صلب الواقع العربي والفلسطيني.

فنحن امة متخلفة مستعمرة ومستغلة إلى ابعد الحدود، وواجب الأمة الأول هو التخلص من الاستعمار، والاستعمارين الاقتصادي والاستيطاني التوسعي.

تحقيق هذا الهدف الوطني لن يتم على يد الطبقة العاملة، لأنه لا طبقة عاملة لدينا لعدم وجود صناعة، لذلك فالماركسية لا يمكن تطبيقها عندنا، ورأس المال يتحدث عن مسببي قهر وفقر العالم الثالث.

رأى وديع حداد أن الانتماء متبادل وجدلي، أي أن الفصائل الثورية في الدول الأوروبية بانخراطها في نضال حركات التحرر الوطني تحقق أمرين: هو التصدي لأنظمتها الجشعة الامبريالية، ومساعدة الشعوب الفقيرة لانتزاع حريتها وإنقاذ ثروتها المنهوبة.

أي أن وديع حداد حدد للفصائل الثورية العالمية خاصة تلك التي ولدت ونمت في البلدان الرأسمالية، دورا نضاليا جنبا إلى جنب مع شعوب العالم الثالث المحرومة.

ان الأولوية هي ثورة المحرومين لانتزاع الحرية، وإنهاء الوجود الاستعماري الاستيطاني التوسعي (إسرائيل).

حصل الالتحام. وقاد وديع حداد هذا التحالف الدولي برؤية استراتيجية واضحة.

يحلو لكثير من أجهزة الأمن، الأقلام المدافعة عن هذه الأجهزة الظالمة أن تفكر إن موت إنسان يعني القضاء على فكرة. لكن الحقيقة بعيدة عن ذلك فالفكر السليم والموقف السليم هو الذي يستمر حتى وان مات صاحبه.

عندما تنطلق الفكرة لا تبقى معلقة بصاحبها، بل يصبح لها أتباع يؤمنون بها، ويجدون

طرقا لتطبيقها.

تمّ اللقاء بين غوتفرد ابل ووديع حداد في بيروت لأول مرة.

جـرت عدة لقاءات بين الدكتور وديع حداد وغوتفرد ابل. لكن أول لقاء حضره غوتفرد ابل، والسـيدة أولا هوتون. كان لقاءهـما الأول لقاء هادئا وخجولا ان جاز التعبير. كان يريـد كل واحد منهما التعرف على الأخر، لكن سرعان ما أزال الدكتور وديع حداد هذا الجـو بنفسـه، وانهال على غوتفرد ابـل بجمل قصيرة واضحة وحازمـة، حددت العدو وحددت الصديق، وحددت أسلوب المواجهة وتكتيكاته.

طرح الدكتور وديع حداد تصوره:

«الثوريون الاسـكندينافيون مطالبون باتخاذ إجراءات أمنية معقدة ودائمة لعدم كشف عضويتهم وبالتالي أعمالهم».

لان حسـب تصورنا فان للثوريين الاسـكندينافيين دور إسـناد ودعم وتخزين وحماية، وطـرق اتصال وتوصيل، ويجـب إلا يلفتوا الانتباه إلى أنفسـهم، وان ينجحوا في إدخال الشرطة والمخابرات في دهاليز لا يخرجون منها.

أنهى بالقول: أن بلادكم هي المراكز الأساسية للموساد "المخابرات الإسرائيلية" وإسرائيل التوسعية لها حلفاء أقوياء بين سياسيّيكم وصحافتكم.

لذلك عليكم توخي اكبر قدر من الحذر، حيث أنكم ستتحركون بين فكي الذئب.

أكد ان الجبهة الشعبية تسعى لتحالف دولي يعيد فكرة النضال الحي والفاعل والدخول في ميدان القتال الفعلي ضد الامبريالية الظالمة والصهاينة المستعمرين التوسعيين.

صمت وديع حداد فيما راح غوتفرد ابل يفكر وهو يدخن غليونه.

كان جواب غوتفرد ابل الموافقة دون تخطيط.

انتقل المعلم وديع فورا إلى البند الثاني على جدول أعمال، لم يوضع على ورق.

أكد على ادراك الجبهة الشـعبية بخصوص الدول الاسـكندينافية التي يعيش فيها فقراء

بحال أفضل من فقراء أوروبا.

لــذا فان مهمات الثوريين في هذه الدول ســتكون مميزة وخاصة وقد تختلف عن مهام الثوريين الأوروبيين الآخرين.

انتهى الاجتماع بالاتفاق على إرسال أول مجموعة من الكوادر لتلقي التدريب الحساس والخاص في المجال الخارجي - العمليات الخاصة التي يقودها الدكتور وديع حداد.

ركــز الدكتــور وديع على تدريــب المجموعــة الأولى والمجموعات التي تلتهــا في دائرة الجوازات، كما كنا نســميها، وهي دائرة المطابع حيث تصنع جوازات الســفر للتمويه، اعــداد قليلة جــدا وبأمر مباشر من الدكتور وديع حداد فقــط، حتى لا تصبح معروفة وتنكشف.

بالفعل لم يتم اكتشــاف جواز سفر واحد على انه مزور من قبل أي جهاز امن على وجه الأرض.

كانت هذه الدائرة حساسة جدا.

تشــمل: قســم تصوير دقيق جدا "ألماني"، وقســم فــرز الألوان وراقات الــورق الرفيع "صباغتــه"، أدوات متقدمــة لتحليل الورق، قســم الطباعة الحقــين fond perdu، ومصنــع جوازات الذي كان يحتوي عــلى أرقى ماكينات الطباعة في العالم "ســويسرية ألمانية وايطالية" وقسم خياطة الجوازات، ومختبر للخيطان، وأدوات الطي والتغليف.

دائرة كمبيوتر لم تكن حكومات تملكها.

كان التدريب يتطلب ستة أسابيع.

اضطر الدكتور وديع في أكثر من حالة للتخطيط لعمليات للحصول على آلات محددة، أو ورق محدد يمنع بيعه أو تسويقه.

وقد حملت بعض الأجهزة التي سرقت في ألمانيا الغربية من بعض الأماكن الحساسة عبر معبر برلين الشرقية إلى بيروت.

كـما هربت كميات من الورق الخاص جدا، والسري، والممنوع تداوله إلى دائرة الدكتور وديع حداد من سويسرا.

وشمل التدريب فتح آلة الأقفال الأكثر تعقيدا وفنون أخرى.

مثال ذلك، تهريب المتفجرات دون أن تتمكن أجهزة الأمن من اكتشافها، بصناعة هيكل سيارة كامل من مادة متفجرة ومخلوطة.

هـذا كان من فنون دائرة المختبرات والاختبارات التـي نجحت في صناعة مناظير ليلية، وأقـلام توقيت لمدة طويلة متبعـا نظام التفاعل الكيماوي البطـيء، وحقائب متفجرة ونبيذ احمر متفجر.

درب رجال كاك على هذا.

كان وديـع حـداد قد قطع مراحل بعيـدة في العمل وبدأ منذ فترة يقـارع الإسرائيليين والامبرياليين كمن يلعب الشطرنج مع عدو خبيث وماكر.

ودخـل الثوريـون الدانماركيون ميـدان المعركة حليفـا عضويا لحركة التحـرر الوطني الفلسطيني عبر بوابة المعلم وديع حداد.



(الفصل الخامس والعشرون)

التحالف الدانماركي "التفاحة"

تطلق أجهزة الأمن في اسكندنافيا (الدول الاسكندينافية - النرويج الدانمرك - السويد) اسم عصابة شارع بلا كنج - على المجموعة الثورية الدانماركية التي كانت الحليف الرئيسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فرع العمليات الخارجية الخاصة، الذي كان يقوده ويشكل رأسه المفكر والمدبر - القائد وديع حداد:

BLAKINGE STREET GANG وفي اللغة الدانمركية -BLEKINGEGADE BAN-DEN

وقد أطلقت أجهزة الأمن على المجموعات الثورية التي شكلت التنظيم الثوري الدانماركي المتحالف مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هذا الاسم، عصابة شارع بلاكنج في عام ١٩٨٩.

عندما عثرت على مخبأ خزنت هذه المجموعة كمية من الأسلحة والمتفجرات والمعدات العسكرية، بينها مناظير ليلية وأجهزة كومبيوتر كانت قد سيطرت عليها بناء على قرار تنظيمي وعملياتي من معسكرات الناتو العسكرية في الدول الاسكندينافية لتكون تحت تصرف التحالف التوسعية الدموية في الشرق الأوسط ومصالحها في كل مكان.

كان المخبأ الذي اكتشفه رجال الأمن يقع في هذا الشارع. وتحول هذا الاسم الإعلامي والرمز الصحفي للمجموعة الثورية.

تكونت المجموعة الثورية التي كان يطلق عليها في أوساط الجبهة الشعبية اسم "تفاحة" وهذا الاسم العربي يعني: APPLE

نسبه لاسم مسؤول المجموعة غوتفرد ابيل: Guttered apple

تكونت هذه المجموعة في أواخر الستينات من ثلاثة مجموعات انشقت عن الحزب

الشيوعي الكلاسيكي الدانماركي.

كانت الحركة السياسية بكافة فصائلها تمرّ بظروف قاهرة وصعبة، ومتناقضة في الدانمارك مثلما كانت تمرّ فيها الفصائل اليسـارية الأوروبية كلهـا في صيف ١٩٦٨. فقد انطلقت انتفاضـة الغاضبين على الرأسـمالية والأحزاب الشـيوعية الكلاسـيكية في أيار ١٩٦٨ في باريس، وانتشرت كالنار في الهشيم في جميع أنحاء أوروبا.

فحصلت الانشـقاقات في الحركات اليسـارية، وفشـلت الانتفاضة الأوروبية في تحقيق أحلامها وبرامجها تماما كما فشـلت الأحزاب الشـيوعية الكلاسيكية في احداث أي تغير سوى تحولها إلى مؤسسات اقتصادية وثقافية وعمالية من قبل أنظمة الرأسمالية العالمية الامبرياليـة فإيجاد مثل هذه العلاقات الكفاحية بـين فصائل الطبقة العاملة الأوروبية، وحركات التحرر سـوف يخلق جوا ديالكيتيكيا مناسبا لتوجيه ضربات للنظام الرأسمالي الظالم والمسيطر في أوروبا وأمريكا.

تقرر إقامة أول اتصال مع الشرق الأوسـط الذي كانت الثورة فيه تتنامى ضد الاحتلال الصهيوني التوسعي حليف الرأسمالية الظالمة.

جاء قرارهم لإقامة الاتصال بهدف البحث المعمق بين منظريهم والجبهة الشعبية لتحرير فلسـطين فرع العمل الخارجي، وإيجاد الروابط والاسـتناد لهذه الروابط الإيديولوجية، والسياسية لرسم برنامج عمل كفاحي مشترك للقتال ضد الرأسمالية الظالمة.

(الامبريالية) وضد الصهيونية التوسـعية الدموية وامتداداتها في كل مكان. تحركت هذه المجموعـات عبر ممثليها القياديين نحو الشرق الأوسـط في عـام ١٩٧٠، فوصل للأردن كممثل لتحالف ك ا ك و ك ف و كا أم كا: KAKUKUF+KA-M-KA

غوتفرد ابل الذي توفي عام ١٩٩٢ وهو المؤسـس للحزب الجديد ومنظره. كانت ترافقه السيد أولا هوتون: ULLA HAUTON

التي توفيت في عام ١٩٨٩، وهي زوجة غوتفرد ابيل.

خاضا معا حوارا معمقا مع الجبهة الشـعبية لتحرير فلسـطين حول الأسس الموضوعية لبناء تحالف بين حركة التحرير الوطني الفلسطيني وبينهم وبين الثوريين الأوروبيين.

فــكلا الطرفــين يقاتل أو يســتهدف القتال دفاعا عــن النفس والحقــوق والعدالة ضد الامبريالية في مدها الرأسمالي العدواني على شعوب العالم الثالث، وضد حلفاء الامبريالية وشركائهــم في عمليات النهب الجماعي لدول العالم الثالث، والجرائم الجماعية والمجازر التي ترتكب ضد هذه الشعوب: فيتنام وفلسطين وأفريقيا وجنوب أفريقيا.

تم الاتفاق أن الظروف تحتم استخدام حد أدنى من القوة للدفاع عن النفس، وإضعاف الآلة الجهنمية الامبريالية والصهيونية الدموية التوسعية.

كان الاتفــاق على محاربة العنصرية والفاشــية والامبريالية والصهيونيــة الدموية بكل الوسائل الممكنة في كل مكان.

وعــاد غوتفرد ابيل وأولا هوتون للدانمارك بالنتائج الهامة والايجابية لاطلاع بقية أعضاء قيادة تحالف كاك كوف وكا أم كا.

وراحت المجموعات اسكندنافية تصل للشرق الأوسط بأعداد كبيرة منذ عام ١٩٧١. كان الوافدون مهيئين للقيام بما تقرر أن يقوموا به.

فقد وصلت مجموعات عديدة بأهداف تقديم المساعدة الطبية والإنسانية في المخيمات: أطباء وطبيبات وممرضون وأدوية.

ورتب برنامج دقيق لهذا الجزء من الوافدين فالأطباء من جميع الدول الاســكندينافية، كانوا يقضون ســتة اشــهر في عيادات شــعبية في المخيمات، وكانت تتزعم هذه الفرق وتديرها مجموعة من الطبيبات

(أن شارلوت – شــارلوت وكينا) ووصلت لمعســكرات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أعداد بالعشرات دفعة وراء دفعة للتدريب العسكري.

ســهل الأمور في ميــدان التدريب كون أن الشــباب قد خدموا خدمتهم العســكرية في بلادهم. فانصب التدريب على التخصص والتخطيط والأمن والمرافقة والمتابعة والبحث وتحديد الأهداف وكيفية التعامل معها.

بطبيعة الحال كان يرافق كل دفعة من الشــباب الجاهــز للعمل الثوري قياديين، كانوا

جميعا من ذوي التخصص والخبرة في ميدانهم، وذوي مســتويات عالية من المعرفة كل في ميدانه.

اذكر بعض هؤلاء المتميزين: الدكتورة ماريان والبعض كان يختصر ويناديها آن أو آنا.

MARIANNE ANN ANNA

كانت من المــع القيادات امتلكت بسرعة كبيرة فنون التكتيك والتخطيط والحفاظ على السرية، وتغيير الشــكل، والهوية، وكانت على صلة مباشرة ليس عبر الحزب مع الجبهة الشــعبية لتحرير فلســطين، وكانت صلتها مع الطرف الأخرهو مارك السويسري، هكذا كان يلقب، ومارك الانجليزي، وكان ايرلنديا أرسل فترة عامين للأرض الفلسطينية المحتلة كطالب في جامعة بيرزيت بهدف المراقبة والمتابعة وإرســال معلومات حول معسكرات الجيش الإسرائيلي واسمه: MARK REDDING

ومنهم نيلز يورغنسين الذي توفي عام ٢٠٠٨ وتوركيل لاورين ويان وايمان، كان من اهم قيــادات التحالف وذو عقل بارع ولماح وسريع، وقديــر في علوم الكومبيوتر، كان قادرا على اختراق شبكة كومبيوتر الشرطة، والبنوك وأي شبكة يحتاج التحالف لمعلوماتها.

عمل معه أخوه بو الذي كان أيضا ذكيا وقديرا في شؤون المختبرات.

منهم كارستن نيلسون، كان جريئا وقديرا إلى حد المغامرة.

كان اندفاعه للعمل الثوري دون حدود، أحبه الجميع، له شــخصيه مقربه للقلب، لكنه أصيب إصابات بالغه في إحدى مهماته بحادث سيارة افقده نظره.

لكنني تعرفت الى أعداد كبيرة أخرى بعضها في اســكندنافيا وبعضها في الشرق الأوســط، بيروت - عدن - بغداد.

في عــام ١٩٧٢ قمت بأول زيارة لاســكندنافيا، كانت المناســبة هامة. فقد دعيت لإلقاء كلمــة في كوبنهاغن في مهرجان شــعبي عارم لنصرة شــعب فيتنــام. كان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي المتحدث الرئيسي الوحيد في ذلك المهرجان الضخم.

لكن رفاقنا، الحزب وتنظيم الجبهة الشــعبية في الدانمارك، نجحوا في إضافة اسمي لإلقاء

كلمة قصيرة بعد كلمة المسؤول الفيتنامي.

كان هاما جدا لنا أن يرتبط نضالنا ضد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي بنضال شعب فيتنام ضد الغزاة، وان النضال لانتزاع الحرية هو نضال واحد لا يتجزأ وان أعداء الشعوب هم أنفسهم في فيتنام وفلسطين، وان الرأسمالية الظالمة هي ممولة حروب الاستعمار والتوسع والاستيطان والعنصرية والفاشية.

هذا ما حصل، ونالت الكلمتان الفيتنامية والفلسطينية تأييد الجماهير وتحول الهتاف إلى: فيتنام فلسطين حرية واحدة لا تتجزأ.

بعد نهاية المهرجان، جاءني عدد من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العاملين في الدانمارك ليبلغوني أن الرفاق الاسكندينافيين يرغبون في تحمل مسؤوليتهم تجاه وضعي الأمني.

وأنهم رتبوا لي عدة لقاءات سرية مع أعضائهم يريدون مني أن التقي بهم لأحدثهم عن الأساس الإيديولوجي، ولأشرح لهم مخططات إسرائيل.

وافقت وتحركت فورا من منزل كانت رفيقة قد رتبته لي واسمها "برجيت" من كوبنهاجن، ركبنا زورقا سريعا هوفر كرافت إلى ميناء مالي في السويد، ولم نضيع وقتا.

تناولنا السمك النيء مع عمال الميناء، وعمال أحواض بناء السفن وتوجهنا إلى غوتنبرغ. حيث عقدت ندوتين، كانت المسؤولة عن المتابعة ممرضة سويدية، كانت قد خدمت في مخيمات اللاجئين واسمها كينا.

ومنها إلى استوكهولم حيث عقدنا ندوتين خلال النهار، والتقيت بسائقي الباصات، وعمال القمامة، وزرت مدينة التنك، والتقيت بعمال من مصانع فولفو.

في المساء رافقني اثنان منهم بالقطار إلى مكان لا اعرف اسمه، لكنه يبعد عن استوكهولم ساعة بالقطار، بلدة صغيرة قضينا فيها تلك الليلة قبل أن نتحرك صباحا. دخلت بيتا أوصلاني إليه لأجده مليئا بالشباب والشابات الذين صمتوا حينما دخلت.

كان الأمر مرتبا لأتحدث مع الجيل الجديد من الحزب.

تحدثنا وانهالت الأسئلة، كانوا مسحورين بالحديث عن المقاومة والبطولة في القتال ضد الطغاة.

في الصباح ابلغني الرفاق أن عشرين شابا سيتوجهون للتدريب.

غادرنا عائدين إلى كوبنهاجن حيث قضيت آخر ليلة قبل العودة لبيروت. التقيت بكتّاب وصحفيين ومصورين، وتحدثنا عن العدالة والنضال الفلسـطيني وأهدافه. كانت أجهزة الأعلام الصهيونية قد نجحت في تسميم أجواء اسكندنافيا بالأكاذيب حول جرائمها وحول نضالنا.

أخـذني بعدها رفاق الحـزب للمبيت في مقـر سري لهم يبعد عن كوبنهاجن خمسـة وأربعون دقيقة بالقطار. كان بيتا ريفيا يقع ضمن ارض بدا أنها مزرعة.

وكان هنالك عدد من قيادات الحزب (كاك كاوف وكا أم كا).

عدت إلى بيروت بتقرير رسم وخطط وأفكار، واجتمعت مع الدكتور وديع حداد لألخص له النتائج وأقدم له الاقتراحات.

منذ هذا التاريخ بدأ نشـاط الاسكندينافيين يتصاعد، وأفكارهم تتبلور. لا شك اننا لمسنا بينهـم بعض التعارض. لكن هذا التعارض كان ينصب حول الاندفاع، ودرجته، مسـتوى القوة المسـتخدمة ودرجتها. وليس المبدأ أو الإسـتراتيجية، وتدريجيا بدأ يتبلور في ذهن التحالف الذي أسسه وقاده الدكتور وديع حداد دورا خاصا للثوريين في اسكندنافيا.

لان لهـذه الـدول خصوصية، رأى وديع حداد أن دور الثوريـين فيها يجب أن يكون له خصوصية أيضا.

وسنعود إلى ذلك في مكان آخر.

دعا الدكتور وديع حداد قيادة الاسـكندينافيين إلى اجتماع في بيروت لبحث المستجدات وخطط العمل.

وحضر وفدهم في شهر حزيران من العام ١٩٧٢ وعقد الاجتماع.

(الفصل السادس والعشرون)

الدانمرك قاعدة إسناد خلفية

كان غوتفــرد ابل وأولا قد زارا الجبهة الشــعبية قبل ذلك قــي الأردن عام ١٩٧٠ وزارا معسكرات التدريب التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واطلعا على طرق اكتساب المهارات القتالية.

(أيلول ١٩٧٠).

أثناء وجودهما في الأردن شــنت الجبهة الشعبية عملية خطف الطائرات الضخمة حين أنزلت بصحراء الزرقاء ثلاث طائرات واحتجزت جزء من ركابها، ممن يحملون جنسيات مزدوجة، إسرائيلية وأوروبية، وكانوا قرابة الستين رهينة.

وزارا مطار الثورة، وطلبت الجبهة الشعبية منهما مغادرة الأردن. وقاما بهذه الزيارة بعد شهرين من زيارة قامت بها مجموعة كادريه من الحزب الدانمركي لمراكز تدريب تديرها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الأردن في عدة مناطق.

وضمت المجموعة:

JENS HOLGER JENSEN

PETER DOLLNER

JORGEN PULSEN

حتــى لا يقعوا في فخ المعــارك التي كانت متوقعة بين الجيــش الأردني وقوات المقاومة الفلسطينية في الأردن.

وغادرا على عجل ليعودا في عام ١٩٧١ لإجراء مزيد من اللقاءات وعقد اتفاق تحالف.

أثنــاء وجــود غوتفرد ابل في عمان كان أعضــاء الجيش الأحمر الألمــاني يجتمعون أيضا

بالجبهة الشـــعبية لتحرير فلســطين بعد أن قرروا عدم الاستمرار في العلاقة مع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي دربت أول مجموعة منهم.

كان قد زار عمان أندرياس بادر واولريكا ماينهوف، والتقيا أولا بعلي حســن سلامة (أبو حسن سلامة) كان مسؤولا عن امن فتح الخارجي.

لكنهم لم يقتنعا بالعمل مع فتح، فاجريا حوارا مع الجبهة الشـعبية لتحرير فلســطين، وقررا أن يوصيا بالتحالف مع الجبهة الشـعبية اســتنادا للأساس التحليلي حول مواجهة الامبريالية والصهيونية الاســتيطانية التوســعية، عبر إقامة تحالف دولي يمارس فيه ثوار العالم الرأســمالي دورهم الكفاحــي عبر حركة التحرر، أي عبر الجبهة الشــعبية لتحرير فلسطين.

كان في الوقت نفسه أعضاء من الألوية الحمراء الايطالية «PRIGADA ROSSA»

ومن الخلايا الثورية الهولندية وأفراد ثوريون أمثال ايليش راميرز ساتشيز ومارك كوهلر وغيرهــم من الأفــراد الثوريين الذين جاؤوا للالتحاق بصفوف الجبهة الشــعبية لتحرير فلسطين.

البرنامج تضمن عملا داخل الدانمارك لمساندة النضال التحرري الفلسطيني: مال، وسلاح، وأعلام.

بالنســبة للســلاح، كان الهدف "مصادرة" كميــة محدودة من الأســلحة والذخائر من معســكرات الناتو لتهريبها خارج الدانمارك كي يســتخدمها مقاتلوا التحالف الدولي ضد الامبرياليين والصهاينة المستوطنين والتوسعيين.

أما المال، فقد كان مهمة من مهام الحليف الدانماركي مدّ الجبهة الشــعبية بالدعم المالي لمتابعــة العمل، وذلك "بتحرير" جزء مــن الأموال التي نهبتها الرأســمالية الظالمة من شــعوب العالم الثالث للقتال ضد الامبرياليين الظالمة والصهيونية الاستيطانية التوسعية تحت شعار: "وراء العدو في كل مكان".

لكن غوتفرد ابل لم يعلم بذلك، ولم يلتق بأي منهم.

في لقاء بيروت تم الاتفاق على انضمام "كاك" وتعرف إلى التحالف الدولي الذي أسسه وديع حداد، وحدد برنامج العمل بالعناوين العامة.

واستبعد رجال ونساء غوتفرد ابل من المشاركة في عمليات خاصة حساسة خارج الدانمارك بعد تجربته غير مرضية على أمين من أعضاء كرفا، دربا على المشاركة في عملية، فأصيبا بالخوف في تجربتهما الأولى، فهرب الأول، وعاد الثاني إلى كوبنهاجن.

حافظ غوتفرد ابل على تعهدات "كاك – كوف" والتزاماتهما تجاه التحالف الدولي. وتنوعت النشاطات العلنية ذات القاعدة الشعبية العامة، وهذا أعطى التنظيم غطاء ممتازا.

فقادوا حملات لجمع الثياب القديمة والأغراض المنزلية القديمة من المتبرعين، وشحنوا عشرات الأطنان لحركات التحرر والشعوب الأفريقية، واستمروا في تحرير الأموال وإرسالها للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

في عام ١٩٧٧ عصفت بالتنظيمين أزمة خانقة، سببها أولا هوتون التي كانت تعرض العقوبات داخل الحزب تصل إلى حد التعذيب عقابا لمن يخطئ، وجرّت وراءها غوتفرد ابل المؤسس الذي بدا وكأنه يقاد من قبل زوجته أولا هوتون.

فصدر قرار بفصل أولا هوتون. وأثر هذا في غوتفرد ابل الذي راح يتردد أمام اتخاذ قرارات في النواحي العملية خشية اعتقاله واعتقال كوادر التنظيم.

في عام ١٩٧٨ فصل المؤسس من حزبه وخاض ابل معركة قانونية حول ملكية دار النشر وغيرها من الإنتاج الفكري.

ربح دعوة الحفاظ على اسم "كاك" مما اجبر الثوريين الذين انتفضوا عليه، وعلى أولا هوتون على تغيير اسم تنظيمهم من كاك إلى "مجموعة العمل الشيوعي".
COMMUNIST WORK GROUP

أما النشر فقد تغير الاسم التي كان الحزب ينشر من خلاله "فوتورا" الى مانيفست وفيما تقوقع غوتفرد ابل نحو خيمته الفكرية والنظرية، واندفع الثوريين بايمان اكبر

وهمة أقوى من خلال مجموعة العمل الشيوعي لتنفيذ ما يؤمنون به من أن عليهم أن يخوضوا معترك الثورة العالمية ضد الامبريالية، من خلال حركات التحرر، وشعوب العالم الثالث المقهورة والمنهوبة ثرواتها. وان واجب الثوريين في الدول الرأسمالية في حده الأدنى هو دعم وإسناد حركات التحرر، وأهمها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

لعـب هنا التناقض بين دائـرة العمليات الخاصة في الجبهة الشـعبية دورا في إذكاء نار التعـارض في « ك ا ك - وكـوف» فقد خاض الحزب الدانماركي انتعاشـا طويلا حول من نساند: الجبهة الشعبية أم دائرة العمليات الخاصة التي يقودها وديع حداد؟

هكـذا طرد في الرابع من أيار ١٩٧٨ غوتفرد ابل وأولا هوتون من التنظيم الذي أسسـه غوتفرد - ك اك «كاك».

في هذا العام قتل وديع حداد بالسم، وكان في احد مستشفيات برلين الشرقية.

بغياب وديع حداد من دائرة العمليات الخاصة لقيادته وقدراته وعبقريته في التخطيط وحزمه في التنفيذ لم تتمكن دائرة العمليات الخاصة من سدّ الفراغ.

بالرغـم من جدية القيادة توالت الأمور بعد دفـن الدكتور وديع حداد في بغداد ألا أن الأمور لم تعد كما كانت علية أطلاقا.

شـعرت بذلك فصائـل التحالف الدولي التي أصابها بغيابـه وهن وتردد وضعف، لا بل شـعرت هذه الفصائل بأنها مكشوفة الظهر لأجهزة الأمن وان غياب وديع حداد شجع أجهزة الأمن على الهجوم.

وراحت الجبهة الشعبية ممثلة بمكتبها السياسي تستعيد تدريجيا قدراتها الخارجية دون التعاون مع القيادة التي تسـلمت مقاليد دائرة العمليات الخاصة، وعلى رأسـها سليم ابو سالم.

لكـن هذا لم يعن أطلاقا «انكفـاء» المجال الخارجي، نهائيا بل يعني المجال يحافظ على نـوع من الروابط الداخلية بـين قيادته وأعضائه وعلى بعض العلاقـات مع التحالفات الدولية.

لكن كان واضحا لكل من يعلم ما يدور، أن غياب وديع حداد سيؤدي إلى تجميد نشاط المجال الخارجي، والعمليات الخاصة التي كان يقوم بها.

وان النوع الخارجي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي كان يتحمل مسؤوليته المكتب السياسي سوف يحل تدريجيا مكان دائرة العمليات الخارجية التي كان يقودها وديع حداد.

لكن هذا الفراغ لم يتمكن اطلاقا من لعب نفس الدور لغياب الرأس المفكر وصاحب النظرية الدكتور وديع حداد.

انتهت الأمور إلى التركيز على العمل المساند للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باسم KA بعد أن أغلق الحزب مؤسساته لإرسال الثياب إلى حركات التحرر الأفريقية وشعوبها. إذ لم يعد الأمر ممكنا بل مكلفا، بعد أن أصبح التبرع بالثياب القديمة معدوما وتحول إلى بيع الثياب للجمعيات الخيرية.

باستمرار العمل النضالي المساند لهذه المجموعة الثورية الدانماركية بقيت تكتيكات العمل المناهض للامبريالية والصهيونية التوسعية قائمة ومستمرة. بكلام آخر، ان استمرار نضال هذه المجموعة الثورية في النضال من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان استمرار لإستراتيجية الدكتور وديع حداد.

فقد استمر الدعم الإنساني للفلسطينيين عبر المشاركة المباشرة لأطباء وممرضين دانماركيين تطوعوا من خلال "KA - ك ا" للعمل في مخيمات لبنان. كانت تقود هذه العملية الإنسانية طبيبة دانماركية ثورية وتعمل بإخلاص حضاري نادر لخدمة الفقراء في النواحي الطبية والإنسانية.

قادت الدكتورة "آنا" العمل الطبي المشارك في النضال ونجحت في ذلك نجاحا كبيرا.

بدأت "آنا" في هذه العملية الثورية في نهاية عام ١٩٧٩ بداية ١٩٨٠.

ولتأكيد اهتمام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باستعادة دوائر عمل التنظيم الخارجي. وإعادتها إلى فاعلية مؤثرة أجرت تغييرات في قيادة "التنظيم الخارجي" ورغم التعقيدات فقد أصبح المكتب السياسي مسؤولا عن "العمل الخارجي".

وحسب برنامج عمل الجبهة الشعبية كان هذا يعني:

- بناء تنظيم الجبهة الشـعبية، في كل مكان يعيش فيه فلسطينيون باستثناء، لبنان - سوريا - الأردن - وفلسطين المحتلة.
- إنشـاء شـبكات ولجان النصرة والإسـناد لنضال الشعب الفلسـطيني، في الولايات المتحدة وأوروبا والدول الأسيوية الباكستان - الهند - وأفغانستان.

من ضمن الدول التي أصبح "الفرع الخارجي" التابع للمكتب السياسي للجبهة الشعبية مسؤولا عنها كانت الدول الاسكندينافية ومنها الدانمرك.

وشـمل برنامج الفـرع الخارجي مهام (كما هي للدول الأخرى) تنظيمية فلسـطينية - تحالفيه فلسـطينية دانمركية - علاقات سياسية رسـمية وغير رسمية - إعلامية ومالية، إضافة لذلك العلاقات مع النقابات المحلية.

شـهدت الأعوام ١٩٧٨-١٩٨٠ نشـاطات بارزة لهذا الفرع كان أهمها ملاحقة شـبكات الموساد، القضاء على قيادة الموساد في اليونان، ورفد الجبهة الشعبية بالمال والمقاتلين.

وشهدت دعما من الثوريين الدانماركيين والسويديين والهولنديين والفنلنديين والايطاليين.

وفي عـام ١٩٨٢ مع بداية الغـزو الإسرائيلي للبنان برهن «الفـرع الخارجي» في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين انه الأقدر على رفد الجبهة مركزيا بالمقاتلين الأعضاء والمتطوعين والمال والأعلام.

لهذا النجاح قصة سنتناولها في الفصل التالي.

(الفصل السابع والعشرون)

وضع اسكندنافيا الخاص والمهمات الخاصة

كان غوتفرد ابل يمسـك بغليونه ويرفعه بين الحين والأخر ليضع يد الغليون بين شـفتيه ويشـف من تبغه المعطر شـفه واحدة ويعيده إلى مكانه بعيدا عن شفتيه، ممسكا به بيده اليمنى ويتابع النقاش.

كان الدكتور وديع حداد يتحدث ببسـاطه وسلاسة ووضوح شارحا كيف يصف معسكر الأعداء (أعداء الشـعوب) ويصنفهم. ويسـجل لكل جزء من أجزاء هذا المعسكر دوره وجرائمه التي ارتكبها ويرتكبها ضد الشعوب المضطهدة والأحرار في العالم.

فيما ركز غوتفرد ابل حواسه ونظراته على وديع حداد وشرحه كانت اولا تنظر بإعجاب شديد لغوتفرد ابل وتهز رأسها مؤيدة.

بين الحين والأخر، كانت أولا تطرح سؤالا ثانويا.

غوتفـرد ابل علق في نهايـة الحديث مؤيدا التحليل الاسـتراتيجي الذي طرحه الدكتور وديع حداد، وحدد من خلاله معسكر الأعداء (أعداء الشعوب) ومصالحهم في العالم.

وانتقل البحث بعد ذلك إلى وسـائل المواجهة، فشرح الدكتور وديع نظريته حول ميزان القوى المائل بشـدة لصالح معسكر الأعداء، وحول تأثير هذا الميزان على التكتيك الذي يجب على القوى الثورية الأضعف عدّة وعددا أتباعه لإنزال الضربات الموجعة لمعسـكر الأعداء.

اذكر أن الدكتور وديع كان يشرح هذا الأمر، كأنه جراح يعلم تلامذته على أفضل وسيلة وطريقة لاستئصال ورم من جسم المريض.

قـال: دبابة حديثـة جدا وقوية جدا ومجهزة بمناظير ليليـة ونهارية وكومبيوتر وأجهزة رصد وتهديف، سلاح قوي لا يملك الثوريون دبابة تضاهيها لكنهم يعرفون كيف يدرسون هذه الدبابة من آلتها لمحركها لجسدها الفولاذي لمدفعها ووصولا إلى أجهزتها الحساسة والدقيقة (الكترونيات وكومبيوتر وأجهزة بث واستقبال).

وأضاف: المعرفة الدقيقة لإسرار أجهزة العدو يعني أن نعرف نقاط قوته، ونقاط ضعفه، ويعني في نهاية الأمر أن نعرف كيف نحدد الهدف، وكيف نصيبه ونحطمه.

لا خيار أمامنا سـوى معرفة نقاط ضعف العـدو، والتخطيط لضربها بقوة حتى نعطل الآلة الكبيرة.

هذا هو التكتيك المتاح أمامنا.

عقب غوتفرد ابل، بان هذا منطقي جدا وجدلي جدا، وهو يوافق علية.

واتفقا على الشروع فورا في التطبيق.

فقال وديع حداد: علينا أن نبدأ بالتدريب الخاص لإتقان المهام التي ستوكل لكل شخص.

أضاف بعد لحظات من التفكير:

أن وضع الدول الاسـكندينافية هو وضع خاص قياسـا بالدول الأوروبية وهذا يحتم أن يكون للثوريين فيها دور خاص ومميز أيضا.

وقـال الدكتور وديـع في نهاية الاجتماع أن الجبهة الشـعبية لتحرير فلسـطين - فرع العمليات الخاصة - تعتقد إن للثوريين فيها دور إسـناد ودعم، والعمل كقاعدة حليفه أمنه.

وأسرع يضيف: هذه الفكرة الأولية لكن علينا أن ندرس معاً هذا الدور الخاص ونبدأ في تطبيقه بعد تحديده بوضوح.

وسـافر غوتفرد وأولا إلى الدانمارك وطرحا مـا دار في اجتماع قيادي للاكاك والكوف وكا أم كا.

ووافق الجميع، وشرعوا في انتقاء العناصر التي سترسل للشرق الأوسط للتدريب الخاص والمميز.

خلال هذه الفترة اكتســب أعضاء الفصائل الثورية الاسكندينافية مهارات بسرعة كبيرة. وركز التدريب على طبيعة المهام التي ستلقى على عاتقهم.

بدأوا يحضرون أنفســهم بتدريب عملي في بلادهم. وكان لديهم أهدافا تستحق التعب والعناء والمتابعة.

فإسرائيل كانت تعتبر هذه الدول ملاذا آمنا لشــبكاتها الأمنية الإجرامية. وتمتعت أجهزة إسرائيل بكافة الامتيازات التي يريدونها حتى أنهم كانوا يعاملون كدبلوماســيين خاصين فوق المعتاد.

ونشر في أجواء الحزب مبدأ السرية التامة ليتمرن الجميع على خلق عادة العمل السري التحرك، سرية الأســماء، سرية الهويات، تستبدل الأسماء تتغير، التنكر، والتنصت، مراقبة البوليس، والتنصت على أجهزة البوليس، اقتحام الكومبيوتر، الدخول للملفات الحساسة السريــة في كومبيوتــر وزارة الأمن والداخليــة والمصارف ووزارة الخارجية والســفارات المحددة لهم.

الاقتحام كان درســا هاما من دروس السرعة في التنفيذ (الثواني والدقائق) الهروب دون ترك اثر.

لا بصمات لا علامات.

في العمليات، كان الأمر الا يحمل احد منهم هوية أو بطاقة أو بطاقة ائتمان تدل عليه. الكل مجهول، والكل غير معروف.

وعشــية البدء بتنفيذ العمليات كان لدى أعضاء الحزب ملفات تفصيلية حول أســلوب حركة الشرطة، المتابعة الملاحقة التجسس.

أصبح هنالك طواقم متكاملة قادرة على العمل والنجاح في أية لحظة.

بهذا اكتمل التحضير والاستعداد.

وانطلــق ثوريو اســكندنافيا ليدخلوا حلبــه القتال ضد الرأســمالية الظالمة والصهيونية الدموية التوسعية.

سنشير فيما بعد لأهم عمليات قاموا بها وتعمقت الصلة مع الجبهة الشعبية.

كان ثائرا على الظلم، وعلى سلب الشعوب حقوقها خاصة حقها في تقرير المصير.

رأى في ترابط نادي مستغلي الشــعوب، وناهبي ثرواتها ومصادري حريتها، ومستعمري أرضها، رأى في ذلك النادي وحدة متماســكة وان تنافس أعضاؤها جشعا وطمعا في دماء الشــعوب، لذلك خطط وعمل من اجل وحدة وتماسك المضطهدين والرازحين تحت نير الاحتلال والاستعمار الاستيطاني، وبين أنياب مصاصي دماء الشعوب.

إذ أن التماســك بين الضعفاء يعطيهم قوة للتصدي، والدفاع عن النفس. دفاع الضعيف في وجــه القوي قادر على إلحاق الهزيمة بالقوي المدجج. فهذه المقاومة هي كمن يزيل الصاعــق عن قنبلــة مدمرة فالصاعق الصغير هو الذي يشــعل فتيل التدمير فان نزعته وهــذا لا يحتاج إلى قــوة موازية لقوة القنبلــة، تحولت القنبلــة إلى كمية معطلة من الخردة.

«وراء العدو في كل مكان» هو الشعار الذي رفعه وديع حداد والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. لم يكن يعني أطلاقا أن الجبهة كانت تمتلك القوة القادرة على مقاومة ومواجهة العدو على جبهة واســعة (وســعها العــالم) بل كان ذلك يعنــي توجيه ضربات موجعة ومؤلمة لعدو قوي في أماكن الضعف من درعه الجبار: الكر والفر-و اضرب واهرب.

خطط وديــع حداد لتطبيق هذا الشــعار، وهذا التكتيك في منطقتنــا وعبر التحالفات في بلدان الرأســمالية الجشعة، المستغلة لشعوب الأرض والمستعمرة لأراضيهم والناهبة لثرواتهم.

قد تبدو الأمور الان لجلادي الشعوب أن أفكار وتكتيكات وديع حداد قد دفنت معه.

لكنهــم يخطئون، فأفــكار وديع حداد هي أفكار كل مظلــوم مكبل محروم من حريته ومسلوبة قوته.

وطالما ان هنالك قوى اســتغلال جشــعه، وقوى استعمارية اســتيطانية تصلي الشعوب عذابــا بالحديد والنار وتســتعبدهم بعد أن تســلب حريتهم وحقوقهم كبشر، ســوف تلتهب النيران مهما كانت صغيرة، في كل مكان تتمركز فيه قوى المستعمرين.

أكثر من ذلك، نقول أن تجمعات الرأســمالية الجشــعة ســوف تشــهد انتفاضات قويه عاصفة لان أزمات الاقتصاد في مجتمعاتهم هي إفقار للفقراء، وزيادة إرباح المســتغلين. كما فعل ذلك المليونير في نيويورك الذي راكم ثلاثة تريليون دولار خلال الأزمة.

سيثور الطلاب والعمال والمتقاعدين والعسكر العائدين من ميادين الهزيمة العسكرية.

وســوف تثور تلك المجتمعات على دعم أنظمتها للعنصرية والاســتعمار الاســتيطاني في فلســطين وعلى مساندتها لأنظمة فاســدة لا هم لقيادتها سوى جمع الثروات حتى وان كانوا شركاء صغار للجشعين الكبار.

وديع حداد ليس فكرة، بل ثورة لم تتوقف ولن تتوقف إلا بانتزاع الحرية وكسر الأصفاد وإعادة الحق لأصحابه.

من قتل وديع حداد؟ من دس له السم؟

اسرائيل وحلفاؤها في الانظمة العربية اغتالوا وديع حداد

كنت على يقين أن الدكتور وديع حداد مات مسموما.

كنت على يقين أن جهة ما قد دست له السم.

ومـــما اخبرني به القائد الراحل تبين أن الســـم قد دس لـــه في ليلة من ليالي صيف بغداد أثناء تناوله القهوة بعد العشاء في منزل الزعيم السياسي السوري أكرم الحوراني الذي لجأ إلى بغداد، وكرمه فيها حزب البعث الحاكم في العراق.

لقد قال لي الدكتور وديع حداد بالحرف:

بعد العشـــاء جاء الخادم يحمـــل فناجين القهوة، وقام بتوزيـــع الفناجين على الضيوف، فوضـــع أمامي فنجان القهوة. وما أن رشـــفت منه رشـــفه واحدة حتى شـــعرت بلعيان وغثيان ورغبة شديدة في التقيؤ.

كان الشـــعور عنيفـــا لدرجة أنني وقفت مسرعا محاولا الوصـــول إلى حمام المنزل لأتقيأ هناك. الا أن اللعيان كان أقوى وأسرع فتقيأت في الحديقة قبل وصولي باب البيت.

مـــن هذه الكلمات التـــي قالها لي الدكتور وديع حداد مبـــاشرة أثناء زيارتي الأولى له في منزله السري في الجزائر، تبين أن السم قد دس له فعلا في تلك الليلة، وانه دسّ من خلال فنجان القهوة.

أكدت الأعراض التي راحت تظهر و تتطور يوما بعد يوم انه السم ينتشر، ويتحرك دون حدود في جسد وديع حداد.

في البدايـــة كانت تتوالى عليه حالات الهبوط، وفقدان الشـــهية للأكل والدوخان والتقيؤ وعدم القدرة على الحركة، الى حالات عودة النشاط لجسده وعودة الشهية والقدرة على الحركة حتى اللعب مع كلبه في حديقة منزله السري في الجزائر.

كان السمّ ينتشر في جسده تدريجيا، وبدأ الشعر بالتساقط.

هــذا ما دفعني لإرســال الدكتور نجيب أبو حيدر ومنير شــماعة والدكتور الخالدي إلى الجزائــر لأخذ عينات من الشــعر لفحصها في مختبرين شــهيرين احدهــما في الولايات المتحدة، والأخر في اليونان.

ولم تتعرف أجهزة المختبرات على نوع السم.

وبقــي يرن في أذني كلام وزير الأمن الألماني (الشرقي) الــذي حذر الدكتور جورج حبش وأعضاء القيادة من ســم يتغلغل داخل مســام الذوق في اللسان، وهو سم غير معروف لديهم، ولم يواجهوه من قبل حسب قوله. وحذر من تناول القهوة والشاي أو المشروب او البهارات في مكان غير معروف (امن مطبخه).

قمت بمطالعات، وبحوث طويلة لأعرف مســببات تكــسر كريات الدم الحمراء دون أن ينتج الجسم بديلا لها من النخاع العظمي.

فجاءت النتائج أن المســببات الرئيسية لتدمير قدرة النخاع العظمي على أنتاج الكريات الحمراء هو التســمم ذاته، وان التكسر عملية دائمة لتبديل الدم القديم بالجديد الذي ينتجه النخاع العظمي.

وأسباب منع إنتاج الكريات الحمراء تشمل:

سم الزئبق، الذي يترسب في النخاع فيسده ويدمر قدرته على الإنتاج كمن يضع اسمنت على نبعه ماء صغيرة فيسدها.

أو التعرض لإشعاع اكس (X) لمدة أطول من اللازم.

أو التعرض لأشعة الرادار لفترة طويلة.

أو تنــاول دواء كلــوروم فينيكول المســتخدم (ضد الحمى) والتيفوئيــد بجرعات كبيرة فتتحول إلى سم يقتل القدرة على إنتاج الكريات الحمراء.

لكــن لم يتمكن أي طبيب أو مختبر من معرفة نوع الســم حتى أجهزة المخابرات التي

تستخدم السموم عجزت عن معرفة هذا النوع.

لم نتمكــن من معرفة نوع الســم، كان جديدا، غريبا، لذلــك لم يعرف له ترياقا. وتمكن الســم من وديع حداد فتآكل جســده داخليا إلى أن وصل إلى الدماغ فتوقف العمل في كل أنحاء جسده وفارق الحياة.

ومضت دماغه حتى أثناء مهاجمة الســم لخلاياه، كانت منصبه على شيء واحد، متابعة النضال.

لذلك وصلني ذلك التلكس منه قبل يوم من تمكن السم من دماغه، يطلب مني الحضور إلى برلين لاجتماع عمل.

والسؤال السؤال هو، من دسّ له السم؟

بعد أكثر من ثلاثين عاما على اغتياله اعترفت إسرائيل بأنها دست السم له في الشوكولاته التي يحبها، طبعا هذه محاولة تمويه وتغطيه على الفاعل، العنصر المباشر في دس السم.

اعترفت إسرائيل فأكدت ما كنا متأكدين منه، وأعلنا عنه منذ لحظة وفاته.

لكــن إسرائيــل حاولت مــن خلال اعترافهــا بأنها وراء اغتيــال وديع حــداد انه تمويه. فالشــوكولاته البلجيكية لم تكن أبدا ســبب الوفاة. فالدكتــور وديع حداد لم يكن يحب الشوكولاته، ولا يتناولها كما صورت الموساد.

فقد كان الدكتور وديع حداد مولعا بالموالح، وليس السكاكر. وكان يحب أن يكون ورق العنب المحشي حامض المذاق وليس دلعا.

وكان يحب المشروبات العرق اللبناني، وهو حتما لا يشرب مع الشوكولاته.

لقــد دس الســم له في فنجان القهــوة تماما كما قال وروى بنفســه لي وللجنرال الأكحل العياطي في منزله بالجزائر.

لماذا تحاول إسرائيل الخداع تمويها بعد أكثر من ثلاثين عاما على اغتياله؟

لا يوجد سبب منطقي مقنع الا سبب واحد: أنها تحاول بذلك التغطية على شركاء لها في

عملية الاغتيال ما زالوا يمتلكون نفوذا. أو ربما فقدوا النفوذ.

لكن إسرائيل لا تريد الإشارة إلى أي صلة أو تعاون معهم.

من هي هذه الجهات أو من هم هؤلاء الأشخاص.

إذا عدنا لتلك الليلة المشؤومه ليلة العشاء في حديقة منزل أكرم الحوراني ببغداد - وسلطنا الضوء ودققنا نجد:

- أن الذي دسّ السم في القهوة لا بد أن يكون لديه علم بان الدكتور وديع حداد مدعو للعشاء في حديقة منزل أكرم الحوراني.
- أو انه يعمل لدى أكرم الحوراني فكان على علم بان الدكتور وديع حداد سيتناول الطعام والقهوة هناك.
- لا بد أن يكون وضع السم سهل، ولا يتطلب أكثر من جزء من الثانية حتى لا تثار الأقاويل، أو يمسك بالفاعل متلبسا بالجرم.
- لا بد أن جهات عربية كانت تعلم بذلك العشاء طالما أن الحضور كان قوميا، أي من أشخاص ينتمون لأكثر من بلد عربي، وكان هنالك سوريين وعراقيين وسعوديين ولبنانيين وطبعا وديع حداد.
- لم يكن هنالك أي ضمانة من أن يكون احد هؤلاء على صلة بأجهزة النظام الذي يواجهه ويتناقض معه رسميا، وهذا سبب وجوده كمعارضه في بغداد.
- أي نظام عربي كان يعمل سرا، ويدفع الأموال الطائلة للقضاء على وديع حداد.

وجوابا على هذا السؤال لا بد من تسليط الضوء على الطريقة التي تصدت فيها مجموعة دول لوديع حداد أثناء عملية خطف اللوفتهانزا إلى مقديشو، التي انتهت بكارثة وظهور القوات الألمانية الخاصة كبطل إنقاذ يحسب حسابه.

مقاديشو قد تفسر من هي الجهة التي دست السم الذي زودتها به إسرائيل.

ما هي عملية مقاديشو ولماذا ؟

عملية مقاديشو هي في الواقع ليست العملية التي خطط لها وديع حداد.

قبـل القيام بتلك العملية ضغـط الحلفاء الألمان كثيرا على الدكتور وديع حداد لخطف طائـرة ألمانية للضغط عـلى الحكومة الألمانية للإفراج عن عـدد كبير من أعضاء الخلايا الثوريـة الألمانية كانوا معتقلين في ألمانيا ويسـامون العذاب والتعذيب على أيدي خبراء التحقيق في سجون ألمانيا.

قام البوليس السري الألماني بقتل عدد منهم في الزنزانات تحت غطاء الانتحار.

الخطة كانت خطف الطائرة إلى عدن، حليف وديع حداد الرئيسي وهناك تجري المبادلة.

جرت اتصالات معقدة وسريعة وحـولات مئات الملايين شرقا وغربا فيما الطائرة تتوجه بأمر من خاطفيها إلى عدن.

اهـم تلـك الاتصالات هي تلـك التي جرت بين الألمان والسـعوديين وبين السـعوديين واليمنيين في عدن.

وهنا لا بد من الإشـارة أن مركز هام من مراكز المتابعـة التقط اتصالين هامين: الوثائق موجودة، ذلك بين بون والرياض وعدن.

بون طلبت من الرياض أجهزة مخابرات سرعان ما أصبح قرارها لدى أعلى مسـتويين في بون والرياض منع نزول الطائرة في عدن وأنها تفضل مقديشـو لأنها "لا تريد الاشـتباك مع عدن"

وأبلغت بون الرياض أن طائـرة القوات الخاصة المليئة بالجنود المدربين تلاحق الطائرة المخطوفة، وطلبت لها أذنا بالعبور في الأجواء.

بون طلبت من الرياض بذل كل الجهود لمنع هبوطها في عدن.

وفتحت الخزائن، مئات الملايين توجهت نحو عدن ومقديشو.

باعت عدن ومقديشو حليفها وديع حداد بحفنة من دولارات المخابرات السعودية.

اعتذرت عدن عن استقبال الطائرة تحت حجج كثيرة أهمها التهديد الذي تلقوه.

رحبت مقديشو بها حسب الأوامر التي صدرت لمدير مخابراتها من المخابرات السعودية والألمانية.

كما اتفق ما أن هبطت الطائرة حتى أطفأت الأنوار وجرى ما جرى.

هــذا يدل على أن الحرب على وديع حداد قد بدأت عمليا تأخذ طابع التحالف الدولي، مــن اجــل القضاء عليه تحالفت جهــات عربية مع أجهزة أوروبيــة المتحالفة اصلا مع الموساد.

كانت الجهات العربية تعلم تمام العلم هذه الحقائق.

فأخذتها "بعقلانية" وطورتها حرصا على اختصار الوقت بلقاءات استخبارية مباشرة مع الإسرائيليين.

لقاءات في فرنسا وألمانيا وقبرص ومصر والمغرب وأراض عربية أخرى. الاهم هو أن بعض هذه اللقاءات جرت في فلسطين المحتلة - إسرائيل.

لنعد إلى تلك الليلة – ليلة اغتيال وديع حداد.

هــل كان للعــراق دور ؟ هل كان لأجهــزة المخابرات العراقيــة دور. تاريخ المخابرات العراقية ليس زاهيا فمن الكزار إلى حمدون إلى إلى.

هل سار القاتل في جنازة وديع حداد.

كانــت العــراق بأمس الحاجــة لعلاقات جيدة مــع الغرب، ومع الســعودية، وللاثنتين الأخريــين علاقات جيدة بين بعضهما وللغرب علاقات وثيقة مع إسرائيل. اذا كان الكزار قد حاول قتل احمد حسن البكر، وولى هاربا إلى الحدود الإيرانية.

فما الذي يمنع جهاز المخابرات (لمصلحة العراق) أن تســعى للتخلص من وديع حداد أو التعاون على ذلك.

قامــت المخابرات العراقية لحظة وفــاة وديع حداد، والتأكد مــن الخبر بمداهمة كافة مقراته السرية، وصادرت مطابعه الحساســة التي كانت تنتج جوازات الســفر الدقيقة،

والمحدودة للعمليات الخاصة.

كـما كنا قد ذكرنا فان هذه المطابع التي جمعـت تجميعا دقيقا وبيد خبراء مخضرمين، كانـت قادرة على إنتاج دولارات لا يمكن لفورت نوكـس أن تميزها. لكن الدكتور وديع كان يرفض باستمرار هذا وبقول نحن مناضلون من اجل الحرية ولسنا مزوري عملة.

هذه الأجهزة (بأقسامها الحساسة) سـلمتها المخابرات لأشخاص يعملون معها، مشهود لهم بالتزوير. ومنهم "العراقي" وهذه كنيته وهو ليس عراقيا.

قام بتزوير فئة المئة دولار التي خضت الولايات المتحدة وأسميت (Super Ball) حتى ألان بقايا هذه المائة دولار المزورة يعثر عليها هنا وهناك.

اهـم جهة تلقفت هذا هي إسرائيل التي جندت من طبع لها (أو لإفراد من مخابراتها) كمية كبيرة من Super Ball.

مـما تقدم هنالك أكثر من جهـة عربية وغربية، بالطبع إسرائيـل لها مصلحة في تدمير وديع حداد.

لقد رفض الدكتور وديع حداد أن ينقل لأي بلد غربي أو شرقي للعلاج قائلا:

«سوف يبيعونني لمن يدفع أكثر، أنها دول تبيع المناضلين عند أول كوع لمصالح».

لماذا لا يقبضون ثمننا، وهم ليسوا معنيين بنضالنا من اجل حريتنا. أنهم يرون فينا سهما ضد عدو لهم فإذا كان ثمن هذا السهم يوفر لهم أكثر مما يوفره السهم لماذا لا يبيعونه؟. في جعبتهم سهام كثيرة.

فما هي الاحتمالات اذا ؟؟؟

قبـل أن آتي على الاحتمالات المنطقية أود أن أشـير هنا إلى انـه من الفطنه أن نبقى في الذهن مقارنة بين ما أقوله هنا وبين الظروف التي أحاطت باغتيال القائد ياسر عرفات.

الجهة المستفيدة، إسرائيل والدول الغربية، وحلفاء الدول الغربية بعض الدول العربية.

الوصول إلى وديع حداد

حاولت إسرائيل الاغتيال المباشر ففشلت.

- صواريخ على بيته في الملا – الصنايع.
- قصف بيته في الجبل – قرب بحمدون.
- تفخيخ شقته من شققه على الروشه.
- قصف مقر تدريب صبرا.
- محاولات دس عملاء من أميركا اللاتينية.

وعندما فشلت فشلا ذريعا قررت إسرائيل اللجوء إلى حلفائها. وتم الاتفاق على التعاون مـــن اجل تعاون إسرائيل وأجهـــزة دول عربية لها مصلحة في التخلص من الدكتور وديع حداد.

ســـواء أكانت هذه المصلحة تتمثـــل في إرضاء حلفاء هذه الـــدول العربية من الغربيين أو مـــن حيـــث التخلص من قائد لا يتردد لحظة في القيـــام بعمليات تضر بمصالح حلفاء إسرائيل من الدول الغربية، وان كانت هذه المصالح على أرض عربية.

واستمرت إسرائيل في محاولاتها لزرع عميل لها في جهاز وديع حداد سواء أكان ذلك عبر عضو من التحالف الدولي او فلسطيني من الذين يحيطون به.

يبـــدو أن إسرائيل نجحت في الطريقتين، من ناحيـــة، تمكنت من تجنيد مخابرات عربية للتعاون معها، وان كان الشكل غربيا.

وربما تمكنت من زرع أو شراء شخص بالمال من جهاز وديع حداد.

في العام ١٩٩٦ كنت في روما لمقابلة مســـؤولين ايطاليين. دعيت لعشـــاء في بيت صديق لوزير الخارجية الايطالي، كان عشـــاء حافلا ضم شـــخصيات متعددة ومتنوعة من حملة الألقاب: بارون – دوق – ولي عهد – سفير – وزير، ومن ضمن الحضور كان احد الأثرياء اليهود يزور روما لكنه كندي الجنسية.

أثناء وقوفنا على الشرفة تطرقنا للحديث عن السلام وتشعب الحديث إلى أن وصل إلى قوله: الموساد هزمكم؟

فأجبته أنها ملاحظة عابرة. لكننا أنزلنا به ضربات موجعة أيضا.

فضحك قائلا: يكفي انه تمكن من وديع حداد.

فادعيت البلاهة في محاولة لجرّه للحديث فقلت:

لكن الموساد نفت أو على الأقل لم تعلن عن هذا. انه اذا صح كلامك انتصار كبير لهم.

أجاب بابتسامة: تحاول أن توحي بالخبث.

إسرائيل لا تريد جر التحقيق إلى الشخص المعني لأنه كان مقربا جدا من وديع حداد، وما زال في منصب حساس، أن إسرائيل تعمل بذكاء على المدى البعيد.

ادعيت مرة أخرى البلاهة وسألته بصوت خافت يوحي بالكتمان: وهل تعرف من هو هذا؟

نظر الي وقال: نعم لكن سيقتلونني أنا اذا بحت بهذا السر.

سواء كان يعلم مفصلا ام انه كان مدعيا. فالأمر قريب من الحقيقة المنطقية، شخص مقرب من وديع دس له السم في القهوة التي تناولها في بيت صديق، بوجود أصدقاء وفي وقت يعرفه وديع والمضيف والضيوف والجهات التي تربطهم بها علاقات أجهزة.

«وأصبحت الدائرة هنا أضيق بكثير مما تحاول إسرائيل أن توحي به من خلال الشوكولاته السوبر التي صنعتها إسرائيل وغلفتها وأرسلتها له». هذا الادعاء هراء ولا يستهدف سوى خلق صورة الموساد الذي لا يهزم وأبعاد الأضواء عن الفاعل الحقيقي.

أن أعداءنا الذين يبطشون بالأطفال والنساء والرجال يدمرون البيوت ويقتلعون الأشجار ليحرموا البشر من الثمر.

أنهم غزاة، لصوص، مجرمون، يسعون للمال واستغلال الشعوب واستعبادها أوسع السبل لنهب الثروات وسرقة الخيرات وامتصاص جهد البشر المستعبدين في الأرض.

يقتلـــون في بلادنـــا الأطفال والشـــباب كي تزدهـــر تجاربهم في بيع الأطـــراف في العالم – يســـتأصلون من جثث القتلى من الأولاد والبنات والشباب والشابات قلوبهم، أكبادهم، كلياتهم، وشبكات العيون، لبيعها بأعلى الأثمان من خلال شركاتهم الغربية.

لذلك يستمر النضال من اجل الحرية لان الحرية هي الحياة وهي الإنسان وهي الحب وهي العشـــق وهي الروح التي تنفخ في عروق البشر همـــة وتعطي عضلهم قوة ليعم الخير والسلام على من يستحق الحياة.

وديـــع حـــداد ثائر من ثوار هذا العالم المســـتضعف في الأرض. عمـــلاق نهض رافعا علم الحرية وينادي بالبشر أن هبوا: وراء العدو في كل مكان.

آن الأوان ليصبح القانون أن قتل امرئ جريمة لا تغتفر وقتل شعب مجزرة لا تواجه ألا بالحديد والنار. ولن يحصد احد ألا ما زرع.

وديع حداد معلم، سيد، قائد لثورة على الأغلال والاستغلال انه رمز لحرية سبق أن دك من اجلها فقراء فرنســـا حصن الباســـتيل، وثار من اجلها نيلســـون مانديلا ودفع ثمنا لها الملايين من الصينيين والفيتناميين والكمبوديين والروس.

أنها الحرية الثمينة التي دونها لا قيمة للإنسان لأنه سيكون مستعبدا.

أنها الحياة والعشق.

هذا هو وديع حداد. وهذا هو الأفق الذي تغرب الشمس عنه.

وسيبقى يناديكم، وينادي كل المستضعفين في الأرض أن هبوا.

"وراء العدو في كل مكان".

الأيام الأخيرة في المانيا

رحلة الوداع

عند تمام الســاعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٧ آذار، بدت قاعات مبنى كبار الزوار في مطار الجزائــر في حالــة غير اعتيادية. فقــد انتشر في تلك القاعات عــشرات من ضباط الأمن والمخابرات الجزائريين يلبسون ثيابا مدنية جديدة لم تستطع أن تخفي مسدساتهم التي بانت تحت ستراتهم.

كان بعضهم يحمل أجهزة اتصال كبيرة، لم يحاولوا إخفاءها، ويستخدمونها لتبادل كلمات مشفره بين الحين والأخر.

عنــد الثانيــة والنصف تقريبــا، دبّ بينهم جوّ مــن الهَرج والمرَح وراحــوا يتحركون في الاتجاهات كلها، لكن داخل القاعة الكبيرة التي فرشــت أرضها بالســجاد وتوزعت فيها عدة صالونات.

فجأة تحرك احدهم ـ يبدو انه كان مسؤول المجموعة ـ نحو الباب الرئيسي الذي يقضي إلى ساحة المطار والمكان الذي تقف فيه الطائرات عادة بانتظار كبار الزوار.

لم تقف أمام المبنى أية طائرة، لكن المســؤول اندفع راكضا نحو طائرة جزائرية تجارية ـ طائرة ركاب عادية ـ تقف على مسافة قريبة، بعيدة عن مبنى كبار الزوار.

توقفت ســيارة ســوداء عنــد درج الطائــرة، في اللحظة التي وصل فيها مســؤول الأمن للسيارة، كان الباب قد انفتح وهبط منه حامد. ومن الباب الثاني هبط أبو ماهر اليماني.

وتعاون كلاهما لنقل الدكتور وديع حداد للطائرة. اتكأ الدكتور وديع على رفيقيّ دربه: حامد وأبو ماهر، وقد امتلأت عيناهما بالدموع دون كلام أو شكوى.

بدأ جمع غفير بالوصول نحو درج الطائرة، رفاق الدكتور وديع وضباط الأمن.

نظر الدكتور وديع "أبو هاني" للجميع، وابتســم ابتسامة أرادها أن تكون مليئة بالثقة،

لكنها لم تتمكن تلك الابتسامة من نقل الرسالة التي أراد.

بدت ابتســـامة قوية يغطيها ضبـــاب الأفق، الذي يختفي عند حدود الســـفن عن أعين الناظرين. ابتعدت الابتسامة، كما يبتعد طير في سماء خريفية.

اســـتدار الدكتور وديع متكئا على رفيقيّ الدرب وصعد الدرج، درجة درجة ببطء، كأنما تحاول قدماه ألا تدوس على لغم أو أن تقترب من كمين نصب له.

أغلق باب الطائرة، ودارت المحركات، وأقلعت "الجزائرية" باتجاه برلين.

مع وصول طائرة "انترفلوك" الألمانية إلى مطار برلين كانت السماء تخرج من دائرة الضوء إلى دائـــرة عبوس الليل. بدت رمادية ممتزجة بالحدود، فغاب الأبيض بالأســـود، وبهت الأسود بالأبيض.

هواء لا يخلو من برد يثير القشعريرة بين الفينة والأخرى ثم يركد.

لم تمطر، لكن الجو أشبه بذلك الذي يحمل رذاذا ناعما.

توقفـــت محركات الطائرة فاقترب منها بضعة رجال وثلاث ســـيارات ســـوداء، وســـيارة إسعاف واحدة.

مـــع اقتراب العربة التي تجـــرّ درج الطائرة نحـــو باب الخروج، انهمـــك الركاب بجمع حاجياتهـــم، وإنزال حقائبهم من الحاويات التي تعلـــو مقاعدهم. وقف رفيقا أبو هاني استعدادا لمساعدته على الوقوف والهبوط من الطائرة.

كانوا أول النازلين من الطائرة.

ســـاروا ببطء نحو الباب، وحينما أمـــر قبطان الطائرة بفتح البـــاب، انزل الدكتور وديع ذراعاه من على كتفي رفيقيه: حامد وأبو ماهر اليماني. اســـتخدم كل ما لديه من إرادة وعناد وصلابة ليقف دون مساعدة، وليهبط الدرج متكئا على الحاجز الأيمن للدرج.

على ارض المطار تقدم مســـؤول ألماني مؤديا لـــه التحية. فحياه الدكتور وديع الذي تبعه دون أن تفصل بينهم سنتمترات، حامد وأبو ماهر.

سار الدكتور وديع خطوات قليلة قبل أن يصعد إلى سيارة الإسعاف.

كان رافع الرأس ينظر إلى الأمام ـ لا ادري ما كان يدور بذهنه.

خطواته كلها إباء وأنفة الكبرياء، وابتسامته الظل تسخر من الموت البطيء، أصابعه الرفيعة، الدقيقة، كانت تعزف لحن الحياة والنضال والبطولة والتضحية.

اختفت، سيارة الإسعاف، تلحق بها السيارات السوداء نحو المستشفى الذي سيحاول معالجته.

في بيروت، عُلم في أوساط محدودة بأن الدكتور وديع حداد قد نُقل إلى ألمانيا تحت الأشراف الطبي لألمانيا الديمقراطية بعد أن ساءت حالته جدا، بعد أن اقرّ الأطباء في الجزائر بأنهم عاجزون عن التعامل مع حالته التي لم يسبق أن مرّت عليهم حالة تشبهها.

لم يكن الفريق الطبي المشرف على معالجة الدكتور وديع حداد يضم خيرة أطباء الجزائر، بل انضم لهم أطباء مهرة أمثال الدكتور نجيب أبو حيدر من لبنان، ومنير شماعة من لبنان ـ وكانا صديقين حميمين للدكتور جورج حبش، والدكتور وديع حداد ـ بمشاركة خبراء في تحليل الدم في الولايات المتحدة واليونان.

عاد أبو ماهر اليماني لممارسة مهماته كعضو مكتب سياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كان الدكتور جورج حبش قد طلب من الألمان رسميا استقبال الدكتور وديع حداد ومعالجته. بعد عشرين يوما ـ تقريبا ـ من وصول الدكتور وديع إلى ألمانيا للعلاج تسلمتُ منه "تلكس" يطلب مني فيه التوجه إلى ألمانيا لحضور "اجتماع عمل" في الساعة العاشرة من يوم ١٩٧٨\٣\٢٧.

كأن الأمور عادية. هكذا وبكل هدوء يدعوني الدكتور وديع لحضور اجتماع عمل!

على الفور، طلبت من سكرتيرتي أن ترتب لي الحجز والتذكرة لأكون هناك في الموعد أي صباح يوم ١٩٧٨\٣\٢٨ تم ذلك.

حسب تقاليد المكتب السياسي للجبهة الشعبية فان يوم ١٩٧٨\٣\٢٨ هو يوم للاجتماع

نصف الشهري للمكتب السياسي.

قــررت أن أتوجه للاجتماع وأن اطلب إذنا للســفر إلى برلين لزيارة الدكتور وديع حداد. فتوجهت إلى منطقة "الفاكهاني".

دخلت قاعة الاجتماع، تفحصت بنظرة سريعة الموجودين، الدكتور جورج حبش لم يكن حاضرا، مع أن عادته الدقيقة كانت تقضي أن يكون دائما أول الحاضرين وآخر المغادرين.

غاب عن الاجتماع آخرون، نظرت إلى أبي ماهر اليماني نظرة سؤال: هل توفي أبو هاني؟

أجابتني دموعه الغزيرة دون كلام، والتغى اجتماع العمل.

غاب جســد وديع القائد المهندس صاحــب النظرية الثورية الجديــدة وقائد التحالف الثورة العالمي ضد الامبريالية والصهيونية.

أعلنت الجبال الشاهقة، والغيوم التي تلامسها حدادها على عَلَم وقائد ومهندس ومفكر، في التاريخ قليلون امثاله، أنهك العدو الذي لهث وراءه طوال حياته النضالية.

الغِي اجتماع المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأعلنت الجبهة الحداد على وديع حداد الشهيد الذي لم يكف طيلة حياته عن العمل رغم موته وهو شاب.

لم يتم تحديد مهام معينة لأعضاء المكتب السياسي، فشعرت بحرية التصرف.

نعــت الجبهة الشــعبية وديع حداد كعضو المكتب الســياسي للجبهة رغــم أن اللجنة المركزية للجبهة فصلته، بعد أن أنزلت مرتبته من المكتب السياسي، وأطلقت عليه لقب القائد، وأحد مؤسسيها.

وهذه حقيقة.

غادر أبو ماهر اليماني على عجل إلى برلين ليرافق جثمان الشهيد وديع إلى بغداد بعد أن تقرر أن يدفن الدكتور وديع حداد فيها.

كان الإخوة المســئولون في بغداد قد قاموا بالاســتعدادات كلها لجنازة رســمية للدكتور وديع بعد وصول جثمانه إلى بغداد.

فأصبح محتما أن تكون جنازة الشهيد القائد وديع حداد رسمية وشعبية في آنٍ.

حملـت الطائرة العراقيـة المتجهة من برلـين إلى بغداد، جثمان الشـهيد وديع يرافقه الأخوين: أبو ماهر اليماني وحامد "سليم أبو سالم".

نقل جثمان أبو هاني للمستشفى، حيث وضع في البرادات إلى حين إتمام ترتيبات الجنازة الكبيرة.

في هذه الأثناء، كان قد وصل إلى بغداد الدكتور جورج حبش ترافقه زوجته هيلدا، وعدد من قيادات حركة القومين العرب، والجبهة الشعبية، ووصلت أنا معهم.

سـارت الجنازة الكبيرة تتقدمها المراسـم العسـكرية وعربة المدفع التي حملت جثمان القائد الراحل وسـار خلفهم كبار المشـيعين على رأسـهم الدكتور جورج حبش، ورفاق وديع، والمسئولون العراقيون، وعائلته أم هاني وهاني، وجموع حاشدة من الجماهير التي أسرعت للمساهمة في توديع البطل الشهيد.

أقامت الجبهة الشـعبية سرادقا قـرب مقرها ببغداد لتلقي العـزاء من ألاف المواطنين والمسئولين الذين توافدوا لإظهار حزنهم ومساندتهم للنضال الفلسطيني.

على مدى ثلاثة أيام كانت تتردد الأناشيد الوطنية، والأقوال الثورية ومقتطفات مما قاله وديع حداد أثناء حياته، حول ملاحقة العدو في كل مكان.

بإسـدال سـتار الموت على القائد المهندس الفذ للعمل الثوري ضـد مصالح الامبريالية والصهيونية بدأت مرحلة جديدة.

غاب المعلم، لكن العالم ما زال يشـهد بصماته في أعمال ثورية على صعيد العالم، ويرى تزويرا لدوره الكفاحي الذي شكل خطا ثوريا جديدا أضيف للخطوط الثورية التي تفتق أذهان كبار الثوريين عنها.



انتخاب مسؤول خلفاً للقائد الراحل وديع حداد

كما ذكرنا، حمل جثمان الشهيد وديع حداد في جنازة رسمية وشعبية في منطقة المسيح «ببغداد» ودفن في مقبرة تابعة للكنيسة في تلك المنطقة.

أقيم سرادق ضخم قبالة مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حيث تلقى الأمين العام للجبهة الدكتور جورج حبش، تعازي الآلاف من المسؤولين وأبناء الشعبين العراقي والفلسطيني باستشهاد القائد وديع حداد.

لم أشاهد "الحكيم" يذرف الدمع من قبل، لكنني رأيت ذلك في وداعه لرفيق دربه وزميله في الدراسة والعمل الشعبي والنضال في حركة القومين العرب، والكفاح ضد الغزاة بعد تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وجاء كلام "الحكيم" من القلب. قلب مجروح لفقدانه اعز الأصدقاء وأشجع الزملاء. وأعطى الحكيم الدكتور وديع حداد حقه عند وصفه كقائد شجاع لم يتوقف لحظة عن التصدي للعدو، ولم يتأخر لحظة عن بذل الغالي من اجل تحرير الوطن: فلسطين.

ودّع ابن اللد جورج حبش، ابن صفد وديع حداد في بغداد. في لمحه كنت ترى أمامك ما نادى به الحكيمان - متاخلان قوميان يخوضان كفاحا مسلحا لتحرير فلسطين بعد أن ساهما بتحرير اليمن والجزائر. ترى الحكيم ينعي رفيقه على ارض العراق.

اثر انتهاء أسبوع العزاء الذي نكّست خلاله الإعلام في بغداد وفلسطين ومخيمات الشتات. اجتمع في بغداد الإطار القيادي للفرع الخارجي - فرع العمليات الخاصة - لم يطل النقاش فقد انتخب سليم أبو سالم خليفة كمسؤول للفرع الخارجي، واختير أعضاء القيادة، وتم توزيع المهام عليهم، فانتخب زكي هيللو مسؤولا عسكريا (وقد أصيب بعد محاولة اغتيال تعرض لها في اسبانيا بالشلل وهو مقعد الان) وانتخب آخرون لمهام دقيقة أخرى.

لكن المعلم غاب، وغاب معه العقل والقائد المخطط.

ولم اعد مطلعا على ما يدور، لكن النتائج كانت واضحة ليست لي فقط بل للعالم اجمع، توقف العمل، وبدأت تتهاوى روابط التحالف الدولي، وتشــجعت أجهزة الاســتخبارات للانقضــاض على فصائل التحالف الدولي فصيلا تلو الآخــر، كان غياب وديع حداد، كان غياب الحماية لهذه الفصائل.

ملحق (١)

وديع حداد والعمل القومي

لم يكن تطوع الطبيبين الشــابين جورج حبش، ووديع حداد للعمل في مخيمات اللاجئين التي نصبــت لتأوي الفلســطينيين الذين هجرتهــم العصابات الصهيونيــة من مدنهم وبلداتهم وقراهم، عملا إنسانيا فقط.

بل كان عملا وطنيا وقوميا.

الدوافع الإنسانية، كانت العوامل الرئيسية لعدد كبير من المتطوعين العرب وغير العرب، إذ أن المأســاة التي ســببتها المجازر والإرهاب الإسرائيلي كانت تهز مشــاعر كل إنسان يحترم نفسه، ويحترم حقوق الإنسان، ويحترم الحضارة الإنسانية.

الا أن الأمر بالنسبة للدكتور جورج حبش، ووديع حداد كان اكبر من ذلك وأوسع.

كانــا يعالجان اللاجئين المنكوبين، وفي الوقت ذاته يحقنون ابر الوطنية والعزم في عروق الذين هجروا من وطنهم.

كانــا وآخرين ممن امنوا بما كانوا يطرحون من أفكار حــول التحرير والعودة ومواجهة إسرائيل في الوقت الذي يعالجون فيه المرضى مجانا ويوفرون لهم الدواء.

العلاج الحقيقي هو النضال ضد العدو لتحرير فلســطين وان الطريق لذلك هو تكاتف الأمة العربية ووحدتها.

انتشرت الأفكار، وامتدت تأثيراتها وتناسقت مع زملاء الدكتور جورج حبش ووديع حداد في الجامعة الأميركية.

من الخليج إلى المحيط كانت الهتافات واحدة. الوحدة العربية طريق تحرير فلســطين. كان طبيعيا أن يكون الجهد المبذول سياســيا وتنظيميا مكثفا في الأردن حيث المخيمات

الكبرى وحيث العلاقة موحدة على صعيد الشعب.

لا فرق بين فلسطيني وأردني، شعب واحد لا شعبين.

مخيـمات العائدين التي ضمت مئـات الآلاف انتشرت في قطاع غـزة والضفة الغربية شـكلت معينا لا ينضب من البشر المتشوقين للعمل المنظم لتحرير الأرض، والعودة إلى ديارهم.

فقد اخرج هؤلاء من بيوتهم وبلداتهم ومدنهم تحت شـعارات رفعتها القوات العربية التـي تدخلت لمنـع إخراجهم بالقوة دون أن تنجح بذلك، بـان وضعهم مؤقت وأنهم سيعودون بالقوة العربية.

تبين لهم لاحقا أن تلك القوات العربية تأتمر بأوامر الذين قرروا أقامة دولة إسرائيل.

وراحـت أفكار حركة القوميـين العرب تنتشر بين الفلسـطينيين وانصب جهد الطبيبان الشابان جورج حبش ووديع حداد على أقامة تنظيم قوي لحركة القومين العرب.

وربطـت الأواصر القومية بين أعضاء التنظيـم الذي انتشر في العالم العربي كله. ورفعت حركة القومين العرب شعار الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين.

في الأردن كان نشـاط الدكتـور جورج حبش والدكتور وديع حـداد منصبا على المثقفين واللاجئين. جذبت الحركة لصفوفها شـخصيات بارزة في الأردن، كان من ابرز هؤلاء فايز قـدوره، وزكريا الطاهر ونـزار جردانه، وعلي منكو، وحمد الفرحـان، والدكتور صبحي غوشـه، ووصفي عنبتاوي، وتوفيق ابو شريف، والدكتور زاهي قمحاوي، وعبد السـلام قمحاوي، وغسان قمحاوي، وعزام كنعان وياسر كمال.

وتتالـت أجيـال من المثقفين عـلى الانضمام لصفـوف حركة القومين العـرب في نهاية الخمسينات وبداية الستينات.

كـما ضمـت الحركة في الوقت ذاته قادة شـعبيين من المخيمات فـكان من قياداتها في الأردن حمدي مطر، ومصطفى الزبري، ومحمد الطيراوي وغيرهم.

إجمالا كانت التشـكيلة الطبقية واسـعة فضمت الحركة فقـراء وأغنياء يربطهم هدفا

الوحدة العربية وتحرير فلسطين.

وتشـكلت لجنة تنفيذيـة لحركة القوميين العرب ضمت ممثلـين لقيادة الحركة في كل إقليم عربي (كسوريا والعراق واليمن وليبيا وفلسطين والأردن والبحرين وغيرها). كانت المهمات قد رسمت بوضوح وهي دعم النضال العربي للتخلص من الاستعمار في الجزائر واليمـن الجنوبي، التغير للتخلص من المرجعية العربية والعمل للوحدة العربية وتحرير فلسطين.

فدعمـت الحركـة بكل إمكاناتها الثـورة الجزائرية، وأطلقت الكفاح المسـلح في اليمن الجنوبي ضد القوات البريطانية، الجبهة القومية لتحرير اليمن الجنوبي المحتل، وساهمت مساهمة كبيرة في تنمية الحس القومي والتعبئة القومية في الوطن العربي.

وتحالفت مع القائد جمال عبد الناصر، وامتد نفوذها امتدادا كبيرا فلعبت دورا كبيرا في الإطاحة بالنظام الملكي في العراق، وتحويل العراق إلى جمهورية سرعان ما سـيطر عليها عبد الكريم قاسم الذي أطاحت به لاحقا، معيدة للعراق وجهة القومي.

ولعبت دورا كبيرا في تنام الوحدة بين سوريا ومصر وقاومت الانفصال، وساهمت مساهمة كبيرة في الدفاع عن عروبة لبنان أثناء نزول القوات الأميركية في نهاية الخمسينات.

واعتبرت الحركة بسبب دورها التحرري والقومي هدفا للمستعمرين وحلفاء المستعمرين في العالم العربي. واتخذت منها القوى المعادية مواقف مماثلة للمواقف التي اتخذتها من جمال عبد الناصر قائد حركة التحرر العربي في تلك الفترة.

وعزز هذا التحالف بـين حركة القوميين العرب وجمال عبد الناصر وأصبح من الصعب التفريق بين شعارات التيار الناصري وشعارات حركة القومين العرب.

وتحولت الحركة إلى حركة قومية تضم تيارا ناصريا قويا انتشر في العالم العربي كله.

وكانـت الكويت مثـلا واضحا على قوة الحركة شـعبيا. إذ قادت المظاهرات الشـعبية وتمكنت من الفوز بمقاعد برلمانية عديدة.

كذلك شهدت التطورات في العراق قوة الحركة عبر الحركة الشعبية العارمة التي أطاحت

بعبد الكريم قاسم وانضمام العراق للوحدة مشكلة الاتحاد الثلاثي المصري - السوري - العراقي.

امتلأت شوارع الأردن بالمظاهرات المطالبة بالانضمام للوحدة في الستينات.

بدأت الحركة تواجه العنف الرجعي نتيجة لانتشار نفوذها.

فاعتقلت قيادتها وكوادرها الرئيسية في الأردن وحيكت الدسائس لتخريب العلاقة بين الجبهة القومية ومصر - وانفصلت سوريا عن مصر منهية الوحدة.

اضطر عدد من الكوادر والقيادات للخروج من ساحات عملهم ليقيموا في أقطار أخرى. رحل بعضهم إلى القاهرة ومنهم فايز قدوره وزكريا الطاهر، ورحل جورج حبش بعد هروبه من سجن الجفر في الأردن إلى سوريا، فلبنان، وتوجه وديع حداد من الجفر، (السجن الصحراوي الأردني) إلى سوريا فلبنان. ولجأ عدد كبير من الضباط السوريين والعراقيين للقاهرة.

وساد في تلك الفترة مد استعماري عنيف استخدمت فيه القوة ضد القيادات والكوادر القومية والوطنية.

واقتيد العشرات إلى سجون المخابرات.

تلك كانت الحال قبل حرب ١٩٦٧. عندما اندلعت الحرب وانتصرت إسرائيل تفككت آلة القمع العربية فخرج المئات من السجون ليساهموا مجددا في العمل الوطني والقومي والتحرري.

بدأت مرحلة جديدة بعد الجزر الذي شهدته الحركة الوطنية تحت وطأة أدوات القمع العربية الرسمية.

بالرغم من كل هذه التطورات كان للمداميك الأولى التي بناها الدكتور جورج حبش، والدكتور وديع حداد في الأردن تأثير كبير انتقل من جيل إلى أخر حتى يومنا هذا.

فالذين فطموا على القومية العربية، وهدف الوحدة العربية مازالوا هم وعائلاتهم متأثرين بذلك. لا بل نستطيع القول أن تلك القناعات والأهداف النبيلة تحولت مع

الزمن إلى نوع من الجينات التي نادرا ما يختفي تأثيرها.

فالقوميون العرب كانوا وما زالوا أفضل الوطنيين في ديارهم ينادون بالحرية والديمقراطية والتخلص من الاستعمار الاقتصادي وإنهاء التبعية الاقتصادية والسياسية.

ويناضلون في ساحات العمل الديمقراطي تماما كما يناضلون في فلسطين، باذلين أرواحهم لتحرير الأرض العربية المغتصبة في فلسطين.

ربطت بين الإخوة في حركة القومين العرب قناعات مشتركة وشعور عميق بمواجهة الأخطار المشتركة. وتربى عادة صداقات عميقة وحميمة عندما يواجه البشر خطرا يتهددهم. فتراهم يوحدون جهودهم ويساعدون بعضهم البعض ويهبون لنجدة مستغيث ويثقون ببعضهم البعض.

وابلغ صورة تمثل هذه الحقائق صورة تلك العلاقات التي نمت بين فايز قدوره، ووديع حداد وجورج حبش وعلي منكو وحمد الفرحان ونزار جردانه وتوفيق أبو شريف ووصفي عنبتاوي والدكتور بشير البسطامي والدكتور صبحي غوشه والدكتور منذر عنبتاوي والدكتور زاهي قمحاوي والمهندس غسان قمحاوي والدكتور وليد قمحاوي وغيرهم.

كانوا مترابطين يعملون بجد من اجل وحدة العرب وتحرير فلسطين.

فايز قدوره من بين الأخوة تابع متابعة حثيثة مع الدكتور جورج حبش ووديع حداد. فتوجه إلى مصر، كان الحارس الأمين على انضباط وجدية شباب حركة القوميين العرب الموجودين في القاهرة أما لجوءا سياسيا أو لاستكمال تعليمهم الجامعي.

ثم توجه إلى بيروت حينما طلبت الحركة منه ذلك، وتابع العمل مع الدكتور وديع حداد.

ثم سار يدا بيد مع رفاقه وإخوته بعد هزيمة ١٩٦٧ على درب تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتدريب الكوادر، وتزويدهم بالسلاح.

وبقي مخلصا لمبادئه وأهداف أمته إلى أن وافته المنية.

أبو بسام، كان قياديا يحترمه الجميع ويحبونه. فروح الدعابة لم تفارقه يوما وتفانيه

لأهــداف امتنا بالوحدة والتحرر لم تغب عن عينيه. ولا شــك أن افتقاده هو شــعور لا يمسني أنا فقط بل يمس كل من عرف أبو بسام ابن صفد.

لا مجــال أمامي في هذا الكتاب الذي خصص لشرح نظرية الدكتور وديع حداد وقدراته المتفوقة للحديث عن كل فرد من أفراد تلك الطليعة العربية.

لكــن أعطاء كل فرد منــه حقه أمر لا بد منه. فقد صنعوا فصولا من التاريخ الســياسي الحديث، تاريخ بداية النهوض القومي العربي. ولا بد للأجيال من معرفة الحقائق حول التضحيات التي بذلها هؤلاء في سبيل إعلاء شأن الأمة.

ملحق (٢)

قادة المقاتلين الالمان

١. بيترا سترول.
٢. بيترا شليم.
٣. الكي شولتز.
٤. بريجيت اسدونك.
٥. بيتر هومان.
٦. غلبرت مانهوف.
٧. اليس ستاكفياك.
٨. ايرين غورغنز.
٩. بياتي ستم.
١٠. جانسن ستروم.

الدفعة الثانية:

١. اريك غروسدات.
٢. كاترينا هامرشميدت.
٣. كاي فيرنر الماخ.
٤. كريستا ايكس.
٥. انجيلا لوثر.
٦. ايبرهارد بيكر.
٧. يورغ لانغ.

٨. سيموند ديبوس
٩. هلموت بول.
١٠. رولاند اوغستين.
١١. بيترا رولاند

الدفعة الثالثة:

١. سيجفريد هوسنر.
٢. مارغريت شيلر.
٣. كارل هاينز دلو.
٤. كلاوس ينشكي.
٥. كلاوس سيبل.
٦. سيجفريد هوفمان.
٧. حنه اليس كرابي.
٨. فريد ريكي كرابي.
٩. كارمن رول.
١٠. برنهارد بوسنر.
١١. اليزابث فون دايك.
١٢. غيرهارد مولر
١٣. كورت فوكرز.
١٤. رالف بابتست فرايدريخ.
١٥. رولاند ماير.

الدفعة الرابعة:

١. سيلكي ويت
٢. سيجفريد ستميبك.
٣. صابرين شميتز.
٤. بيتر يورغن بوخ.
٥. بيتر سومنبرغ.
٦. نوربرت كروبل.
٧. غابريل كروخر تايديمان.
٨. برنارد براون.
٩. انجي فيت.
١٠. انجريد بارباس.
١١. كريستيان كلار
١٢. اديلايد شولتنر.
١٣. لوتز توفر.
١٤. ويلي بيتر ستول.
١٥. مونيكا هلبتغ.
١٦. يوهانس تيمي.
١٧. غلد شرويدر.
١٨. كريستيانا دوميلاين.
١٩. فوكر شبيغل.
٢٠. رولف وارغتر.
٢١. كريستوف وختمانجل.
٢٢. كريستيان كوبي.
٢٣. ورنر لوتز.
٢٤. ولفغانغ بيف.

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

يعـرف بالدكتور وديـع حداد الثائـر العربي الذي أمـضى حياته يقاتل لتحرير فلسـطين ووحدة الأمة العربية.

يحدد الأسس الفكرية للعمل المسلح الخاص ضد الاستعمار الجديد والاستعمار الاستيطاني المتمثل بالصهيونية الدموية في فلسطين.

يحدد الأسس الفكرية للتحالف العالمي بين الفصائل الثورية كما حددها وديع حداد وبني على أساسها الجيوش الحمراء في المخيمات الرأسمالية التي شكلت الامبريالية الجديدة وتحالفت مع الصهيونية التوسعية.

يحدد أسلوب عمل الثائر وديع حداد.

يصف طبيعة العلاقات التي نسجها قومياً ودولياً.

يوضح طبيعة العلاقة مع الاتحاد السوفييتي ولقاء وديع حداد باندروبوف.

كيف اغتالته إسرائيل.

مشاهد سبقت وتبعت استشهاده.

يصف الكتاب أبطال صممهم وديع حداد مثل كارلوس وباتريك أرغويلو وشبجانوبو.

وهـذا الكتاب مرجع وذخيرة للأجيال مـن الثوريين الذين سـيتابعون النضال من أجل حرية وحقوق الانسان.

